سلسلة الرحلة إلى الثقلين ٢٩

لاهوت المسيح

في المسيحية والإسلام

تأليف

الأستاذ علي الشيخ



مركز الأبحاث العقائدية


لاهوت المسيح
في المسيحية والإسلام

مركز الأبحاث العقائدية :

● إيران ـ قم المقدسة ـ صفائية ـ ممتاز ـ رقم ٣٤

ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥

الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)

الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)

● العراق ـ النجف الأشرف ـ شارع الرسول صلى الله عليه وآله

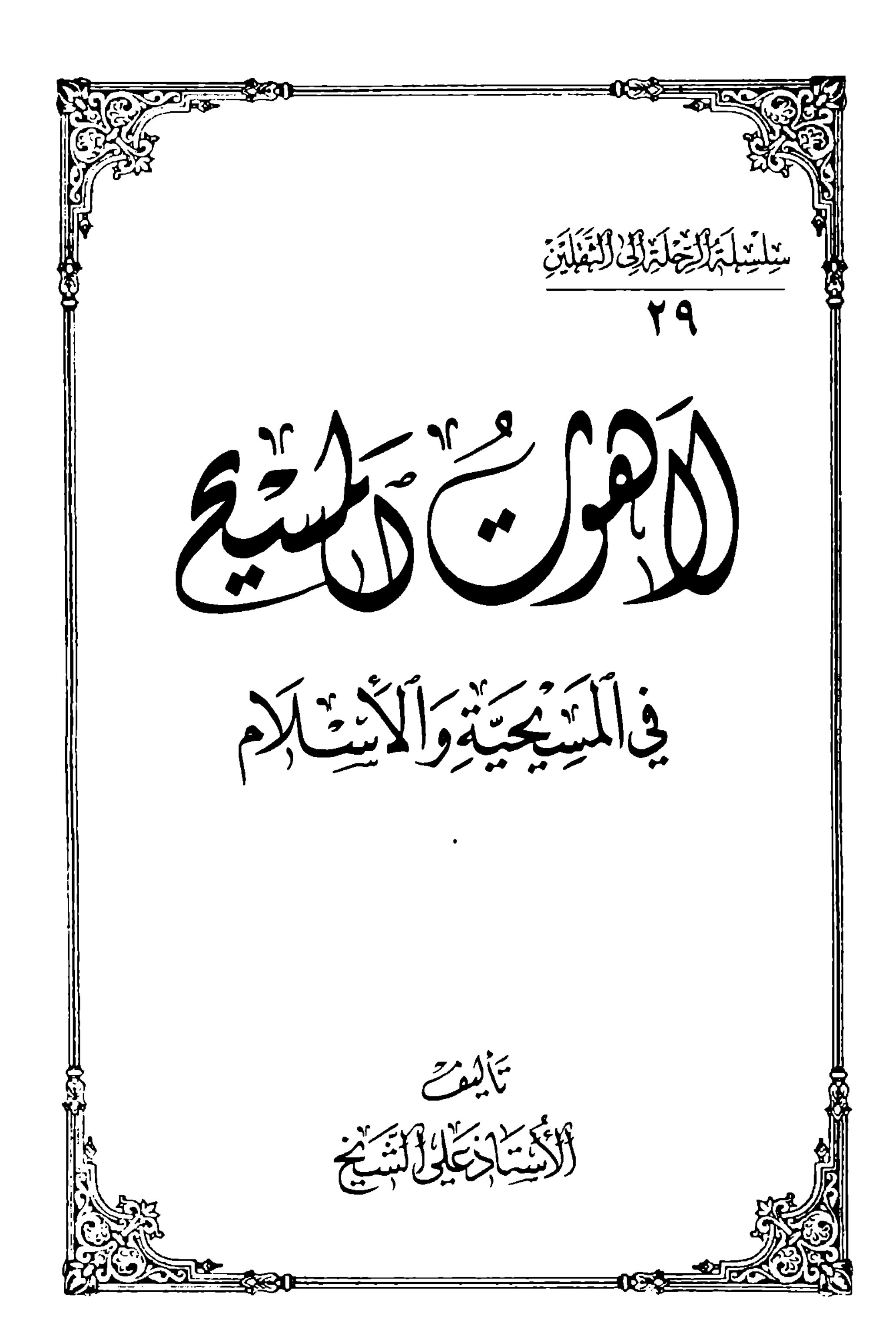
جنب مكتب آية اللّه العظمى السيّد السيستاني دام ظله

ص . ب : ٧٢٩

الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)

● الموقع علىٰ الانترنت : www.aqaed.com

● البريد الالكتروني : info@aqaed.com



سلسلة الرحلة إلى الثقلين

٢٩

لاهوت المسيح

في المسيحية والإسلام

تأليف

الأستاذ علي الشيخ

مقدّمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على خاتم المرسلين محمّد وآله الغرّ الميامين

من الثوابت المسلّمة في عملية البناء الحضاري القويم، استناد الأمّة الى قيمها السليمة ومبادئها الأصيلة، الأمر الذي يمنحها الإرادة الصلبة والعزم الأكيد في التصدي لمختلف التحديات والتهديدات التي تروم نخر كيانها وزلزلة وجودها عبر سلسلة من الأفكار المنحرفة والآثار الضالة باستخدام أرقى وسائل التقنية الحديثة.

وإن أنصفنا المقام حقّه بعد مزيد من الدقة والتأمّل، نلحظ أنّ المرجعية الدينية المباركة كانت ولا زالت هي المنبع الأصيل والملاذ المطمئن لقاصدي الحقيقة ومراتبها الرفيعة، كيف؟! وهي التي تعكس تعاليم الدين الحنيف وقيمه المقدّسة المستقاة من مدرسة آل العصمة والطهارة عليهم السلام بأبهى صورها وأجلى مصاديقها.

هذا، وكانت مرجعية سماحة آية الله العظمى السيّد علي السيستاني ـ مد ظلّه ـ هي السبّاقة دوماً في مَضمار الذبّ عن حمى العقيدة ومفاهيمها الرصينة، فخطت بذلك خطوات مؤثرة والتزمت برامج ومشاريع قطفت أينع الثمار بحوله تعالى.

ومركز الأبحاث العقائديّة هو واحد من المشاريع المباركة الذي أُسّس لأجل نصرة مذهب أهل البيت عليهم السلام وتعاليمه الرفيعة.

ولهذا المركز قسم خاص يهتم بمعتنقي مذهب أهل البيت عليهم السلام على مختلف الجهات، التي منها ترجمة ما تجود به أقلامهم وأفكارهم من نتاجات وآثار ـ حيث

تحكي بوضوح عظمة نعمة الولاء التي منّ الله سبحانه وتعالى بها عليهم ـ إلى مطبوعات توزّع في شتى أرجاء العالم.

وهذا المؤلَّف ـ لاهوت المسيح في المسيحيّة والإسلام ـ الذي يصدر ضمن **«سلسلة الرحلة الى الثقلين»** مصداق حيّ وأثر عملي بارز يؤكّد صحّة هذا المدعى.

على انّ الجهود مستمرة في تقديم يد العون والدعم قدر الإمكان لكلّ معتنقي مذهب الحقّ بشتى الطرق والأساليب، مضافاً إلى استقراء واستقصاء سيرة الماضين منهم والمعاصرين وتدوينها في **«موسوعة من حياة المستبصرين»** التي طبع منها عدّة مجلدات لحدّ الآن، والباقي تحت الطبع وقيد المراجعة والتأليف، سائلين المولى تبارك وتعالى أن يتقبّل هذا القليل بوافر لطفه وعنايته.

محمّد الحسّون

مركز الأبحاث العقائديّة

١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ

site.aqaed.com/Mohammad

muhammad@aqaed.com

المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كان للإنسان ومنذ القدم ميل وشوق قوي وسعي مستمر، لمعرفة القوّة الخفيّة الواقفة وراء هذا العالم الواسع، وفي غمار هذا السعي ومن خلال تجربته الحياتية مع القوى الطبيعية التي كانت تحيط به، ولاتقاء شرها واللوذ بحماها، صنع لنفسه آلهة من هذه القوى الطبيعية عرفت في تاريخ الأساطير والديانات القديمة بأسماء عديدة، وقد شُبّه الإله الخالق في هذه الأساطير بمخلوقات كثيرة، وفي سياق تلك التشبيهات، اعتقد الإنسان انّه توصل بأساطيره الى حل اللغز الذي يقلقه منذ أن فتح عينيه في هذه الأرض، ألا وهو كيفية نشوء العالم وماهية الخالق الذي أوجده.

وهذا ما نجده جليّاً في جميع الثقافات والديانات القديمة، مثل الأديان عند المصريين والآشوريين والبابليين والهنود والصينيين واليونانيين وعلى اختلاف تصورهم لهذا الإله، فكان هناك إله السماء وإله الشمس وإله الرعد وإله العواصف وإله الرياح... الخ

وبعض الناس جسّدوه، وآخرون نزّهوه ، فظهرت الديانات واختلفت المعتقدات وانقسم البشر الى ثقافات مختلفة، وهذا التكثّر والتنوّع في الآلهة يعود إلى المناطق الجغرافية المختلفة، وكذلك حسب الأعمال التي تناط بهذه الآلهة، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله.

ولست في هذه المقدمة بصدد البحث حول تعدد الآلهة في الثقافات والديانات الأُخرى، ولكن الذي أود أن اشير اليه هو أن مسألة جعل الإله الخالق العظيم في

صورة مخلوق من مخلوقاته سواء كان بشراً أو مخلوقاً آخر كان أمراً شائعاً في مختلف الأساطير والاعتقادات لشعوب كثيرة ومنذ العصور القديمة.

ومع هذه الكثرة للآلهة المعبودة كان هناك وسط هذا التعدد ميل احياناً الى التوحيد أو الى اتجاه قريب منه، فقد كانوا اذا دعوا إلهاً من آلهتهم أو أثنوا عليه أو تقربوا اليه بقربان أقبلوا عليه بكل عواطفهم وفكرهم حتّى يكاد يغيب عن ذهنهم سائر الآلهة والارباب، ويصبح إلههم هو ذلك الإله فحسب، فيصفونه بكل اسم وصفة حسنة وكمالية، ويدعونه برب الأرباب وإله الآلهة، ولكن هذا التعظيم والتبجيل لهذا الإله سرعان ما ينتهي الى إله غيره ليقوم مقام الأوّل، ويعطى كل صفات الكمال التي اعطيت للإله الأوّل ولا سيما كونه رب الارباب وإله الآلهة.

ولهذا يمكن القول أن تعدد الآلهة وبصور واشكال مختلفة يعود الى اختلاف الشعوب والامم، وكل شعب حاول أن يشبّه الإله بحسب ما يعتقد من تقاليد وثقافة، وهذا لا يقتصر على الإنسان فقط، بل أن الحيوانات ايضاً لو كان باستطاعتها البوح عما في نفسها من صورة لخالقها من خلال آثار فنية وكتابات لكانت صورت لنا ذلك الاله باشكال وصور مختلفة وعديدة، وهذا ما أكده الفيلسوف اليوناني «زنيوفان Xenophan»[1] إذ يقول: **«يعتقد الناس أن الآلهة تولد، وأنها ترتدي ملابس كما يرتدون، ولهم اصوات واجسام مثلهم ـ ولو أن للثيران والخيل والأسود، أيادي يرسمون بها، ولو كان في استطاعتها أن تضع آثاراً او اعمالاً فنية ـ كما يفعل البشر ـ لرسمت الخيول آلهتها على هيئة جياد أو أُسود، ولكانت آلهة الثيران على هيئة ثيران ولجعلت اجسامها على شاكلتها»**[2].

---

(١) ولد عام ٥٧٠ ق. م وازدهر عام ٥٣٠ ق. م وقد هاجم في كتبه النزعة التشبيهية: «Anthropomorphism» وهي مؤلفة من مقطعين يونانيين هما: «nthropo = انسان و morphos = شكل»، وهي تعني اضفاء الشكل البشري والصفات الانسانية على الإله. معجم الديانات ١: ١٦.

(٢) نفس المصدر.

وفي الحقيقة فان ديانات واساطير العالم حول الإله الخالق وبمختلف اشكالها تمثل رحلة الإنسان إلى كشف اللغز العميق الذي كان يقلقه منذ القدم ـ فهي رحلة الى الخالق ـ وهي رحله طويلة وشاقة، شبّه فيها الإنسان هذا الخالق بصور واشكال عديده، فتارة يراه الإنسان الملك القهار والحكيم، واخرى يصوّره كالشمس لأنّها اكبر ما تقع عليها العين، واحياناً هذه الظاهرة الطبيعية او تلك ويقول في قرارة نفسه وبصوت عال «هذا ربي» الذي ابحث عنه.

واستمرت البشرية على هذا المنوال حتّى جاءت الرسالات السماوية، فما كان الله الحكيم ليترك البشر متحيراً تائهاً وهو الذي جعل في فطرته هذا الميل لمعرفة الإله، على حد التعبير الديكارتي الجميل حيث يقول ديكارت: [١]

«إنّ الله بعد أن خلق الإنسان وقّع على وجوده، كما يفعل الفنان حين يوقع أسفل اللوحة بعد أن يفرغ من رسمها، وهذا التوقيع الإلهي هو الذي يلحّ على الإنسان للسعي والبحث للوصول إلى الله».

ولذلك أرسل الأنبياء والرسل لإفهام البشر مسألتين مهمّتين حول الألوهية:

أولها: أن هناك رباً وخالقاً وإلهاً متعال ومقدّس وهو فوق ما يتصوره البشر، **والثاني:** أن هذا الإله هو وحده الخالق المؤثر في هذا العالم وله القدرة المطلقة والاحاطة بكل شيء لينفي تعدد الآلهة وتنوعها.

وهذان الاصلان ـ أي وجود الله وتوحيده ـ هما ما أكدت عليه الأديان السماوية، وان كان يرى البعض أن الامر الأوّل هو موجود في فطرة كل انسان، ولكن الحقيقة أن الأنبياء نبّهوا البشر على هذه الحقيقة المهمة جداً في حياة الإنسان.

ولكن وللأسف فان بعض هذه الرسالات السماوية التوحيدية أصابها هي

(١) معجم الديانات ١ : ١٩.

الاخرى الانحراف عن التعاليم التوحيدية التي بيّنها الله للبشرية، وقد اختلطت تعاليم هذه الديانات ببعض الاعتقادات الوثنية لتشكل ديناً نصفه الهي توحيدي ونصفه الآخر مشرك وثني ، ومن هذه الأديان التي اصابها هذا النوع من التحريف المسيحية.

فالمسيحية مع كونها ترى أن الله الخالق موجود متعالي وهو فوق ما يتصوره العقل والادراك البشري، ولكن مع ذلك تعتقد بأن هذا الإله لبس لباس الناسوت وتجسّد في شخص انسان، لكي يكشف ويعلن عن ذاته للبشرية كلها.

وذهب بعض الباحثين الى القول بأن المسيحية ابتدأت كدين الهي وسماوي وانتهت الى ديانة وثنية، وهذا ما لا يرتضيه آباء الكنيسة وعلماء المسيحية ابداً، ولذلك ألفّوا العشرات من الكتب حول اثبات الوهية المسيح مستشهدين باقوال وافعال المسيح عليه السلام المذكورة في العهد الجديد، واحياناً ببعض فقرات العهد القديم، وجلّ سعيهم هو رد هذه الاتهامات عن المسيحية باعتبارها ديانة وثنية، وأنها اقتبست تعاليمها وعقائدها من الأساطير والديانات الوثنية التي كانت مجاورة لها.

وفي المقابل فان الكثير من الباحثين والمحققين ـ من المسلمين وغيرهم ـ هم ايضاً سطّروا الكثير من الكتب لبيان هذه الحقيقة الواضحة والجليّة ، وهي أن المسيحية الحالية ماهي إلا تلك التعاليم الوثنية التي كانت منتشرة في مصر وروما واليونان وقد البست لباس الرسالة السماوية والصق بها اسم المسيح عليه السلام زوراً وبهتاناً.

والحقيقة مع أن فكرة نزول الاله او ارسال ابنه الى الناس وسفك دمه من اجل انقاذ البشرية كانت سائدة في الكثير من الاعتقادات، ولكن يمكن القول أن هذا التشابه بين هذه الفكرة الوثنية والعقيدة المسيحية في شخص المسيح عليه السلام قد يكون مجرد مصادفة لا أكثر، وبمعنى آخر أنه ليس هناك ضرورة الى القول بأن العقيدة المسيحية حول بنوّة المسيح عليه السلام ـ لأنها مشابهة للعقيدة والافكار الوثنية التي كانت

منتشرة في بعض المناطق القريبة من الشام ـ لابد أن يكون قد اقتبسها اتباع المسيح من اولئك الوثنيين، فالقطع بهذه المسألة بحاجة الى دراسة وتحقيق ودقة كبيرة، وخصوصاً اذا اخذنا بنظر الاعتبار كون المسيحية تؤكد على عقيدة التوحيد أي ان الاله الخالق لهذا الكون والمدبر له هو واحد لا غير، ولكن هذا الاله له اقانيم ثلاثة وقد تجسد اقنوم من تلك الاقانيم فكان المسيحعليه السلام الابن.

ولذلك فاني في هذا البحث سأسعى الى استعراض ادلة المسيحيين التي يثبتون بها الوهية المسيحعليه السلام وانه اله او ابن اله، وكذلك السير التاريخي لهذه العقيدة وتطورها، وبعد ذلك نضع تلك الأدلة تحت مجهر النقد العلمي، ونجعل العقل هو الحاكم والقاضي على صحة او سقم تلك الأدلة ومن ثم نستعرض رأي القرآن الكريم حول شخصية المسيحعليه السلام وكذلك نستعين بالسنّة الشريفة وآراء بعض العلماء والمفسرين في بيان النظرة الاسلامية للمسيحعليه السلام .

وقد يقال أن المكتبات تحفل بآلاف الكتب المتخصصة التي كتبت حول العقيدة المسيحية ولا سيما لاهوت المسيح واُلوهيته، وكذلك العشرات من الكتب في رد هذه العقيدة من قبل المسلمين وغيرهم من العلماء، فما الجدوى من كتابة هذه الرسالة؟

وللاجابة على هذا السؤال اقول أن هذا البحث هو محاولة جديدة للتقريب بين النظرة المسيحية والاسلامية حول حقيقة المسيحعليه السلام ، فلو استطعنا اقناع المسيحيين بأن المسيحعليه السلام هو كلمة الله المتجلية وليس كلمة الله المتجسدة، وبمعنى آخر فلو قلنا بالتجلي عوضاً عن التجسد مع الاحتفاظ بالتمايز بين الخالق والمخلوق وهو الحق، لأمكن تفسير بعض الكلمات الواردة حول حقيقة المسيحعليه السلام سواء في العهد الجديد أم في القرآن الكريم ـ والذي حاول بعض علماء المسيحية من الاستدلال بها على صحة الاعتقاد بكون المسيح اله او ابن اله.

وسوف أتطرق في هذه الدراسة وفي القسم الأول حول المسيحية ونظرتها

لحقيقة المسيح، وأبدأ بالبحث أوّلا في المصدر الاساسي للعقيدة المسيحية ألا وهو الكتاب المقدّس ولا سيما العهد الجديد، ولابد قبل الخوض فيه أن أُشير الى مفهوم الوحي والالهام لدى المسيحيين والفرق بينهم وبين المسلمين حول هذين المفهومين، ومن ثم استعرض أسفار العهد الجديد وفترة كتابتها وقبولها بشكل رسمي وقانوني من قبل الكنيسة على أنها الاسفار الملهمة والمقدسة، واذكر رأي القرآن الكريم فيه.

وفي الفصل الثاني سنبحث فيه عن شخصية المسيح عليه السلام وحياته واوصافه وتعاليمه واقواله كما نقلتها اسفار العهد الجديد.

وخصّصت الفصل الثالث في أدلة المسيحيين حول ألوهية المسيح عليه السلام وكيفية الإجابة على الإشكالات والشبهات المطروحة وبالخصوص بعض آيات العهد الجديد التي تنفي ألوهية المسيح.

وسأستعرض في الفصل الرابع السير التاريخي لتطور الفكر المسيحي ولا سيما حول مسألة لاهوت المسيح عليه السلام والمذاهب والآراء التي ذكرت لعلماء المسيحية من القرن الأوّل الميلادي وحتّى نهاية القرن السابع الميلادي، وساشير باختصار الى المذاهب المسيحية المختلفة التي ظهرت في هذه الفترة حول حقيقة المسيح.

وفي القسم الثاني من البحث سأتناول حياة المسيح في الإسلام كما ذكرها القرآن الكريم والسنّة الشريفة وكذلك مسألة الألوهية ورأي القرآن الكريم في ذلك.

وهنا لابد أن أُشير الى مسألة اخيرة مهمّة وهي أنّي عُنيتُ في هذه الدراسة عناية خاصة بالمراجع المهمة والمقبولة التي كتبها المسيحيون أنفسهم ومن مختلف المذاهب والطوائف المسيحية، وكذلك اعتمدت في المصادر الاسلامية على كتاب الله العزيز أي القرآن الكريم وكذلك على الاحاديث النبوية من الكتب المعتبرة والتفاسير المشهورة في العالم الاسلامي.

القسم الأول

■ حقيقة المسيح في المسيحية

ويتضمن:

الفصل الأول: الكتاب المقدّس

الفصل الثاني: الأناجيل وشخصية المسيح

الفصل الثالث: الأدلة على ألوهية المسيح

الفصل الرابع: الكنيسة وألوهية المسيح

الفصل الأول

▣ الكتاب المقدّس

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: الوحي الكتابي في المسيحية

المبحث الثاني: العهد الجديد

المبحث الثالث: الأناجيل الأربعة:

أولا: إنجيل متى.

ثانياً: إنجيل مرقس.

ثالثاً: إنجيل لوقا.

رابعاً: إنجيل يوحنا.

المبحث الرابع: قانونية العهد الجديد

الفصل الأوّل: الكتاب المقدّس

المبحث الأوّل: الوحي الكتابي في المسيحية

من المسائل المهمّة التي يجب على الباحث في العهد الجديد دراستها هي مسألة الوحي بشكله العام والوحي الكتابي على نحو الخصوص، إذ أنّ دراسة العهد الجديد ومن دون فهم الوحي الكتابي لدى المسيحيين ستكون دراسة ناقصة وغير متكاملة، ولذا فإنّي أرى من الضروري وقبل البحث في الكتاب المقدّس عند المسيحيين وأعني به «العهد الجديد» دون العهد القديم، أن نلقي نظرة على مفهوم الوحي الكتابي لدى المسيحيين ليتسنّى لنا فهم العهد الجديد بشكل أفضل وأتم. وإنما سمي بالوحي الكتابي تمييزاً له عن الوحي النبوي، ويعنون به الإلهام الذي ألهمه الله سبحانه لكاتب الأسفار المقدسة، فهو بمثابة وحي إلهي إلى ذلك الشخص لكتابة ذلك السفر، وإن كان ذلك الشخص أحياناً نبي كما في بعض أسفار العهد القديم.

وكما هو واضح فإنّ علماء الكتاب المقدّس يؤكدون بأنّ العهد القديم والجديد كانا كليهما نتيجة لإعلان إلهي، أي أن الله تعالى أراد أن يعلن عن نفسه فأوحى بهذه الأسفار لبني إسرائيل ليكشف ويعلن عن نفسه، ولكن بشكل تدريجي في العهد القديم، وبشكل تام وكامل في العهد الجديد ولمجي (ابنه) عيسى المسيح عليه السلام ، ويضيفون بأنّ هذا الإعلان الإلهي مؤسس على أنّه سبحانه خلق الإنسان على صورته، ليعرفه ويحبه ويعبده ويخدمه وبذلك يمجده ولكي يكون دين الإنسان

صحيحاً ينبغي أن يؤسس على إعلان الله سبحانه[١].

فالخالق العظيم المنزّه لا يمكن أن تدنو خليقته منه حتّى يكشف هو عن نفسه، وعلى هذا فإنّ معرفة الإنسان بالله حيث وجدت، كانت متصلة بإعلانه السابق عن نفسه وناتجة عنه، ويؤكدون (والكلام للمسيحيين) أنّ الوسيلة التي يستخدمها الله (عزّ وجلّ) لكشف ذاته لخليقته العاقلة هي المخاطبة الشخصية من الله للإنسان **«فالله يجب أن يعبر عن فكره، يجب أن يتكلم»** ومن أجل ذلك كان الإعلان اللفظي الأداة الضرورية لأساس الإيمان، فهو كلمة الله سبحانه الصادرة منه للبشرية، وبدون هذه الكلمة لا يمكن أن يكون إيمان، فالمخلوق لا يستطيع التعرف على فكر الخالق إلاّ عندما يتكلّم الخالق، وأن أوضح إعلانات الله **«مسألة التجسد والفداء»**!! ما كانت تفهم لولا هذا الإعلان اللفظي، إذ كيف يستطيع الإنسان أن يعلم الحق المتناقض والغامض منذ الأزل والسر الإلهي حين تجسد الله في يسوع عليه السلام وقد محا خطيئة العالم بموته على الصليب من دون أن يخبره أحد عن ذلك، يقول (ب . ب وارفليد B . B Warfjeid) بهذا الصدد:

«يمكن الشك في إمكانية معرفة الإعلان الاسمي لله في يسوع المسيح وعلى حقيقته إن لم يكن هناك إعلان لفظي مهد له صاحبه ولاحقه»[٢].

فالوحي هو إبلاغ الكلام الإلهي للبشر بواسطة البشر، وهو عمل روح القدس، فالمسيحيون يعتقدون بأنّ الروح القدس يعمل في أفكار أشخاص مختارين وفي قلوبهم، ويجعلهم كأداة للوحي الإلهي، فاللفظة **«ثيوپنوستوس ـ theopneustos»** بمعنى **«موحى به»** هي نفس اللفظة التي يعبر بها عن التنفس، فيكون معناها الحرفي

---

(١) تفسير الكتاب المقدّس : ٣٢.

(٢) نفس المصدر : ٣٧.

(متنفس به) أو **«مستمد نفسه من الله»**[١]، ولكنهم يؤكدون أن هناك بوناً شاسعاً بين الوحي الذي يعلنه الله للبشر والإلهام الذي يوقظ العبقرية البشرية، فلذا يقولون بأنّه **«يجب أن لا نخلط بين وحي اشعيا النبي أو وحي بولس الذي له ميزته وخطورته في عالم العقيدة الدينية وبين إلهام شكسبير مثلا في عالم الشعر والأدب، أو مندلسون في عالم الموسيقى، أو أفلاطون في عالم الفلسفة»**[٢].

وتحدثنا أسفار العهد القديم عن الوحي باستعمالها كلمة **«جلا»** بمعنى كشف أو عرّف، وكلمة **«رأى»** التي تشير إلى أنّ الله سبحانه يسمح للإنسان أن يراه، ولهذا يسمي الكتاب المقدّس النبي **«حوزي»** أي الرائي الذي يتلقّى رؤيا الرب[٣].

وهذا الظهور للرب ترافقه كلمات يسمعها الموحى إليه، فمثلا الرؤيا التي يراها بلعام تتكون من كلمات سمعها، وكشف الله عن ذاته لصموئيل عبر ندائه له، فكانت رؤياه للرب إظهاراً لكلمة قالها له، فكلمة الله تعالى هي نفسها الوحي في أسفار العهدين، ولذا نلاحظ تكرر هذه العبارة كثيراً **«وكانت كلمة الرب»**[٤].

وكلمة الله سبحانه لا تمر عبر الإذن لترسل إلى العقل فكرة مجردة، بل هي قوة فاعلة، قائمة بذاتها وهي تدوم إلى الأبد، يرسلها الله إلى العالم ولا تعود إليه قبل أن تتم ما أمرها به، فهي قوة خلاّقة توجّه التاريخ وفق المخطط الإلهي[٥].

ففي الوحي الإلهي يكشف الباري عز اسمه الغطاء عما كان مخبأ عن البشر،

---

(١) قاموس الكتاب المقدّس مادة وحي: ١٠٢٠.

(٢) نفس المصدر: ١٠٢١.

(٣) وهنا أيضاً يؤكد علماء الكتاب المقدّس على أنّه لا يجب حمل هذه العبارات على ظاهرها فيفهم منها رؤية الله سبحانه بالعين المجرّدة، بل المقصود هنا هو أننا أمام لقاء بالرب واتصال بعالم السماء... (نفس المصدر السابق).

(٤) المدخل إلى الكتاب المقدّس ١: ٣٠.

(٥) نفس المصدر: ٣١.

ويعلن عما كان مستوراً في ذاته: وهذا الوحي يتم بإرساله سبحانه الروح القدس إلى أنبيائه (وأوليائه) فيحرك قلوبهم ويوجه حياتهم وأعمالهم ويؤثر فيهم أولا، ثم بعد ذلك يعلنونه ويكتبونه كلاماً.

ولكن المسيحيين يؤكدون أنّ هذا لا يعني البتة إلغاء شخصية الكاتب فإنّ الله عزوجل اعتنى بهؤلاء الرجال ناقلي الوحي وأعدّهم لهذه المهمة، وجعلهم في الكثير من الحالات وربما في معظمها يبلّغون هذا الوحي عن طريق الاستعمال العادي للقوى التي منحهم إياها، ولذا يمكن القول أنّ الكتّاب لم يكونوا دائماً على علم بأنّه يوحى إليهم **«أي بمعنى أنّهم كانوا لايعلمون بأنهم يكتبون أسفاراًقانونية!!»** ولكن بالمقابل أيضاً **«والكلام لعلماء المسيحية»** لا يمكن الشك في أنّه هناك وثيقة موحىً بها لم تجمع، وذلك تحت عناية الله تعالى، ولا ينكرون أنّ هذه الأسفار قد مرّت بتنقيحات قبل أن تصل إلى شكلها النهائي، والمطلوب أنّ هذا الشكل النهائي هو الوحي السماوي أي ما قصده الرب لتوصيله إلى عباده!! (١).

وهذا الذي ذكرناه عن الإعلان والوحي الكتابي هو ما يعتقده المسيحيون، وإن كانت هناك اعتراضات عليه من قبل بعض علمائهم ولكنه مقبول عند غالبيتهم، وأكتفي بهذا المختصر عن هذه المسألة بما يتلائم مع بحثنا.

المبحث الثاني: العهد الجديد

ان العهد الجديد هو القسم الثاني من الكتاب المقدّس، ويحتوي على كتابات تعود إلى النصف الثاني من القرن الأوّل المسيحي، ودونت هذه الكتابات باللغة اليونانية التي كانت شائعة آنذاك في حوض البحر الابيض المتوسط (٢).

---

(١) تفسير الكتاب المقدّس : ٤٣.

(٢) يعتقد بعض علماء الكنيسة أن اللغة اليونانية مناسبة جداً للفلسفة واللاهوت ولذلك أختارها الله

وهناك قسمان من النسخ للعهد الجديد[١]:

أولا: النسخ الاسفينية وهي المدونة بحروف كبيرة، فحروفها مفردة لا تتقطّع فيها تقريباً، وفي أعمدة متساوية العرض، وفي كل صحيفة من عامود إلى أربعة عواميد، وهذه نسخ مكتوبة في رقوق على هيئة كتب، واحدث النسخ الاسفينية كتبت في القرن العاشر الميلادي، وأقدم النسخ من بعض اسفار العهد الجديد وجدت مكتوبة على البردي وترجع إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين مثل بردي بودمر وغيره.

اما أم النسخ الكاملة من العهد الجديد بجملته فهي النسخة السينائية والنسخة الفاتيكانية وقد كتبتا في القرن الرابع الميلادي، وهناك أيضاً النسخة الاسكندرانية التي كتبت في القرن الخامس.

ثانياً: النسخ الجرارة وهي ما كتبت بالخط الاعتيادي، إذ أخذ النساخ منذ القرن الحادي عشر يكتبون على ورق مصنوع من القطن والكتان.

ولقد حاول علماء الكتاب المقدّس وضع نص موحد للعهد الجديد تتفق عليه كل الكنائس المسيحية يكون الأقرب إلى النص الأصلي، ولكن لا يزال يدور إلى اليوم جدل حول صحة بعض القراءات للعهد الجديد،والتشكيك قائم إلى يومنا هذا لبعض اسفار العهد الجديد وقانونيتها.

والظاهر أن العهد الجديد هو الاخر استقى كتّابه معلوماتهم من التعاليم الشفاهية، ودوّن كل واحد منهم ما وصل إليه من هذه التقاليد الشفوية في كتب، وكانت هذه الكتب في بداية القرن الثاني الميلادي تتجاوز المئة، وقد حاولت الكنيسة جمع ما

← لإيصال وصايا التعليم المسيحي، ويونانية العهد الجديد هي ما تسمى بـ«بالكوني» وهي اللغة العامية ممزوجة ببعض الاصطلاحات العبرانية ويظهر هذا الامتزاج بنوع خاص في انجيلي متى ومرقس وسفر الرؤيا.

(١) قاموس الكتاب المقدّس: ٧٦٤.

تراه مناسباً لتعاليمها ووضعته في كتاب واحد هو العهد الجديد،ورفضت الكثير من الكتب الاخرى التي كان البعض منها يحتوي على جزئيات أكثر عن حياة السيد المسيح ﷺ مما ذكره كتّاب الاناجيل الاربعة،ولكنها رفضته واعتبرت تلك الكتب اناجيل منحولة لا أعتبار لها.

وقد أنعقدت مجامع كنسية كثيرة لوضع لائحة للاسفار المقدسة للعهد الجديد، فقد أمر مجمع لادوكية (٣٦٣ ب. م) ومجمع هيبون (٣٩٣ ب. م) ومجمع قرطاجة (٣٩٧ ب.م) لائحة لأسفار العهد الجديد مماثلة إلى حد كبير للعهد الجديد الذي بين ايدينا اليوم. وأما السؤال عن الدلائل على كيفية جمع هذه الكتب فقط لتكون كتاباً واحداً دون غيرها ؟، فيجيب آباء الكنيسة على ذلك: «**أن بشائر الاربعة كانت وحدها قيد الاستعمال الرسمي، ويؤكد ذلك ما ذكره ايريناوس عن (الاناجيل الاربعة) وهو من آباء الكنيسة الاولين، وأيد ترتوليان وآباء آخرون في زمانه صحة هذا الأمر، ففي نهاية القرن الثاني كانت البشائر (الأناجيل) الاربعة واعمال الرسل (كتباً مقبولة) بلا جدل، كذلك لقيت رسائل بولس في هذا الوقت ما لاقته الاناجيل الاربعة من اعتبار، وهناك دلائل اخرى على قبول رسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا الأُولى، اما باقي كتب العهد الجديد فالدلائل على قبولها قليلة، وفي الواقع أن تاريخ جمع كتب العهد الجديد في كتاب واحد قانوني في القرنين الثالث والرابع الميلادي يدور حول مقام هذه الكتب الباقية، فأن اختيار الكتب (المصادق عليها) تأثر إلى حد كبير بملائمة هذه الكتب للقراءة الجارية في الكنائس**»[1] .

وهنا أيضاً نكتة يجب الالتفات إليها وهي أن اسفار العهد الجديد وحتّى نهاية القرن الثاني لم يكن أحد يتكلم بجلاء وصراحة عن الالهام فيها، حتّى آباء الكنيسة، بل الكنيسة كانت في القرن الثاني تعتبر العهد القديم فقط كتاباً مقدساً بالدرجة الأُولى، وكانت تسمية العهد الجديد ذاتها لم تكن قد ولدت بعد، بل كان لا

(١) المرشد إلى الكتاب المقدّس : ٧٣.

بد من انتظار عدة قرون قبل أن نسمع عبارة «**الكتاب المقدّس الملهم**» التي نُعت بها العهد الجديد [١].

وأما لماذا اختارت الكنيسة هذ الكتب دون غيرها، فالجواب هو «**أن هذه الكتب تعطينا بشكل أفضل ما كانت تؤمن به الكنيسة الأُولى، فانها توضح الإيمان الرسولي، أي ان اعتقاد الكنيسة هو أن هذه الكتب تمثل العصر الرسولي، فالواضح أن الكنيسة في القرن الرابع هي التي فتحت ميزة الالهام لهذه الكتب، ولكن علماء المسيحية يرفضون هذا القول ويؤكدون: أن الكنيسة لم تمنح صفة الالهام لهذه الاسفار (العهد الجديد) بل أن محتوى هذه الاسفار ذاته هو الذي دفع بالكنيسة لتميزها عن الكتب الاخرى**» [٢].

وقبل الخوض في البحث عن اسفار العهد الجديد أود الإشارة إلى مسألة الاخرى وهي ؛ أن المسيح عليه السلام لم يكتب شيئاً ابداً حسب ما تدعيه الكنيسة، بل ولم يأمر أحداً من تلاميذه بتدوين اقواله واعماله، ولكن بعد رفعه إلى السماء ولأسباب عديدة تذكرها الكنيسة [٣] بدء المسيحيون الاوائل بكتابة مستندات وكتب ورسائل تشير إلى حياة المسيح وتعاليمه، وكان ذلك بعد منتصف القرن الأوّل للميلاد.

وهي بهذا الادعاء تريد التأكيد على أنه لم يكن هناك في زمن المسيح عليه السلام أو حتّى بعد رفعه كتاب خاص به يسمى بالانجيل، بل كانت تعاليمه عليه السلام كلها شفاهية

---

(١) المسيح في الفكر الإسلامي، الحديث وفي المسيحية : ١١٧.

(٢) نفس المصدر : ١١٨.

(٣) ومن تلك الاسباب: رغبة المسيحيين بالحصول على معلومات أوسع عن حياة وتعاليم المسيح عليه السلام، وأيضاً تقدم السن بالرسل الاولين والاضطهادات التي كانت تحيطهم وتهدد حياتهم، وكذلك ظهور الافكار العقائدية الباطلة تحت تأثير الوثنية والعنصرية اليهودية، واخيراً البعد الزمني لظهور المسيح عليه السلام وتعاليمه، وكذلك الابتعاد عن مركز المسيحية أي مدينة أورشليم وغيرها من الاسباب. المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية : ١١٣.

ولم تدون ابداً، خلاف ما يدعيه الإسلام والقرآن، وسوف اتعرض إلى هذه المسألة عند مناقشة العهد الجديد انشاء الله.

وهناك مقولة للمسيحيين تقول أن الانجيل موجود في الاناجيل، أي أن انجيل يسوع له أربع روايات، وسمي كل واحد من كتّاب هذه الروايات إنجيلياً وبالعربية البشير أي مدون الانجيل أو البشارة.

وإما كلمة (انجيل) فقد استعملها المسيحيون منذ ظهور الدين المسيحي وهي كلمة يونانية تلفظ «**ايوانجيليون**» وهي اسم جنس واستعملت بمعنى البشرى أو البشارة أي الخبر السار المفرح، وأما استعمالها في المسيحية والعهد الجديد فتعني بشارة الخلاص التي حملها يسوع المسيح إلى الناس أجمعين [١] .

والظاهر أن الأناجيل الاربعة قد رأت النور في القرن الأوّل للميلاد، وقد كتبت في فترات مختلفة، فمثلا المشهور أن مرقس دون انجيله نحو سنة ٦٧، ومتى ولوقا بين ٨٠ ـ ٩٠ وربما قبل ذلك، ويوحنا قبل نهاية القرن الأوّل، وأما رسائل بولس فهي أقدم من الأناجيل كما هو معروف في التقليد المسيحي، وسفر اعمال الرسل والرسائل العامة الاخرى التي تشكل أسفار العهد الجديد كتبت جميعها قبل نهاية القرن الأوّل الميلادي، وأسماءها حسب الترتيب الموجود بين ايدينا في جميع نسخ العهد الجديد وهي تشكل ٢٧ سفراً هي كالتالي: انجيل متى ـ انجيل مرقس ـ انجيل لوقا ـ انجيل يوحنا ـ اعمال الرسل ـ رسائل بولس وهي ثلاث عشر رسالة: (رومة ـ كورنيثوس الأُولى ـ كورنيثوس الثانية ـ غلاطية ـ أفسس ـ فيليبي ـ كولوسي ـ تسالونيكي الأُولى ـ تسالونيكي الثانية ـ تيموثاوس الأُولى ـ تيموثاوس الثانية ـ تيطس ـ فليمون) ـ الرسالة إلى العبرانيين ـ الرسائل العامة وهي سبعة: (رسالة يعقوب ـ رسالة بطرس الأُولى ـ رسالة بطرس الثانية ـ رسالة

---

(١) المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية : ١٢٠.

يوحنا الأُولى ـ رسالة يوحنا الثانية ـ رسالة يوحنا الثالثة ـ رسالة يهوذا) ـ رؤيا يوحنا.

وقد سميت الأناجيل الثلاثة الأُولى بـ«**الأناجيل المتشابهة**»، العلاقة بين الأناجيل المتشابهة النظرة ومسألة حيرت العلماء لأجيال عديدة، فقد اعتبر الكثير من العلماء أن المصدر لهذه الأناجيل الثلاثة هو مستند واحد، وهذه الأناجيل تختلف كثيراً عن الانجيل الرابع (انجيل يوحنا)، وليس من السهل مقارنة انجيل يوحنا مع الأناجيل المتشابهة النظرة، وقد قال بعضهم أن يسوع في يوحنا يختلف كثيراً عن يسوع في الأناجيل الاخرى [(١)].

وسنشير هنا باختصار إلى الأناجيل الأربعة فقط لأنّها ستكون المصدر الأساسي للمسيحيين في إثبات اُلوهيته، وإن كانوا أحياناً يستشهدون أيضاً برسائل بولس.

المبحث الثالث: الأناجيل الأربعة

أولا: انجيل متى:

يحتل هذا الانجيل الصدارة في اسفار العهد الجديد، وينسب حسب التقليد المسيحي إلى القديس متى، ومتى مأخوذ من الاسم العبري «**متثيا**» ومعناه «**عطية الله**»، وله اسم ثان ذكر في انجيلي مرقس ولوقا وهو اسم (لاوي ابن حلفي) [(٢)]، ولقب بالعشار لانه كان يجبي ضريبة العشر في كفر ناحوم لحساب الرومانيين قبل أن يصبح من تلاميذ المسيحعليه‌السلام ، وكانت وظيفة الجباية محتقرة بين اليهود، ولا يعرف عن متى سوى القليل، فقد دعاه يسوع المسيحعليه‌السلام فترك عمله وتبعه ولزمه، وروي انه بشر اولا يهود أرض فلسطين، ثم غادر وطنه ورحل إلى بلاد العرب والحبش أو

---

(١) المرشد إلى الكتاب المقدّس : ٥٣٢.

(٢) قاموس الكتاب المقدّس : ٨٣٢.

الى بلاد فارس والعجم، ولا يعرف بالضبط سنة وفاته ومكانها[١].

وقد كتب متى انجيله باللغة الآرامية التي كانت اللغة السائدة بين اليهود في ذلك الزمان،وهي لغة السيد المسيح عليه السلام أيضاً التي تكلم بها مع الناس وأظهر دعوته، وهي لغة شبيهة إلى حد كبير باللغة السريانية، وقد تُرجم هذا النص الآرامي إلى اللغة اليونانية، ثم فقد الاصل الآرامي وبقيت ترجمته اليونانية فقط، واصبحت هذه الترجمة هي المعول عليها في البحث والنقل إلى سائر اللغات الاخرى والمعتمدة لدى الكنيسة، ولا يعرف احد بالتحديد مكان كتابته للانجيل أو زمان ترجمته إلى اليونانية ويحتمل أنها كتبت بين فترة ٥٠ ـ ١٠٠ ميلادي[٢]، وهناك رأي يقول أنه كتب في فلسطين لأجل المؤمنين من بين اليهود الذين اعتنقوا الديانة المسيحية المقيمين في فلسطين وسوريا، ويعتقد معظم المفسرين اليوم أن متي أخذ عن مرقس لا العكس كما كان الاعتقاد السائد في وقت ما، واعتمد هو ولوقا على مرقس في كتابة أنجيلهما.

وهناك رأي يقول أن متى كتب انجيله باللغة العبرية، فقد ذكر اوسابيوس عند حديثه عن متى الانجيلي شهادة بابياس اسقف هيرابولس من أن متى قد كتب ورتب اقوال وافعال يسوع في اللغة العبرية،وقد ترجمه واحد حسب امكانيته[٣].

ويظهر المسيح عليه السلام في انجيل متى على انه المعلم الكبير الذي له القدرة على تفسير شريعة الله المقدسة والاعلان عن ملكوت الله الآتي، ويمكن تقسيم مضمون الانجيل إلى الاقسام التالية:

١ ـ نسب يسوع المسيح وميلاده: ويبدأ من (١:١ إلى ٢٣:٢).

---

(١) المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية : ١٢٢.

(٢) المرشد إلى الكتاب المقدّس : ٤٧٤.

(٣) المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية : ١٢٢.

٢ ـ رسالة يوحنا المعمدان (يحيى): ويبدأ من (٣:١ إلى ٣:١٢).

٣ ـ معمودية يسوع المسيح وتجربته على يد ابـليس: ويـبدأ مـن (٣:١٣ إلى ٤:١١).

٤ ـ رسالة يسوع في الجليل: ويبدأ من (٤:١٢ إلى ١٨:٣٥).

٥ ـ الصعود من الجليل إلى أورشليم: ويبدأ من (١٩:١ إلى ٢٠:٣٤).

٦ ـ الأسبوع الاخير في أُورشليم وجوارها: ويبدأ من (٢١:١ إلى ٢٧:٦٦).

٧ ـ الصلب والقيامة وظهورهعليه السلام : ويبدأ من (٢٨:١ إلى ٢٨:٢٠).

وقد أنفرد انجيل متى في بعض القصص والاحداث والامثال والمعجزات عـن لوقا ومرقس، ويعتقد البعض أن في انجيل متى يبرز الطـابع اليـهودي أكـثر مـن الاناجيل الاخرى، ويختم متى انجيله بذكر وصية يسوع المسيح الاخيرة.

ثانياً: انجيل مرقس:

أن أنجيل مرقس هو الأقصر من بين الأناجيل الاربعة، وكاتب الانجيل اسـمه (يوحنا مرقس) ويوحنا اسمه اليهودي، ومرقس اسمه اللاتيني الذي يعني (مطرقة) وقد ورد اسمه عدة مرات في سفر اعمال الرسل، ودعي هناك بالاسمين منفردين أو مجتمعين، ولم يكن (يوحنا مرقس) من التلاميذ الأثنى عشر، وكانت امه تـدعى مريم وكان الرسل والمسيحيون الاولون يجتمعون عندها في البيت في اورشليم، ويزعم البعض أن مرقس هو نفسه الشاب الذي تبع يسوع لما أخذه اليـهود فـي بستان الزيتون ويستدلون على ذلك بأن مرقس قد أنفرد في رواية ما جرى لذاك الشاب وكأنه يريد أن يشير إلى نفسه إذ يقول: «**وتبعه شاب ليس عليه غير أزار فأمسكوه فتخلى عن الازار وهرب عرياناً**» (مرقس ١٤:٥١) [1].

---

(١) قاموس الكتاب المقدّس : ٨٥٣.

وكان مرقس هذا نسيباً لبرنابا أحد وجهاء كنيسة أُورشليم ورفيق بولس في سفره، وقد خسر مرقس مكانته عند بولس اثر تراجعه في منتصف الطريق في الرحلة التبشرية الأُولى، فصار على مشاجرة قوية بين بولس وبرنابا، وتصالح بعد ذلك مع بولس ورافقه إلى رومية، ولازم فيما بعد بطرس وخدمه حتّى دعاه بطرس ابنه.

ولا يعرف شيء حقيقي عن حياته بعد ذلك، إلاّ أن الآباء اتفقوا على انه مترجم بطرس وانه كتب انجيله تحت ارشاد بطرس، وذهب البعض إلى أن بطرس كتب بعض الحوادث التي شاهدها وان مرقس كتب انجيله بعد مطالعة هذه الكتابات [١].

وقد ذكر المؤرخ يوسيبوس بان مرقس كان اول من نادى برسالة الإنجيل في مدينة الاسكندرية في مصر وقد انشأ فيها الكنيسة واستشهد فيها سنة ٦٨ م، ويرمز إلى البشير مرقس في الفن المسيحي بصورة الاسد.

وأما تاريخ كتابة السفر فقد ذكر ايرينيوس أحد آباء الكنيسة الاولين أن مرقس كتب البشارة التي تحمل اسمه قائلا «**بعد أن نادى بطرس وبولس في روما وبعد انتقالهما سلم لنا مرقس كتابة مضمون ما نادى به بطرس**» فربما كتب هذا الإنجيل بين عام ٦٥ ـ ٦٨ ميلادي.

وهناك ملاحظة حول خاتمة هذا الإنجيل وهي أن الجزء الاخير منه (١٦:٩ ـ ٢٠) وجد في بعض المخطوطات القديمة ولم يوجد في البعض الاخر مثل المخطوطة السينائية ومخطوطة الفاتيكان [٢].

---

(١) وقد كتب بابيوس مستنداً إلى ما استقاه من يوحنا الشيخ لهذه العبارة التي اقتبسها يوسيبوس في تاريخه الكنيسي هذا أيضاً ما قاله الشيخ، أن مرقس وقد كان مفسراً لبطرس ومترجماً لآرائه، سجل جميع الاشياء التي تذكرها من اقوال المسيح واعماله، وذلك لانه لم يسمع الرب ولا كان من اتباعه، ولكنه اتبع بطرس فيما بعد كما ذكرت آنفاً» قاموس الكتاب المقدّس : ٨٥٤.

(٢) نفس المصدر.

والظاهر أن مرقس كتب انجيله في رومية نزولا عند طلب مسيحيي تلك المدينة، أو أنه تم كتابته في مكان ذي طابع لاتيني، وبعيد عن التأثير الفلسطيني، وقد أتّبع مرقس اسلوباً يختلف عن اسلوب متى، ويركز مرقس في انجيله على الاعمال الخارقة التي قام بها يسوع المسيح عليه السلام والاطار التي تمت فيه تلك الاعمال.

ويمكن تقسيم محتويات هذا الإنجيل إلى الاقسام التالية:

١ ـ ببشارة يسوع المسيح ومعموديته وتجربته من قبل الشيطان: ويبدأ من (١:١ إلى ١٣).

٢ ـ دعوة يسوع المسيح عليه السلام ورسالته في الجليل ومناداته هناك وقيام السلطات الدينية عليه: ويبدأ من (١:١٤ إلى ٩:٥٠).

٣ ـ رحلته عليه السلام من الجليل إلى أورشليم وابلاغ دعوته فيها وصلبه عليه السلام : ويبدأ من (١:١٠ إلى ١٥:٤٧).

٤ ـ قيامة المسيح والقبر الفارغ وخاتمة عن ظهوره عليه السلام بعد قيامته: ويبدأ من (١:١٦ إلى ١٦:٢٠).

وبهذا ينتهي الإنجيل الثاني من الأناجيل الاربعة.

ثالثاً: انجيل لوقا:

يمكن اعتبار انجيل لوقا بأنه السجل الأشمل بين السجلات التي بين ايدينا عن حياة يسوع المسيح عليه السلام ، وكان الاعتقاد سائداً في القرن الثاني للميلاد بأن لوقا هو كاتب الإنجيل الثالث وسفر اعمال الرسل، ولوقا اسم لاتيني وربما كان اختصاراً لـ «**لوقانوس**» أو «**لوكيوس**»، ويعتقد أن لوقا كان من الأُمم،بدليل ان بولس لم يذكره مع الاخوة اليهود بل افرده عنهم، وانه ولد من أبوين يونانيين في أنطاكية (سوريا)،

وهي المدينة التي دعي فيها لاول مرة اتباع يسوع مسيحيين، وكان يمارس الطب، وقيل انه كان رساماً وانه رسم صورة السيدة مريم العذراء، وتتلمذ لبولس واصبح معاوناً له، وكان غالباً في صحبته إلى أن استشهد بولس في رومية، فترك لوقا هذه المدينة، إلاّ اننا لا نعرف اين قضى بقية حياته ولا أين مات، وقد قيل انه بلغ السبعين من عمره أو الثمانين، والكنيسة تكرمه تكريم الشهداء [١] .

وقد كتب لوقا انجيله وسفر اعمال الرسل باللغة اليونانية، ويعتقد البعض من علماء الكتاب المقدّس أن لوقا اعتمد في كتابة انجيله على انجيل مرقس الذي كان احد المصادر الرئيسية لكتابه، ويذهب البعض إلى انه من الارجح أن لوقا استقى كثيراً مما كتبه وبخاصة عن ولادة يسوع وزيارته للهيكل في سن الثاني عشرة من العذراء مريم نفسها [٢] . وأما زمان كتابة هذا الإنجيل فالرأي المشهور هو انه كتب قبل سفر اعمال الرسل بوقت قصير، وبما انه من المرجح أن سفر اعمال الرسل قد كتب حوالي سنة ٦٢ أو ٦٣ ميلادية، لذا يحتمل انه قد كتب سنة ٦٠ ميلادي. ويذكر دارسو الكتاب المقدّس انه قد وردت في انجيل لوقا بعض الحوادث التي لم تذكر في غيرمن الأناجيل، فهناك ما يقرب من نصف البشارة خاص بلوقا دون غيره من البشيرين متى ومرقس، وهذا الإنجيل وسفر اعمال الرسل موجّهان إلى شخص واحد وهو ثيوفيلوس الروماني الذي يعتقد البعض انه كان مسيحي من أصل أممي.

ويمكن تقسيم مضمون هذا الانجيل إلى الاقسام التالية:

١ ـ مقدمة موجهة إلى ثيوفيلوس: ويبدأ من (١: ٥ إلى ٢: ٥٢) .

٢ ـ مولد يوحنا المعمدان (يحيى) وميلاد يسوع وطفولتهما: ويبدأ من (١:٥ إلى ٢:٥٢).

---

(١) المسيح في الفكر الإ سلامي الحديث وفي المسيحية : ١٢٧.

(٢) نفس المصدر: ١٢٨.

٣ ـ يوحنا يمهد الطريق ليسوع المسيح ومعموديته وتجربته: ويبدأ من (٣ : ١ إلى ٤: ١٣).

٤ ـ المسيح يبشر برسالته في الجليل: ويبدأ من (٤: ١٤ إلى ٩: ٥٠).

٥ ـ الرحيل من الجليل إلى أورشليم: ويبدأ من (٩: ٥١ إلى ١٩: ٢٧).

٦ ـ الاسبوع الاخير في أورشليم وجوارها وصلبه وقيامته: ويبدأ من (١٩ : ٢٨ إلى ٢٤ : ٥٣).

وبذلك ينتهي انجيل لوقا أيضاً وهو ثالث الأناجيل المتشابهة، والذي انفرد في نقل بعض الحوادث دون متى ومرقس كبشارة الملاك لزكريا وبشارته لمريم العذراء،وأيضاً بعض الامثال كمثل السامري الصالح ومثل الابن الضال، وكذلك يؤكد هذا الإنجيل أكثر من الانجيلين السابقين على صلاة المسيح عليه السلام الذي كان يحث عليها بشكل متواصل .

رابعاً: انجيل يوحنا:

ويختلف هذا الإنجيل عن الأناجيل الثلاثة الاخرى اختلافاً جذرياً مضموناً واسلوباً، ولم ينقل ممّا ذكره البشيرون الثلاثة الاّ القليل.

ولا يتضمن هذا الإنجيل أيّة أمثال، أما الاحداث التي يذكرها فقد حدثت معظمها في أورشليم أو ضواحيها.

والاعتقاد السائد في الكنيسة هو أن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الرسول احد تلاميذ المسيح عليه السلام [١]، ويوحنا هذا هو ابن زبدي من بيت صيدا في الجليل [٢]، دعاه المسيح عليه السلام مع اخيه يعقوب ليكونا من تلاميذه، ويبدو أنه كان على جانب من

---

(١) قاموس الكتاب المقدّس : ١١٠٩.

(٢) يوحنا: صيغة عربية للاسم العبري (يوحنان) والذي معناه (الله حنون).

الغنى لأن أباه كان يملك عدداً من الخدم المأجورين، وامه (سالومة) كانت على الارجح اخت العذراء مريم أم يسوع المسيح ﷺ، وكان قد أتخذ مهنة الصيد حرفة، لان عادات اليهود كانت تقتضي على اولاد الاشراف ان يتعلموا حرفة ما، وكان من تلاميذ يوحنا المعمدان (يحيى) اولا، ومن ثم تبع المسيح ﷺ واصبح من تلاميذه، وكان وأخوه حادي الطبع سريعي الانفعال والغضب، فلقبهما المسيح ﷺ بـ«**أبنا الرعد**» أو الغضب، وكانا طموحين نزاعين إلى العظمة والمجد، وفي قائمة الرسل يذكر يوحنا دائماً بين الاربعة الاولين، وكان احد الرسل الثلاثة الذين أصطفاهم المسيح ﷺ ليكونوا رفقاءه الخصوصين وهم بطرس ويعقوب ويوحنا، وقد سماه المسيح ﷺ بالتلميذ الحبيب، وكان يوحنا احد اعمدة الكنيسة في أورشليم إلى جانب يعقوب وبطرس.

ويدعى هذا الإنجيل ايضاً بالانجيل (الروحي)، والظاهر أن يوحنا كتبه أو أملاه في مدينة أفسس (في تركيا اليوم) في نهاية القرن الأوّل الميلادي أي بين سنة ٩٠ ـ ١٠٠ ميلادية. وقد كتب الإنجيل باللغة اليونانية.

وتعتقد الكنيسة أن الداعي إلى كتابة هذا الإنجيل هو تثبيت الكنيسة الأُولى في الإيمان بحقيقة لاهوت المسيح ﷺ وناسوته معاً وذلك لدحض البدع المضلة التي كان فسادها آنذاك قد تسرب إلى الكنيسة كبدع الدوكينيين والغنوسيين والكيرنسيين والابيونيين، فقد زعم الدوكينيون والغنوسيون أن جسد المسيح ﷺ لم يكن جسداً حقيقاً، وأنكر الكيرنسيون لاهوته، ورفض الابيونيون أنه كان قبل امه مريم، ولذلك فكانت الغاية من كتابته لهذا الإنجيل هو أثبات لاهوت المسيح ﷺ وناسوته معاً، فغاية يوحنا فيما دونه هي «**الإيمان بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله**»[1]، فأنه يروي في انجيله بعد مقدمة يقرن فيها كلمة الله بيسوع، عدة معجزات وتفسيره لها

(١) قاموس الكتاب المقدّس: ١١١١، وسوف اتعرض إلى هذه الفرق في بحثنا حول حقيقة المسيح ﷺ.

مما أدى إلى اعتقاد الكنيسة إلى أن هذه المعجزات تدل على كون المسيح هو ابن الله والمخلّص الموعود!، ويتميز كاتب الإنجيل هذا بانه يرمز إلى الحقائق الروحية بأستعارات مادية كالخبز والماء والنور والراعي وغيرها.

ويتضمن هذا الانجيل الفقرات التالية:

١ ـ مقدمة وفيها تعمق في سر التجسد: وتبدأ من (١:١ إلى ١:١٨).

٢ ـ يوحنا المعمدان وشهادته للمسيح‌ﷺ واتباعه الاوائل: ويبدء من (١:١٩ إلى ١:٥١).

٣ ـ يسوع يبدء تبشيره ويظهر المعجزات: ويبدء من (١:٢ إلى ١٢:٥٠).

٤ ـ ايام المسيح‌ﷺ الاخيرة ووصيته الاخيرة لتلاميذه وصلبه: ويبدء من (١:١٣ إلى ١٩:٤٢).

٥ ـ قيامة المسيح‌ﷺ وظهوره لتلاميذه: ويبدء من (١:٢٠ إلى ٢٠ ـ ١٣).

٦ ـ خاتمة: الظهور الثاني في الجليل: ويبدء من (١:٢١ إلى ٢١:٢٥) [١].

وبهذا ينتهي أيضاً إنجيل يوحنا والرابع من اناجيل العهد الجديد.

ونناقش الآن قانونية هذه الأناجيل وبعد ذلك نقدم نقداً مختصراً للعهد الجديد بشكل عام وللأناجيل بشكل خاص.

المبحث الرابع: قانونية العهد الجديد

أرى لزاماً أولا بيان تاريخ قانونية العهد الجديد [٢]، فالمشهور والمعروف في

---

(١) هذه الخاتمة الحاقية كما أعترف بذلك العديد من علماء الكتاب المقدّس وانها أضيفت إلى السفر في وقت متأخر.

(٢) ان كلمة: قانون، تعني باليونانية مقياس أو معيار، وقد أطلق اللفظ: قانوني، أو قانونية على قائمة الكتب التي قبلتها الكنيسة بوجه عام باعتبارها كتبت بوحي والهام سماوي، وأما تاريخ قانونية العهد

←

تاريخ المسيحية هو أن قانونية هذه الاسفار التي بين ايدينا الآن والتي تمثل بمجموعها اسفار العهد الجديد، لم يتحدد موقف نهائي منها إلاّ في اواخر القرن الرابع الميلادي. ولكن هذا لا يعني ان هذه الكتب لم تكن معروفة ومتداولة في ذلك الزمان، بل كانت متداولة ومقبولة على نطاق واسع، مع بقية الكتب الاخرى التي سميت فيما بعد بالكتب المنحولة.

وهذا يعني أن المسيحيين الاوائل كانوا ينظرون إلى هذه الاسفار والكتب على انها مؤلفات تنقل ما عمله المسيح‌ﷺ ومعجزاته وتعاليمه كما نقلها التقليد الشفوي، فهي لم تكن قد اكتسبت بعد صفة الإلهام والوحي.

وهناك رأي يقول ان الأناجيل الاربعة قد جمعت معاً في انجيل واحد رباعي حوالي سنة ١٥٠ ميلادي، ويعزي البعض السبب في جمع اسفار العهد الجديد إلى (ماركيون) وذلك حوالي سنة (١٤٠) ميلادي، عندما حاول جمع عدد من الكتب المسيحية لاستئصال نفوذ العهد القديم، وايجاد معادل لذلك العهد، سمي بالعهد الجديد.

وقد كان ماركيون عنيفاً في آراءه ضد اليهودية، فقد اعتقد بأن إله اليهود الذي اعطى (الناموس) لموسى‌ﷺ وخلق العالم كان في الحقيقة الهاً شريراً! وفي تصنيفه للعهد الجديد فقد ضم إليه: انجيل لوقا ـ الرسالة إلى أهل غلاطية ـ الرسالة الأُولى والثانية إلى أهل كورنثوس ـ الرسالة إلى أهل رومة ـ الرسالة الأُولى والثانية إلى أهل تسالونيكي ـ الرسالة إلى أهل أفسس ـ الرسالة إلى أهل كولوسي ـ الرسالة إلى أهل فيلبي ـ الرسالة إلى فيلمون. وقد عرف هذا العهد باسم: (الإنجيل والرسول)

← الجديد فنعني به تاريخ افراز الكتب والاسفار من بقية المؤلفات والكتب المسيحية الأُولى، واضافتها إلى الكتاب المقدّس وهو الذي كان يطلق عليه حتّى اواخر القرن الثاني باسم «العهد القديم».

الذي اقامه ماركيون ضد: الناموس والأنبياء التي يشتمل عليهما العهد القديم[١].

وأما التاريخ الدقيق لقبول هذه الاسفار على انها كتب قانونية، ومن ثم كتب مقدسة وموحاة من الله، فلا يوجد هناك عالم من العلماء يمكن أن يجزم به، بل وحتّى مكان ذلك، ولذلك يقول علماء الكتاب المقدّس: **«ليس لدينا أي معرفة محددة بالنسبة للكيفية التي تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الاربعة، ولا بالمكان الذي تقرر فيه ذلك»**[٢]. بل يحتملون أن يكون كل انجيل من الأناجيل الاربعة القانونية قد أكتسب التداول والنفوذ عن طريق تبني احدى الكنائس الكبيرة له.

ولهذا فإن اغلب علماء الكتاب المقدّس يذهبون إلى أن شرعية وقانونية العهد الجديد بأسفاره ككل انما تمت بعد النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، بل حتّى إلى زمان بداية القرن الرابع كانت الاختلافات كثيرة حول هذه الكتب والمؤلفات، ويصف ايزبيوس هذا الوضع المتأزم حول الكتب الكثيرة التي انتشرت في العالم المسيحي، فيقسم هذه الكتب إلى ثلاث طبقات وهي:

١ ـ كتب قبلت بوجه عام: وهي: الأناجيل الاربعة ـ أعمال الرسل ـ رسائل بولس ـ رسالة بطرس الأُولى ـ رسالة يوحنا الأُولى ـ ويمكن اضافه رؤيا يوحنا.

٢ ـ كتب لا تزال موضع جدل، لكن قد اعترف بها على نطاق واسع: وهي ـ رسالة يعقوب ـ رسالة يهوذا ـ رسالة بطرس الثانية ـ رسالة يوحنا الثانية والثالثة.

٣ ـ كتب مرفوضة: وهي: رسالة اعمال بولس ـ راعي هرمس ـ رؤيا بطرس ـ رسالة برنابا ـ وبالنسبة للبعض رؤيا يوحنا[٣].

وهذه الكتب المرفوضة التي ذكرت هنا ماهي إلاّ نزر يسير من كتب كثيرة، وقد

---

(١) المسيح عليه السلام في مصادر العقائد المسيحية: ٣٤.

(٢) نفس المصدر: ٣٥.

(٣) نفس المصدر: ٣٦.

ذكرت تلك الكتب المرفوضة في مصادر مسيحية مختلفة، فمثلا تذكر دائرة المعارف الامريكية قائمة باسماء الكتب المرفوضة وهي:

١ ـ انجيل لوقا.

٢ ـ انجيل متى المكذوب.

٣ ـ الأناجيل اليهودية المسيحية وهي أربعة: انجيل العبرانيين ـ انجيل الناصرين ـ انجيل الاثنى عشر ـ انجيل الأبيونين.

٤ ـ انجيل المصريين: وقد عرف بذلك لإنتشاره بينهم، وقد أشار له كليمنت السكندري، وأوريجين.

٥ ـ انجيل بطرس: وهو قديم جداً، وقيل أنه كان يستخدم للقراءة الخاصة أو للعبادة في الربع الاخير من القرن الثاني.

٦ ـ انجيل باسيليوس: من اصل اسكندري، تكوّن قبل منتصف القرن الثاني.

٧ ـ انجيل ماركيون: وهو نسخة من انجيل لوقا كتبها ماركيون.

٨ ـ انجيل ابللس: تلميذ لماركيون.

٩ ـ إنجيل ناسينس: ينسب لطائفة غنوسية.

١٠ ـ انجيل فيليب: من المحتمل أن يكون أصله قد تكون في الربع الاخير من القرن الثاني، وكانت تستخدمه طائفة غنوسية مصرية.

١١ ـ أنجيل ماتياس.

١٢ ـ انجيل مريم: توجد منه ثلاث قصاصات فقط، احداها بالقبطية.

١٣ ـ انجيل برثولماوس: توجد منه نسخ باللاتينية واليونانية القبطية وفيه أن يسوع سمح لبرثولماوس أن يرى الشيطان ويسأله، وقد وجده ٦٠ ذراع طولا، ٣٠٠ ذراع عرضا، ويحرسه ٦٠٦٤ ملاك ؟

١٤ ـ انجيل نيقوديموس: اصبح منتشراً في الحقبة الاخيرة.

١٥ ـ انجيل غمالائيل.

١٦ ـ انجيل الكمال.

وبالاضافة إلى هذه الأناجيل والكتب، هناك اناجيل وكتب اخرى ذكرها آباء الكنيسة الاوائل، ولكن للاسف لا يوجد منها حالياً أي نص، فهي مطموسة المعالم لعلماء اليوم، ومنها:

١ ـ انجيل اندراوس.

٢ ـ رسالة اعمال اندراوس.

٣ ـ انجيل برنابا.

٤ ـ انجيل الانكراتيين.

٥ ـ انجيل هسيشيوس.

٦ ـ انجيل يهوذا.

٧ ـ رؤيا إستفانوس.

٨ ـ انجيل ثداوس.

٩ ـ انجيل الحق.

ورسائل اخرى كثيرة كتبت تحكي أعمال الرسل [١].

وقد جاء في سيرة القديس (امفيلوخيوس) الذي عاش في سنة (٣٧٤) سنة ميلادي، ولمعت شهرته في سيرته النسكية وفي سعة معارفة اللاهوتية أنه نظم قصيدة في اسماء الكتب القانونية فيقول:

«يجب أن تعلم ان ليس كل كتاب دعي كتاباً مقدساً يجب علينا قبوله واعتباره دليلا اميناً صادقاً، فبعض الكتب متوسط في الاعتبار على نسبة مايحويه من الحقائق، والبعض الآخر مزور ومضلل للقراء بدرجات متفاوتة، ولذلك فأني معدد فيما يلي ما كتب بوحي الهي: أسفار العهد

---

(١) نفس المصدر: ٣٨.

القديم....، اما في العهد الجديد فلا تقبل إلاّ الأناجيل الاربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا واعمال الرسل، اضف إليها رسائل الاناء المصطفى بولس الرسول وهي أربعة عشر رسالة... عدا الرسالة التي قال عنها البعض خطأ أنها مزورة وهي رسالته إلى العبرانيين، ثم الرسائل الجامعة، وقد قال البعض انها ثلاث وآخرون قالوا انها سبع رسائل، اما نحن فيجب أن نقبل رسالة يعقوب ورسالة بطرس ورسالة يوحنا وأن قال البعض أن ليوحنا ثلاث رسائل ولبطرس رسالتين، عدا رسالة يهوذا وهي في حسابهم السابعة، واما كتاب الرؤيا ليوحنا فالبعض يقبلونه وعدد غفير يقول انه مزوّر، هذا هو القانون الاقرب إلى الحقيقة في الكتب المقدسة الموحى بها من الله» [١].

وبهذا يتأكد لنا أن الاسفار الموجودة بين ايدينا الآن من العهد الجديد كانت قد قبلت على انها اسفار مقدسة في القرن الرابع الهجري على اقل تقدير، ويقول جيمس بنتلي بهذا الصدد: **«وفي الحقيقة فأن القائمة الأُولى المدونة من قبل أي شخص ذي سلطة في الكنيسة والتي احتوت على جميع الاسفار السبعة والعشرين للعهد الجديد الموجودة بين ايدينا اليوم، كانت قد كتبت عام ٣٦٧ ميلادي، ففي ذلك العام أخبر البطريرك (أثناسيوس الاسكندري) أسقف مصر بضرورة اعتبار الأسفار السبعة والعشرين قانونية، مضيفاً: حتّى السفرين الاخرين (أحدهما رسائل راعي هرماس) فيجب اعتبارهما مفيدين لأرشاد المبتدئين في العقيدة.. وقد اعتبر القديس (ايريناوس) رسائل راعي هرماس على أنها ملهمة»** [٢].

والحقائق الموجودة تؤكد أنه ليس هناك شخص يستطيع التأكد من الكتب الإلهية الملهمة وغير الملهمة لأسفار العهد الجديد في الكنيسة الأُولى، بل أن علماء الكتاب المقدّس يؤكدون بأن كاتبي هذه الاسفار أحياناً لم يكونوا على علم بأنهم

---

(١) مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة: ٩٠٦. ويضيف مؤلف الكتاب في تعليقة على هذا القول: «صار لدينا الآن خمس قوائم مختلفة في عدد الكتب المقدسة القانونية وقد ثبتها كلها ووافق عليها المجمع المسكوني السادس (مجمع ترولو)، والمجمع المسكوني السابع، وهذا مما يقودنا على الاستنتاج ان موافقة المجمعين اعطيت بصورة اجمالية غير محدودة) حاشية: ٩٠٦.

(٢) اكتشاف الكتاب المقدّس قيامة المسيح عليه السلام في سيناء: ١٥٦.

يكتبون اسفاراً ملهمة مقدسة! فالمخطوطات السينائية فيها أشارة قوية إلى أنه في الكنيسة الأُولى (القرن الأوّل والثاني على أقل تقدير) لم يكن هناك شخص متأكد تماماً من كلمات الله الملهمة وغير الملهمة، وقد ساعدت اكتشافات الكتابات الغنوصية في هذا القرن وخاصة الأناجيل الغنوصية على فهم الطبيعة المتباينة لكتابات المسيحيين الاوائل وذلك لكثرتها، وعليه فأن اقدم عهد جديد كامل في حوزتنا لا يمثل العهد الجديد نفسه والذي قبلت به الكنائس اليوم، وفي منتصف القرن العشرين توقف العلماء عن النظر إلى ذلك كأمر محير بل مذهل [١].

وهناك مشكلة اخرى جدية حول اسفار العهد الجديد، وهي مشكلة **«النص»** والتي تعتبر بحق مشكلة المشاكل التي تشغل ذهن علماء الكتاب المقدّس في هذا القرن، والذي ظهرت بسببها علوم ودراسات نقدية كثيرة، كلها تهدف لمعرفة حقيقة النص الأصلي، إذ انه وحتّى زمان اختراع الطباعة لم يكن هناك اتفاق كامل على أي من نصوص العهد الجديد اليونانية أو اللاتينية، وذلك لأن كل النسخ التي كانت موجودة حتّى مجمع نيقية قد ضاعت، فتقول دائرة المعارف البريطانية بهذا الخصوص: **«أن النسخ الاصلية (اليونانية) لكتب العهد الجديد فنيت منذ مدة طويلة، (وفيما عدا بعض بقايا من صعيد مصر) فأن كل النسخ التي استخدمها المسيحيون في الفترة التي سبقت مجمع نيقية قد غشيها نفس المصير»** [٢].

ولذلك فأن مسألة الوصول إلى نص واحد يعتبر هو النص الأصلي لأسفار العهد الجديد امر غير ممكن ابداً، وكانت هناك محاولات عديدة من قبل علماء الكتاب المقدّس ولكنها باءت بالفشل، حتّى أن دائرة المعارف البريطانية تقول بهذا الصدد: **«انه أمل لا طائل من ورائه أن نتصور امكانية الوصول إلى النص الأصلي، وذلك عن طريق**

---

(١) نفس المصدر : ١٦٠.

(٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية : ٤٠.

ترتيب: النص السكندري، والنص الغربي القديم، والنص الشرقي القديم (البيزنطي)، ثم قبول النص الذي يتفق عليه اثنان منهم ضد الآخر»[١].

إذن نستخلص نتيجة من هذه المقدمة وهي؛أن هذه الاسفار الموجودة حالياً للعهد الجديد انما قبلت قانونيتها في القرن الرابع الميلادي من قبل الكنيسة، وانها حتّى ذلك الوقت لم تعترف بها الكنيسة على انها اسفار مقدسة وملهمة (على الاقل البعض منها)، بل أن مؤلفيها أيضاً لم يتفوه احد منهم بانه يكتب وحياً سماوياً، بل ولم يخطر على باله ذلك ابداً، وأن النصوص الاصلية بل ونسخ النسخ فقدت كلياً، والنسخ التي بحوزتنا تحتوى اخطاءً كثيرة منها غير متعمدة واخرى متعمدة، ويقول جيمس بنتلي بهذا الصدد: **«ومن الجدير بالذكر أن جميع المخطوطات الانجيلية التي بحوزتنا تحتوى أخطاء، قد يكون السبب وراءها ضعفاً في سمع الخطاط أو بصره أو ضعف في التهجئة أو عدم الانتباه، وهناك أخطاء أُخرى متعمدة لتغيير النص وفقاً للتغييرات في المعتقدات اللاهوتية والعقائدية»**[٢].

وهذا يؤكد بلا شك أن عملية اضافة صبغة الالهام والوحي ونسبته إلى هذه الكتب ما هي إلاّ من عمل الكنيسة والمجامع المسكونية، ولنا أن نتساءل عن المعيار الذي اتخذته الكنيسة في انتخاب هذه الكتب على انها كتب مقدسة في حين رفضت اضعاف هذه الكتب ومنها كتب رسل للمسيح عليه السلام مثلا برنابا وغيره واعتبرتها كتباً منحولة وغير قانونية؟ فيأتي الجواب بلا شك من أن هذه الكتب هي الاقرب إلى تعاليم الكنيسة ومعتقداتها، وإذا اعدنا السؤال وقلنا ومن اين اخذت

---

(١) نفس المصدر : ٤٢، والنص السكندري: الذي يبدو أن له بعض الصلة بالعالم المسيحي (أريجين) الذي يعتقد انه اول من اولى العناية لمعرفة النص الدقيق لكلمات الإنجيل، النص الغربي القديم: وهي النصوص الباقية على حالتها دون تصحيح في الفترة التي سبقت مجمع نيقية (٣٢٥) وخصوصاً منذ حوالي عام ١٥٠ عندما جمعت الأناجيل معاً لاول مرة تحت إعلان واحد.

(٢) اكتشاف الكتاب المقدّس قيامة المسيح في سيناء : ٧.

الكنيسة هذه التعاليم والعقائد؟ فالجواب هو أنها اعتمدت في ذلك على اسفار وكتب العهد الجديد، وهذا دور باطل كما هو واضح. وقد ذهب البعض وهروباً من هذه الدوّامة إلى القول بأن: «**العامل الرئيس الذي ساد اختيار هذه الكتب كان (الرسولية) أي الاعتقاد أن هذه الكتب تمثل العصر الرسولي**»[١].

ولكن هذا أيضاً مردود لأنه إذا كان الأمر كذلك فلماذا أهملت ورفضت الكثير من الكتب والرسائل التي كتبت في زمان الرسل الاوائل ومنها رسائل برنابا وانجيل توما وراعي هرماس وغيرها الكثير الذي كان ولا زال البعض من علماء الكتاب المقدّس يعتقد أن اهميتها تفوق اهمية بعض الرسائل الموجودة حالياً ضمن اسفار العهد الجديد كرؤيا يوحنا وغيرها.

والآن سأتناول بالبحث ـ بعد هذه المقدمة ـ أناجيل العهد الجديد فقط، ولننظر هل هي حقيقة اسفار موحاة من الله سبحانه، فإذا كان الأمر كذلك فإن الوحي الالهي له خصائص ومميزات يجب أن تتوفر فيه كي يمكن الاعتماد عليه على أنه وحي الهي، مثلا أن لا نجد بين طياته اختلاف وتعارض، لأن ذلك ينافي كون مصدر هذا الوحي واحد وهو الله الحكيم، وأيضاً أن لا تخالف تعاليمه التعاليم الثابتة لدى جميع الالهيين كالتوحيد وغيرها، ولنلقي نظرة على هذه الاسفار فهل نجدها تتمتع بمثل هذه الميزات أم لا ؟

الأناجيل الاربعة:

وهذه الأناجيل هي: «**متى ـ مرقس ـ لوقا ـ يوحنا**»، والثلاثة الأُولى كما ذكرنا تسمى «**بالاناجيل المتشابهة**» بينما الإنجيل الرابع يختلف كلياً عن هذه الأناجيل الثلاثة الأُولى، والسؤال المطروح حول الأناجيل هو؛ من أي منبع استقى هؤلاء الكتّاب

---

(١) المرشد إلى الكتاب المقدّس : ٧٤.

معلوماتهم عن المسيح ﷺ وتعاليمه؟.

والجواب هو أنهم اعتمدوا على التقليد الشفهي الذي اخذوه عن الرسل، وهي تعاليم وروايات كانت تنقل شفاها طيلة عشرات السنين من فم إلى فم حتّى دوّنها كتّاب الأناجيل، فإذا قلنا أنهم كتبوا اناجيلهم نقلا عن شهود عيان كانوا مع المسيح ﷺ والتلاميذ الاثني عشر، فأين الوحي والالهام الالهي إذ كانوا قد اعتمدوا في نقلهم على افواه الناس ؟ وهذا ما يؤكده لوقا في بداية انجيله حيث يقول: «**إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذي كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأوّل بتدقيق أن اكتب على التوالي إليك ايها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي عُلّمت به**» انجيل لوقا (١:١).

وإذا كان الكتّاب انفسهم يؤكدون أنهم يكتبون ما وصل إليهم من التعاليم عن طريق الناس فما هذا الاصرار من قبل الكنيسة على أن هذه الكتب هي وحي الهي سماوي!؟، فهذا لوقا في انجيله ـ وغيره في رسائله يؤكدون ـ أنه يكتب بدافع شخصي بحت إلى صديقه ثاوفيلس، ولا يدّعي انه يكتبها بإلهام أو عن طريق روح القدس، والكنيسة تعترف أنه لم يكن يعلم وقت كتابتها بانه كان ملهماً وأن الروح القدس هو الذي اوحى بها إليه، ولكنها تؤكد أن الروح القدس هو الذي اوحى إليه المعنى الذي اراده الله أن يثبته في كتابه من دون أن يخبر لوقا والكتّاب الاخرين بذلك!.

ونتساءل ونقول إذا كان الأمر كذلك وأن هذه الكتب هي من وحي سماوي، فلماذا هذا التأخير في كتابة هذه الأناجيل المقدسة إلى المؤمنين المسيحيين مع شدة احتياجهم إليها،وخصوصاً مع انتشار العشرات من الكتب والرسائل والتأليفات وكلها تدّعي أنها تنقل تعاليم المسيح ﷺ الحقة وهي كاذبة ومحرفة؟ ولكننا نرى علماء الكتاب المقدّس انفسهم يعزون ذلك إلى اسباب وعوامل عديدة هي التي أدت إلى التأخير في كتابة الأناجيل ومنها:

١ ـ أن المسيحيين الاوائل لم يكونوا ـ أو الغالبية العظمى منهم ـ طائفة مثقفة أو متعلمة، بل كانوا من السذج والفقراء والاميين.

٢ ـ العادة السائدة في فلسطين في زمان ظهور دعوة المسيح عليه السلام هي أن التعاليم الدينية تنقل شفاهاً.

٣ ـ ثمن التكاليف والمواد اللازمة للكتابة كان عائقاً بالنسبة للمسيحيين، الذين كانوا من الطبقات الفقيرة والمعدومة (الاكثرية الساحقة على الاقل).

٤ ـ تفشّي فكرة المجي الثاني للمسيح عليه السلام بين أتباعه، أي عودته إلى الأرض، وهذا عامل نفسي مهم ومؤثر في عدم الاهتمام بالكتابة.

٥ ـ الصعوبة في جمع البيانات والمعلومات اللازمة للكتابة، ولا سيما في فترة المسيحية الأُولى التي عانت من الاضطهاد الشديد من قبل اليهود وغيرهم[1].

وهذا يدلل على أن التأخير في فترة الكتابة لم يكن لحكمة ومشيئة الهية كلياً، بل هناك عوامل وظروف مادية قاهرة هي التي أدت إلى التأخير في كتابة هذه الاسفار إلى فترة تتجاوز ما لا يقل عن نصف قرن بعد رفع المسيح عليه السلام.

واما إذا القينا نظرة إلى محتويات هذه الأناجيل فسوف نصل إلى حقيقة لا تقبل الشك وهي أن هذه الكتب ليست وحياً الهياً ولا ترجع إلى مصدر واحد، للاختلافات والتناقضات الكثيرة التي توجد فيها، التي يعترف بها علماء الكتاب المقدّس أنفسهم، ولكنهم يحاولون قدر المستطاع الإجابة على هذه التناقضات ولكن دون طائل، وأيضاً هي لم تنقل إلينا الكثير من الأُمور عن شخصية المسيح عليه السلام وحياته، وهذا ما دفع البعض من العلماء إلى القول: **«أن الأناجيل لم تكن سيرة للمسيح أو مذكرات عن حياته، او حتّى حوادث تستحق التدوين سطرها أشخاص لتمكين تعاليمه، انما الأناجيل عبارة عن تجميع لموضوعات متواترة تناقلتها الكنيسة شفاها في اول الأمر، ثم كتبت**

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية : ٤٩.

فيما بعد وصنفت لتحقيق مطالب الكنيسة في التهذيب والعبادة والدفاع عن معتقداتها»[١].

وأخيراً فإن قبلنا بأن هذه الاسفار (على ما فيها) هي اسفار الهية موحاة من قبل الله تعالى، فانّه تبقى هناك مشكلة أيضاً، وهي: ان العهد الجديد الذي بين ايدينا اليوم يختلف كثيراً عن النصوص الاصلية له، إذ تعتبر مخطوطات سيناء أقدم كتاب مقدّس في العالم وتتضمن الاجزاء الكاملة للعهد الجديد، وبعد أن فحص علماء الكتاب المقدّس هذه المخطوطات التي اكتشفت في جبل سيناء ظهر أن هناك فرقاً شاسعاً بينها وبين العهد الجديد الذي بين ايدينا، يقول جيمس بنتلي بهذا الصدد: **«الفرق بين المخطوطة السينائية والعهد الجديد كما يراها المسيحيون في يومنا هذا أمر يدعو للدهشة، ومع أن العلماء قد فحصوا ودرسوا المخطوطة، إلاّ أن قلة من المسيحيين يدركون الاختلاف، وقلة اخرى تقبل الاعتراف بتلك النصوص»**[٢].

ويقول جي. اج. سي برنستن: **«ليدرك علماء الكتاب المقدّس جيداً اننا بعيدون اليوم كل البعد عن امتلاك المخطوطات الاصلية التي كتبها مؤلفو العهد الجديد»** ويضيف قائلا: **«ومن الجدير بالذكر أن جميع المخطوطات الانجيلية التي بحوزتنا تحتوي اخطاء، قد يكون السبب وراءها ضعف في سمع الخطاط أو بصره أو ضعف في التهجئة أو عدم الانتباه، وهناك أخطاء اخرى متعمدة لتغيير النص وفقاً للتغييرات في المعتقدات اللاهوتية والعقائدية»**[٣].

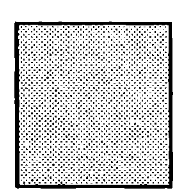
فالامر المسلّم به هو أن هذه النصوص التي بين ايدينا من اسفار العهد الجديد قد شهدت تغييرات كثيرة جداً سواءً كانت تلك التغييرات متعمدة أو غير متعمدة، والظاهر أن للكنيسة المسيحية اليد الطولى في هذه التغييرات التي طرأت على أسفار العهد الجديد لتجعلها تتلائم ومعتقداتها وافكارها.

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية: ٤٤.

(٢) اكتشاف الكتاب المقدّس قيامة المسيح في سيناء: ٢٠.

(٣) حياة السيد المسيح في القرآن الكريم، ص ٢٧، ط ١، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٢ م.



الفصل الثاني

الأناجيل وشخصية المسيح

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: حياة المسيح في الأناجيل

أولا: ولادته.

ثانياً: طفولته وصباه.

ثالثاً: معموديته وتجربته من قبل الشيطان.

رابعاً: بدء دعوته العلنية.

خامساً: اختياره للتلاميذ.

سادساً: إلقاء القبض عليه ومحاكمته وصلبه.

المبحث الثاني: شخصية المسيح في الأناجيل

أولا: يسوع المسيح.

ثانياً: ابن الإنسان.

ثالثاً: ابن الله.

رابعاً: ابن داود.

خامساً: النبي.

سادساً: رسول الله.

سابعاً: الراعي الصالح.

ثامناً: المعلم.

المبحث الأول: حياة المسيح في الأناجيل

يمكننا القول أن المسيحية بالحقيقة تدور حول محورية شخصية المسيحعليه السلام، فهي ليست مجموعة من التعاليم والوصايا والمؤسسات، بل هي قبل ذلك يسوع المسيحعليه السلام والشركة معه، فالمسيحي هو الذي يؤمن بيسوع المسيحعليه السلام ويحيا به وله، ويؤمن أن ملأ الزمان قد ظهر في يسوع المسيحعليه السلام وانه ابن الله الوحيد الذي جاء ليخلص البشرية ويعقد المصالحة بين الله الخالق والإنسان الخاطي.

ولهذا فأن البحث عن شخصية المسيحعليه السلام وحقيقته يعتبر من المسائل المهمة جداً في الديانة المسيحية، فهو الإنسان والإله في آن واحد، وانكار أي طبيعة وشخصية له (الانسانية أو الإلهية) يعتبر خروجاً عن تعاليم الكنيسة والإيمان المسيحي الموجب للخلاص، فالمسيحعليه السلام انسان ولد من أم بشرية ونما وكبر وتعلم صنعة، وهو يجوع ويعطش ويتعب ويفرح ويتألم، فهو انسان شبيهٌ لنا في كل شيء ما خلا الخطيئة، وهو بالاضافة الى هذه الجنبة الانسانية له جنبة الهية فهو اله حقيقي كما هو انسان حقيقي، وهو ابن الله الحبيب الذي أرسله الله الى البشرية لخلاصها، ولابد هنا اولاً الاشارة الى كيفية نشوء الآراء في شخصية المسيحعليه السلام وتطورها خلال السنين المتمادية حتّى وصلت الى ماهو عليه اليوم، أي معرفة السير التاريخي للعقيدة المسيحية في المسيحعليه السلام والتطورات التي مرت بها، لتتضح لنا الحقيقة في شخصية هذا النبي العظيم.

أولا: ولادته:

ان قصة ولادة السيد المسيح عليه السلام نراها فقط في انجيلي متى ولوقا، واما انجيل مرقس فهو لم يذكر شيئاً عن هذه الولادة، في حين اشار انجيل يوحنا في بدايته الى ولادة المسيح عليه السلام الالهية وتجسده!!!.

ورواية متى في قصة ولادة المسيح عليه السلام أقصر من رواية لوقا، ويعتقد علماء المسيحية أن متى يذكر قصة ميلاد يسوع من وجهة نظر يوسف (خطيب مريم العذراء)، وأما لوقا فأنه يذكر قصة ميلاد المسيح عليه السلام من وجهة نظر مريم نفسها.

فمتى يذكر في انجيله قصة ولادة المسيح عليه السلام فيقول:

«وهذه سيرة ميلاد يسوع المسيح: كانت امه مريم مخطوبة ليوسف فتبين قبل أن تسكن معه انها حبلى من الروح القدس، وكان يوسف رجلاً صالحاً فما أراد أن يكشف امرها، فعزم أن يتركها سراً، وبينما هو يفكر في هذا الأمر ظهر له ملاك الرب في الحلم وقال له: يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأةً لك، فهي حبلى من الروح القدس وستلد ابناً تسميه يسوع لأنه يلخص شعبه من خطاياهم... فلمّا قام يوسف من النوم عمل بما امره ملاك الرب فجاء بامرأته (مريم) الى بيته ولكنه ما عرفها[١] حتّى ولدت ابنها فسماه يسوع.. ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية على عهد الملك هيرودس جاء إلى أورشليم مجوس من المشرق وقالوا: (اين هو المولود ملك اليهود؟ رأينا نجمه في المشرق فجئنا لنسجد له) وسمع الملك هيرودس فاضطرب هو وكل اورشليم.. فدعا هيرودس المجوس سرّاً وتحقّق منهم متى ظهر النجم، ثم ارسلهم الى بيت لحم وقال لهم: اذهبوا وابحثوا جيداً عن الطفل فاذا وجدتموه فاخبروني حتّى اذهب انا أيضاً واسجد له... وبينما هم في الطريق اذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدّمهم حتّى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه، فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً ودخلوا البيت فوجدوا الطفل مع أُمّه مريم فركعوا وسجدوا له ثم فتحوا

---

(١) عرفها: عبارة تقليدية في الكتاب تشير الى العلاقة والرابطة بين الزوجين.

أكياسهم وأهدوا اليه ذهباً وبخوراً ومراً[١] . **وانذرهم الله في الحلم أن لا يرجعوا الى هيرودس، فأخذوا طريقاً آخر الى بلادهم».**

ويضيف متى في انجيله أيضاً: «**ظهر ملاك الرب ليوسف في الحلم وقال له: قم خذ الطفل وامه واهرب الى مصر وأقم فيها حتّى اقول لك متى تعدو لأن هيرودس سيبحث عن الطفل ليقتله. فقام يوسف واخذ الطفل وأمه ليلاً ورحل الى مصر فأقام فيها الى أن مات هيرودس»**[٢] .

وأما لوقا فانه ينقل قصة تختلف كلياً عمّا ذكره متى في انجيله فهو يقول: «**وحين كانت اليصابات»**[٣] في شهرها السادس، أرسل الله الملاك جبرائيل الى بلدة في الجليل اسمها الناصرة الى عذراء اسمها مريم كانت مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف.

فدخل اليها الملاك وقال لها: السلام عليك يا من أنعم الله عليها الرب معك، فاضطربت مريم لكلام الملاك وقالت في نفسها: ما معنى هذه التحية؟ فقال لها الملاك: «**لا تخافي يا مريم نلت حظوة عند الله فستحبلين وتلدين ابناً تسمينه يسوع فيكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله عز ابيه داود... فقالت مريم للملاك: «كيف يكون هذا وأنا عذراء لا أعرف رجلاً؟ فأجابها الملاك: الروح القدس يحلّ عليك وقدرة العلي تظللك..ها قريبتك اليصابات حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو شهرها السادس وهي التي دعاها الناس عاقرا، فما من شيء غير ممكن عند الله. فقالت مريم: انا خادمة الرب فليكن لي كما تقول... وفي تلك الأيام قامت مريم وأسرعت الى مدينة يهوذا في جبال اليهودية ودخلت بيت زكريا وسلّمت على**

---

(١) بخوراً ومراً: عطور تقليدية من الجزيرة العربية.

(٢) انجيل متى ١: ١٨ الى ٢: ١٥.

(٣) هي زوجة زكريا وكانت عاقراً وكانت وزوجها زكريا كبيرين في السن وقد بشرّه ملاك الرب فقال له: «لا تخف يا زكريا لأن الله سمع دعائك وستلد لك امرأتك اليصابات ابناً تسميه يوحنا (يحيى) وسيكون عظيماً عند الرب ولن يشرب خمراً ولا مسكراً ويمتلى من الروح القدس وهو في بطن امه... فقال زكريا للملاك: «كيف يكون هذا وأنا شيخ كبير وامرأتي عجوز...».

اليصابات...وفي تلك الأيام أمر القيصر أوغسطس بإحصاء سكان الامبراطوية...فذهب كلّ واحد الى مدينته ليكتتب فيها، وصعد يوسف من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى بيت لحم مدينة داود.. ليكتتب مع مريم خطيبته وكانت حبلى، وبينما هما في بيت لحم جاء وقتها لتلد، فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في مذود لأنه كان لا محل لهما في الفندق...» ويضيف لوقا أيضاً: «وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية يتناوبون السهر في الليل على رعيتهم فظهر ملاك الرب لهم.. فقال لهم الملاك: ها أنا أبشركم بخبر عظيم يفرح له جميع الشعب: ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلّص هو المسيح الرب، واليكم هذه العلامة: تجدون طفلاً مقمّطاً مضجعاً في مذود...ولما انصرف الملائكة عنهم الى السماء، قال الرعاة بعضهم لبعض: «تعالوا نذهب الى بيت لحم لنرى هذا الحدث الذي اخبرنا به الرب، فجاؤا مسرعين فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في مذود...» (انجيل لوقا ١: ٢٦ الى ٢: ٢٠).

فتبين أن هناك اختلافاً واضحاً بين الروايتين عند متى ولوقا، ولكن المسيحيون يحاولون قدر الامكان توجيه هذا الاختلاف ويقولون أنه مجرد اختلاف ظاهري، فان هدف متى من وراء هذه الرواية هو أن يروي لنا كيف تم التدبير الالهي وينوي أن يبين انّه فعلاً وريث «حقيقي لملكية داود التي نقلها الى يسوع»؟.

وأما لوقا (والحديث للمسيحيين) فان روايته هي اكثر فناً من رواية متى، فانه يعطينا حواراً بين مريم وملاك الرب، ويهدف لوقا من هذا الوار أن يتحدث بوضوح وصراحة عن الامومة البتولية التي تحلّ بها مريم وعن نبوة يسوع الالهية!! وأن: «وجود مثل هذا التناقض الذي هو في الواقع ليس إلاّ تناقضاً في الظاهر فقط بين الانجيلين، فاننا نرى متى يشدد بنوع خاص على دور يوسف لكي يبين لنا انتماء يسوع الى ذرية داود الملكية، واما لوقا فانه يلفت انتباهنا الى دور مريم ويشدد على تداخل الرب المباشر في هذا السر العظيم لكي يرينا بجلاء (ألوهية) يسوع ويقول انه حبل به الروح القدس، فهدف الاثنين معاً في

الدرجة الاولى هو الحديث عن فكرة عقائدية اكثر من اعطائنا معلومات تاريخية»[١] .

ولكن من الواضح ان هذا الرأي يخالف القول بأن الاناجيل قد كتبت بالهام الهي، فنحن اذا سلّمنا بأن لوقا كتب بشارته هذه بعد تتبعه لكل شيء من أُصوله، فمن اين حصل لوقا على هذه المعلومات الدقيقة عن الحوار بين الملاك ومريم!؟ فهل التقى لوقا بمريم ونقل عنها ما كتب أم أن الملاك أوحى اليه بهذه القصة والحوار؟ ويجيب المسيحيون على هذا السؤال **«لانجزم يقيناً أن لوقا قابل مريم أم يسوع بنفسها عندما كان في اورشليم ولكن من المحقق أنه استقى الحقائق التي تتعلق بميلاد الرب يسوع التي تعرفها مريم وحدها إما منها أو من المقربين اليها الذين استقوها منها شخصياً»**[٢] فاذا فرضنا صحة هذه الرواية التي نقلها لوقا عن ولادة المسيح عليه السلام وهي لا تذكر المجوس وهداياهم ولا رؤية الملاك ليوسف كما ينقلها لنا متى، فيجب أن نعلم أن رواية متى يحومها الشك باعتبارها تخالف ما نقله لنا لوقا الانجيلي، والقول بأن الاختلاف يرجع الى الاسلوب والعبقرية لكل منهما ينافي القول بالوحي الكتابي لهما ،حتّى مع التفسير المسيحي للوحي كما ذكرنا سابقاً.

وعلى أية حال فان المسحيين يسمون حبل مريم بالمسيح عليه السلام دون توسط أب (بالولادة من عذراء)، ويعتقدون أن هذه الطريقة لولادة المسيح عليه السلام هي التي اختارها الله لتحقيق التجسد!، فالمسألة في هذه الولادة هي مجي الاله اللامتناهي الى خليقته!!

وهناك ايضاً اناجيل اخرى كثيرة ذكرت قصة ولادة المسيح عليه السلام وهي تشبه الى حد كبير قصة ميلاده عليه السلام المذكورة في القرآن الكريم، ومن تلك الأناجيل (انجيل

---

(١) المسيح في الفكر الاسلامي الحديث وفي المسيحية :١٨٧.

(٢) قاموس الكتاب المقدّس: ٨٦٥.

متى، انجيل يعقوب ـ انجيل توما)[١] وغيرها، والملفت للنظر أن الكنيسة اعتبرت هذه الاناجيل منحولة اي مزيفة وليست وحيّاً الهياً!، ولذلك ضاع اكثرها واندرس، ولم يبق لبعضها إلاّ الاسم، وبذلك ضاعت معلومات كثيرة عن حياة المسيحعليه السلام.

وأما انجيل يوحنا فهو كما يعتقد المسيحيون يشير الى الولادة الالهية للمسيحعليه السلام فانه يذكر في بداية انجيله: «**في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار بشراً وعاش بيننا فرأينا مجده، مجداً يفيض بالنعمة والحق ناله من الأب كابن له أوحد**»[٢]. ولكن هذا الانجيل كما ذكرنا سابقاً تدور حوله الكثير من الشكوك، فانه كتب اواخر القرن الأوّل وبداية القرن الثاني أي بعد رفع المسيحعليه السلام بأكثر من سبعين سنة، ولكنه على الرغم من ذلك فان الكنيسة اعتبرته من الأناجيل الأربعة الملهمة!.

فهذه قصة ولادة المسيحعليه السلام في العهد الجديد والتي ذكرتها اناجيل متى ولوقا ويوحنا، وأما تاريخ هذه الولادة، فان المسيحيين يؤكدون على أنه ليس من اليسير الوصول الى معرفة تاريخ ميلاد المسيحعليه السلام أو الاحداث الاخرى في حياته على وجه التحقيق، بل يتفق المؤرخون على تاريخ تقريبي لهذه الحوادث، واول من وضع التقويم الميلادي المسيحي رجل يدعى (ديونيسيوس اكسيمؤس) وهو رئيس دير مات قبل عام ٥٥٠ ميلادي، فاختار هذا الراهب تاريخ (التجسد).

ولادة المسيحعليه السلام كالتاريخ الفاصل بين الحوادث السابقة والحوادث اللاحقة له، ولكنه ربط بين بداية التقويم المسيحي وعام ٧٥٤ لتأسيس مدينة روما، فقد ذكر أن المسيحعليه السلام ولد في هذا العام، وأن سنة ٧٥٤ لتأسيس روما تقابل العام الأوّل

---

(١) ففي انجيل متى (المنحول) يُذكر فيه كيف كان الملاك يأتي بالطعام الى مريم يومياً وغيرها من الأحداث التي توافق القرآن تماماً.

(٢) انجيل يوحنا ١: ١ الى ١: ١٠.

الميلادي. الا أن ما ذكره المؤرخ يوسفيوس الذي كتب تاريخ اليهود في نهاية القرن الأوّل الميلادي والذي يعتبر من أهم المراجع التاريخية، يظهر بوضوح أن هيرودس الكبير الذي مات بعد ولادة المسيحﷺ بوقت قصير، مات قبل سنة ٧٥٤ لتأسيس روما، فهو يرجح انه مات اول ابريل سنة ٥٧٠ لتأسيس روما، والذي تقابل سنة ٤ ق. م، اذن فميلاد المسيح تم في اواخر سنة ٥ ق. م أو في اوائل سنة ٤ ق. م. وأما الاحتفال بميلاد المسيح في الخامس والعشرين من ديسمبر فقد بدء في القرن الرابع الميلادي (بعد انتشار المسيحية)[1].

ثانياً: طفولته وصباه:

تقتضي الشريعة اليهودية بختانة كل صبي بلغ الثمانية أيام من عمره، فذلك ما جاء في سفر التكوين اكثر من مرة والذي اعتبر الختان هو (علامة عهد بين الله والشعب اليهودي، ولم يستثنِ المسيحﷺ من هذا الواجب، فقد قرر يوسف (زوج أُمّه مريم) بوصفه رب العائلة أن يقوم بهذا الواجب، وقد انفرد لوقا من بين الأناجيل في ذكر ختان المسيحﷺ فيقول في ذلك:

«ولما بلغ الطفل (المسيح) يومه الثامن، وهو يوم ختانه سمّي يسوع» ولا يذكر لوقا ما اذا كان الختان قد تم في نفس المغارة التي ولد فيها المسيحﷺ أو في مكان آخر. وأيضاً كانت هناك في الشريعة اليهودية احكام اخرى توجب على المرأة التي تلد ـ كي تتطهر ـ لأن تقصد الهيكل بعد اربعين يوماً على وضعها، ويجب إن تحمل معها أن كانت فقيرة فرخي حمام أو زوجي يمام، وإن كانت غنية حمل حولي، وكذلك

---

(١) قاموس الكتاب المقدّس : ٨٦٤، ويذكر كتاب (دليل الى قراءة تاريخ الكنيسة) بهذا الخصوص: «في القرن الرابع ظهر عيدان في يومين ثابتين، ففي الشرق احتفل بعيد الظهور في ٦ كانون الثاني (يناير) (بظهور الله على الأرض) وكان يوم ٦ كانون الثاني يوم (رع) عيد الشموس في مصر. وفي الغرب في حوالي سنة ٣٣٠ أخذوا يحتفلون يوم ٢٥ كانون الأوّل (ديسمبر) بميلاد المسيحﷺ وكان ذلك اليوم يوم الاحتفال الوثني بالشمس غير المهزومة حين كان يأخذ النهار في الطول...: ١٠٤.

الأب،وكانت الشريعة اليهودية (شريعة موسى) تقضي بأن يكون كل بكر فاتح رحم نذراً للرب «**كما أن بواكير غلأت الأرض جُعلت للرب هكذا ينبغي أن يكون مصير كل مولود بكر**» وكونه نذراً للرب يعني أن يُعد لخدمة الهيكل، ولكن الشريعة الموسوية أجازت اعفاءه بعذبة قدرها خمسة مثاقيل فضة على حسب مثقال (القدس)، والى هذه المسألة اشار لوقا ايضاً في انجيله أن مريم ويوسف صعدا به الى اورشليم، فيذكر لوقا: «**ولما حان يوم طهورها بحسب شريعة موسى صعدا بالطفل يسوع الى اورشليم ليقدماه للرب كما هو مكتوب في شريعة الرب (كل بكر فاتح رحم هو نذر للرب) وليقدما الذبيحة التي تفرضها شريعة الرب: زوجي يمام أو فرخي حمام**» (انجيل لوقا ٢: ٢٢)

وقد سكت الانجيليون عن وقائع المسيحعليه السلام منذ طفولته وحتّى بلوغه الثلاثين من عمره الشريف وهو زمان بداية دعوته، سوى أن لوقا اشار الى واقعة صعودهعليه السلام الى اورشليم في سن الثانية عشرة، ولكن الأناجيل المنحولة تلقي الضوء على الكثير من جوانب حياة المسيحعليه السلام في فترة صباه وشبابه، ولكن الكنيسة ـ كما ذكرنا ـ رفضت قبولها على أنها كتب قانونية.

ولكن الظاهر هو أن المسيحعليه السلام كان في طفولته شبيهاً بسائر الأطفال ينمو ويترعرع في كنف يوسف ومريم، يلعب مع اترابه وقت اللعب، ولما بلغ صباه كان يكد ويعمل ليجني قوته بكد يمينه وعرق جبينه، فقد بدء يعمل الى جانب (أبيه) يوسف في حانوت النجارة الوضيع الذي كان يملكه، وقد استمر يعمل وحيداً في ذلك الحانوت بعد وفاة يوسف، وربما تعاطى ايضاً اعمالاً اخرى كحراثة الأرض وغيرها، ولكن عمله الذي كان يعرف عند اهالي الناصرة هو كونه «**نجاراً وابن نجار**».

والحادثة الوحيدة التي يذكرها لوقا في انجيله عن المسيحعليه السلام في صباه كما ذكرنا آنفاً هي صعوده الى اورشليم في عيد الفصح وهو في الثانية عشرة من عمره، يقول لوقا: «**وكان والدا يسوع يذهبان كل سنة الى اورشليم في عيد الفصح، فلما بلغ يسوع**

الثانية عشرة من عمره صعد واالى اورشليم كعادتهم في العيد، وبعدما انقضت ايام العيد وأخذوا طريق العودة، بقي الصبي يسوع في اورشليم ووالداه لايعلمان، بل كانا يظنان انه مع المسافرين، وبعد مسيرة يوم اخذا يبحثان عنه عند الاقارب والمعارف فما وجداه، فرجعا الى اورشليم يبحثان عنه فوجداه بعد ثلاثة ايام في الهيكل، جالساً مع معلمي الشريعة يستمع اليهم ويسألهم، وكان جميع سامعيه في حيرة من فهمه واجوبته، ولما رآه والداه تعجّبا وقالت له امه: يا ابني لماذا فعلت بنا هكذا؟ فأبوك وأنا تعذبنا كثيراً نحن نبحث عنك، فأجابهما: ولماذا بحثتما عني؟ اما تعرفان انه يجب أن اكون في بيت ابي، فما فهما معنى كلامه، ورجع يسوع معهما الى الناصرة... وكان يسوع ينمو في القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس»، انجيل لوقا (٢: ٤١ ـ ٥٢)[١].

وينقل ايضاً عنه ﷺ انه كان في حداثته المبكرة وفي سنوات صغره يدرس العهد القديم دراسة عميقة واسعة، ومع انه كان يعمل كنجار بجد واجتهاد كي يعين امه واخوته في شؤون المعيشة (فهو الابن الاكبر)، إلا انه اعطى وقتاً كافياً للتأمل ودراسة الكتب المقدسة والصلاة[٢].

---

(١) هناك ثلاثة اعياد في اليهودية تدعى (اعياد الحج) وهي الفصح والعنصرة والمظال، ولقد سميت كذلك لأن الشريعة تفرض على اليهود الذكور أن (يحجّوا) الى اوشليم للاحتفال بها وتقديمهم للقرابين للرب (يهوه) في الهيكل، ولم يكن محتوماً على النساء أن يتقيّدن بهذا الواجب، ولكن مريم (كما يذكر انجيل لوقا) اعتادت مرافقة زوجها في كل حج، واما الاولاد الذكور فانهم في الشريعة اليهودية يبلغون سن الرشد والتكليف في الثالثة عشرة من عمرهم أو في الثانية عشرة. وفي هذه السن يفرض عليهم من الأحكام والتكاليف ما يفرض على البالغين، ولذلك كان الآباء الملتزمون بالشريعة ينتقلون الى اورشليم برفقة أولادهم قبل بلوغهم الثالثة عشرة ليتدرج هؤلاء على ممارسة الطقوس والتقيّد باحكام الناموس. (عن كتاب في خطى المسيح): ٥٢.

(٢) قاموس الكتاب المقدّس: ٨٦٦.

ولا نجد في اسفار العهد الجديد أي اشارة اخرى الى حياة المسيحعليه السلام في صباه أوشبابه ابداً، فنحن لا نعلم بحقيقة هل تزوج أم لا؟ وهل كان عصبي المزاج أم كان رجلاً هادئاً، هل كان طويلاً أو قصيراً؟ واموراً اخرى كثيرة.

ثالثاً: معموديته وتجربته من قبل الشيطان

وعندما بلغ المسيحعليه السلام الثلاثين من العمر حوالي سنة ٢٧ ميلادية، ترك مدينة الناصرة الى نهر الاردن ليتعمد بالماء من قبل يوحنا المعمدان (يحيى)[١].

وينقل انجيل متى ومرقس ولوقا هذه الحادثة (تعميد المسيح من قبل يحيى) مع قليل من الاختلاف، يقول متى: **«وجاء يسوع من الجليل الى الاردن ليتعمّد على يد يوحنا، فمانعه يوحنا وقال له: أنا احتاج أن اتعمّد على يدك، فكيف تجي أنت الي؟ فأجابه يسوع: ليكن هذا الآن، لأننا به نتمم مشيئة الله، فوافقه يوحنا، وتعمد يسوع وخرج في الحال من الماء، وانفتحت السماوات له، فرأى روح الله يهبط كأنه حمامة وينزل عليه، وقال صوت من السماء: هذا هو ابني الحبيب الذي به رضيت»**، انجيل متى (٣: ١٣ الى ٣: ١٧).

فعندما ظهر يوحنا المعمدان وبدء دعوته ورسالته داعياً الناس الى التوبة والزهد كان الناس يقبلون على شاطي الاردن ليتعمدوا ثم يعودون الى اعمالهم، ويأخذون في التحدث عما سمعوا وشاهدوا، وقد وصلت اخباره الى المسيحعليه السلام ، فشد الرحال الى نهر الاردن وتعمد من يوحنا المعمدان، وبعد أن تعمّد عقد النية على الاعتزال فترة من الزمن بغية اعداد نفسه للمهمة التي سوف تلقى على عاتقه،

(١) كان يوحنا المعمدان ـ كما تنقل الاناجيل ـ «يلبس ثوباً من وبر الجمال وعلى وسطه حزام من جلد، ويقتات من الجراد والعسل البري، وكان الناس يخرجون اليه من اورشليم وجميع اليهودية وكل الارجاء المحيطة بالاردن، ليعمّدهم في نهر الارن معترفون بخطاياهم. وكان يبشر ويقول: يجي بعدي من هو أقوى مني، من لا أحسب نفسي اهلاً لأن انحني واحلّ رباط حذائه، انا عمدتكم بالماء واما هوفيعمدكم بالروح القدس و (النار). وقد جاء يوحنا بالمعمدان الى نهر الاردن مقبلاً من البرية، حيث قضى معظم حياته، وكانت الناس تقبل التعميد على يديه لما كان فيه من الحكمة والوقار، مما جعل الناس تؤمن بأنه نبي أوحى اليه.

فذهب الى الصحراء وبقي هناك مدة اربعين يوماً منقطعاً عن الطعام، وكان صومه مطلقاً، اذ يذكر لوقا في انجيله انه: «**لم يأكل شيئاً في تلك الأيام**»، وكان هناك مع الوحوش وكانت تخدمه الملائكة، ومن بعد ذلك جاع ﷺ ، وينقل عن المسيح ﷺ انه لم يألف الصوم المتواصل، ولم يكن يعيش في بداية عمره وايام شبابه الزهد والحرمان، بل كان يعيش عيشة معتدلة، فيأكل ويشرب شأنه شأن الناس العاديين.

وعندما أحس بالجوع جاء اليه الشيطان ليجربه، ويكتفي مرقس في انجيله بذكر هذه التجربة، جربه ولم يذكر تفاصيلها وكيف تمت؟ واما لوقا ومتى فانهما يذكران التجربة بالتفصيل، ولكن مع تقديم وتأخير في روايتيهما ومع بعض الاختلاف، وينقل هذه الواقعة فيقول:

«فدنا منه المجرب وقال له: ان كنت ابن الله، فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً، فأجابه: يقول الكتاب: ليس بالخبر وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله، وأخذه ابليس الى المدينة المقدسة (اورشليم) فأوقفه على شرفة الهيكل وقال له: انت كنت ابن الله فألق بنفسك الى الاسفل، لأن الكتاب يقول: يوصي ملائكته بك، فيحملونك على ايديهم لئلا تصدم رجلك بحجر. فأجابه يسوع: يقول الكتاب ايضاً لا تجرب الرب الهك. وأخذه ابليس الى جبل عال جداً، فأراه جميع ممالك الدنيا ومجدها وقال له: أعطيك هذا كله، أن سجدت لى وعبدتني، فأجابه يسوع ابتعد عني يا شيطان لأن الكتاب يقول: للرب الهك تسجد، وإيّاه وحده تعبد. ثم تركه ابليس، فجاء بعض الملائكة يخدمونه». (٤: ١ ـ ١١).

رابعاً: بدء دعوته العلنية:

وبعد اعتقال يوحنا المعمدان على يد الحاكم **«هيرودس انتيباس»** والي اليهودية، **«وذلك لانه وبّخه على زواجه هيروديا امرأة اخيه»** جاء المسيح ﷺ الى الجليل ليعلن بشارته، فكان يقول للناس: **«تم الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل»**(انجيل مرقس ١: ١٤).

ولكنه عندما عاد الى الناصرة حيث نشأ، ودخل المجمع يوم السبت على عادته، واعلن انه هو المقصود بالنبؤات عن المسيا المنتظر، رفضه قومه واهل بلدته، فاخرجوه الى خارج المدينة، فقال لهم المسيح ﷺ: الحق اقول لكم: لا يقبل نبي في وطنه) انجيل لوقا (٤: ٢٤)... ومن بعد هذا اتخذ المسيح ﷺ مدينة كفر ناحوم وهي مدينة في الجليل مركزاً لبث دعوته ونشر رسالته، وبقيت مدينة كفرناحوم مركزاً له مدة تزيد على سنة كاملة من خدمته، فكان يعلّم فيها وفي اماكن اخرى من الجليل ويظهر المعجزات، وقد اختار من بين تلامذته واتباعه اثني عشر ليكونوا تلاميذه المقربين، ولكن الاناجيل الأربعة تختلف فيما بينها حول كيفية انتخاب اول التلاميذ، فينقل انجيل يوحنا كيفية انتخاب تلاميذ يسوع الاولين فيقول: **«وكان يوحنا في الغد واقفاً هناك ومعه اثنان من تلاميذه، فنظر الى يسوع وهو مار فقال: هاهو حمل الله، فسمع التلميذان كلامه فتبعا يسوع والتفت يسوع فرآهما يتبعانه، فقال لهما: ماذا تريدان؟ قالا: ربي (أي يا معلم) أين تقيم؟ قال: تعالا تريا.**

فذهبا ونظرا اين يقيم، فأقاما معه ذلك اليوم وكانت الساعة نحو الرابعة بعد الظهر وكان اندراوس أخو سمعان بطرس احد التلميذين اللذين سمعا كلام يوحنا فتبعا يسوع. ولقي اندراوس أخاه سمعان فقال له: وجدنا (المسيا) أي المسيح، وجاء به الى يسوع فنظر اليه يسوع وقال: أنت سمعنان بن يوحنا وسأدعوك (صفا) أي صخراً». انجيل يوحنا (١: ٣٥الى ١: ٤٠).

وأما مرقس فانه يذكر كيفية اتباع التلاميذ الاولون للمسيح ﷺ فيقول: **«وبينما هو يمشي على شاطىء بحر الجليل، رأى صيّادين هما سمعان واخوه اندراوس يلقيان الشبكة في البحر، فقال لهما يسوع: اتبعاني اجعلكما صيادي بشر، فتركا شباكهما في الحال وتبعاه. ومشى قليلاً، فرأى يعقوب بن زبدي وأخاه يوحنا، وهما في القارب يصلحان شباكهما، فما أن دعاهما حتّى تركا أباهما زبدي في القارب مع معاونيه وتبعاه»** انجيل مرقس (١: ١٦).

ومتى ايضاً ينقل في انجيله نفس هذه الرواية تقريباً، ولكن لوقا يختلف عنهما كلياً في نقل حادثة التلاميذ الاولين، فيقول: **«وكان يسوع على شاطىء بحيرة (جنيسارت) فأزدحم الناس عليه ليسمعوا كلام الله. ورأى قاربين راسيين عند الشاطىء خرج منهما الصيّادون ليغسلوا شباكهم، فصعد الى واحد منهما، وكان لسمعان وطلب منه أن يبتعد قليلاًعن البر، وجلس يسوع في القارب يعلّم الجموع. ولما ختم كلامه قال لسمعان «سر الى العمق وألقوا شباككم للصيد. فأجابه سمعان: تعبنا الليل كله يا معلم وما اصطدنا شيئاً، ولكني القي الشباك اجابة لطلبك...»**. انجيل لوقا (٥: ١ الى ٥: ١١).

خامساً: اختياره للتلاميذ:

وبعد ذلك اختار المسيح عليه السلام من بين تلاميذه اثنى عشر سمّاهم رسلاً: وهم سمعان الذي سمّاه بطرس، واندراوس اخوه، ويعقوب بن زبدي واخوه يوحنا، وفيلبس وبرتولماوس، وتوما ومتى جابى الضراب، ويعقوب بن حلفي وتداوس، وسمعان الوطني الغيور، ويهوذا الاسخريوطي الذي صائر خائناً واسلم المسيح. (انجيل لوقا ٦: ١٢ـ ١٦)

وبدأ المسيح عليه السلام يظهر المعاجز الواحدة تلو الاخرى، وقد ذاعت شهرته بسبب هذه المعجزات، وقد وصلت هذه الشهرة الذروة في معجزة اطعام الخمسة آلاف رجل عندما عبر من بحر الجليل وصعد الى احد الجبال وقد ذكر هذه المعجزة كتّاب الاناجيل الاربعة مع بعض الاختلاف، وبعدها ذهب المسيح عليه السلام الى منطقة صور وصيدا وقيصرية وفيلبس وهو ينشر تعاليمه بين الناس، ثم عاد مرة اخرى الى البلدان القريبة من بحر الجليل، واظهر ايضاً معجزات كثيرة كاشفاء المرضى وغيرها، ولكن هذا الامر لم يرق لقادة اليهود واحبارهم الذين ما آمنوا بالمسيح عليه السلام ابداً، ولذلك برز العداء منهم اتجاه المسيح عليه السلام ، فقاموا بكل حيلة ووسيلة لكي يوقعوه في مخافتهم، ويسلموه الى السلطات الرومانية لتنفيذ حكم الموت فيه

باعتباره خارجاً عن تعاليم الشريعة، وبدعوى تحريض الناس وزرع الشتات بين صفوفهم، ولذلك مكروا له للايقاع به.

سادساً: إلقاء القبض عليه ومحاكمته وصلبه:

وكان رؤساءالكهنة ومعلّموا الشريعة يبحثون عن طريقة يقتلون بها المسيح ﷺ ،فذهب يهوذا الاسخريوطي وهو من التلاميذ الاثني عشر وفاوض رؤساء الكهنة وقادة حرس الهيكل على تسلميه ﷺ لهم مقابل أن يعطوه شيئاً من المال، فقبلوا ذلك، وتحيّن يهوذا هذه الفرصة ليسلّم معلمه للموت خفية، وتم ذلك الامر ليهوذا بعد عيد الفصح، حيث تناول العشاء مع المسيح ﷺ في صحن واحد، وبعد ذلك صعد المسيح ﷺ مع تلاميذه الى جبل الزيتون، في موضع يقال له «**جشيماني**»، (وتعني الكلمة معصرة الزيت)، وابتعد عن التلاميذ وهو يشعر بالرهبة والكآبة، ووقع الى الأرض يصلي، واجهد نفسه في الصلاة وكان يقول في صلاته: «**يا أبي، إن شئت فابعد عني هذه الكأس، ولكن بارادتك لا إرادتي**» وكان عرقه مثل قطرات دم تتساقط على الأرض، وكان تلاميذه نائمين كلهم وقد وبخهم على ذلك، وبعد ذلك ظهرت عصابة يقودها يهوذا احد التلاميذ الاثني عشر، وهنا تختلف الاناجيل فيما بينها، فبينما يذكر متى ومرقس ولوقا أن يهوذا جعل علامة بينه وبين الكهنة والحراس وهي تقبيل المسيح ﷺ ليعرفوه «**وكان الذي اسلمه اعطاه علامة، قال: هو الذي اقبله فامسكوه وخذوا في حراسة شديدة**». انجيل مرقس: (١٤: ٤٣). نرى ان يوحنا يذكر في انجيله أن المسيح ﷺ هو الذي تقدم الى الكهنة والحراس «**وقال لهم من تطلبون؟ اجابوا يسوع الناصري. فقال لهم انا هو**» انجيل يوحنا (١٨: ٣).

فقبض الجنود على المسيح ﷺ بعد أن تركه تلاميذه كلهم وهربوا، ولم يبق إلا شاب واحد كان يلبس عباءة، فأمسكوه فترك عباءته وهرب عرياناً (انجيل مرقس: ١٤: ٥٠) واقتادوا المسيح ﷺ الى قيافا رئيس الكهنة، وكان معلمو الشريعة

والشيوخ مجتمعين عنده، فحكموا عليه بالموت، وعند الصباح سلّموه الى بيلاطس الحاكم الروماني وطلبوا منه أن يحكم عليه بالموت صلباً، وارضاءً لرؤساء الكهنة امر الحاكم بصلب المسيح ﷺ (وتختلف الاناجيل الاربعة هنا ايضاً في ذكر تفاصيل صلبه)، وكان ذلك يوم الجمعة، وفي الساعة الثالثة من ذلك اليوم اسلم المسيح ﷺ روحه بعد أن صرخ بصوت عظيم: ايلوئي، ايلوئي، لما شبقتني، أي الهي الهي لماذا تركتني»، وفي المساء جاء رجل يدعى يوسف فدخل على بيلاطس وطلب جسد يسوع، فأخذه ولفّه في كفن نظيف، ووضعه في قبر محفور في الصخر، ودحرج حجراً على باب القبر. وكان ذلك ليلة السبت قبل غروب الشمس، وفي يوم الاحد باكراً جاءت مريم المجدلية ومعها نساء اخريات الى القبر وكان الظلام لم ينكشف فرأت الحجر مرفوعاً عن القبر، فأخبرت بقية التلاميذ بذلك. وظهر المسيح ﷺ بعد ذلك لتلاميذه الذين تركوه وهربوا.

والأناجيل الأربعة التي تذكر قصة اعتقال المسيح ﷺ ومحاكمته وصلبه وقيامته وظهوره لتلاميذه يناقض احدها الآخر الى درجة تؤدي الى أن الإنسان يقع في شك كبير حول صحة هذه المعلومات التي تذكرها الأناجيل عن نهاية المسيح ﷺ .

المبحث الثاني: شخصية المسيح

لقد نُعت المسيح﵇ في العهد الجديد بألقاب وصفات كثيرة، وسنشير هنا الى اهم الالقاب والصفات التي اطلقت عليه في العهد الجديد لفهم شخصية المسيح﵇ حسب ما يعتقده المسيحيون بشكل افضل ، وهي:

أولا: يسوع المسيح:

ويسوع هو الصيغة العربية للاسم العربي **«يشوع»** ومعناه **«يهوه يخلص، الله يخلص»**.

و يسوع هو الاسم الشخصي للمسيح﵇ واما المسيح فهو لقبه، وقد وردت عبارة **«الرب يسوع المسيح»** نحو ٥٠ مرة في العهد الجديد، ويسوع المسيح أو المسيح يسوع نحو مئة مرة.

بينما وردت لفظة المسيح وحدها نحو ثلاثماءة مرة، ووردت لفظة يسوع وحدها غالباً في الاناجيل، ويسوع المسيح في سفر الاعمال والرسائل.

ثانياً: ابن الإنسان:

و هذا اللقب هو اهم واوسع لقب وصف به المسيح﵇ في الاناجيل الاربعة، فقد ذكر هذا اللقب للمسيح﵇ في الاناجيل المتوافقة والازائية (٦٠) مرة، فذكره متى (٢٧) مرة، وذكره مرقس (١٢) مرة، وذكره لوقا (٢١) مرة، ثم ذكر في انجيل يوحنا (١٠) مرات.

ومع ما في هذا اللقب من دلالة واشارة واضحة لجنبة المسيح الانسانية، ولكن المسيحيين يرون في هذا اللقب بعدا آخر، وهو أن المسيح﵇ شاركنا في حالتنا في

الاتضاع والالم، ولكن بما انه كان ابن الإنسان ذا الاصل السماوي، فهو آدم الجديد، رأسى البشرية المجددة، فهو آدم السماوي الذي يلبس القائمون من بين الاموات صورته[١].

ثالثاً: ابن الله:

أن الكنسية تعتبر هذا اللقب بأنه السر الذي يشير الى حقيقة المسيحﷺ، وتصر على تسمية المسيحﷺ به، والذي يثير الدهشة أن المسيحﷺ لم يُسمِّ نفسه بهذا الاسم ولامرة واحدة في الاناجيل الازائية (متي - مرقس - لوقا) بخلاف لقب ابن الإنسان، نعم هناك إشارة واحدة فقط الى هذا اللقب وذلك في انجيل يوحنا (٥ :٢٠)

ولكن النص هذا أيضاً يُشعر بأن المسيح انما يريد به البنوة الاعتبارية لا الحقيقة، فهو يقول: **«يسوع قال لهم: مازال أبي يعمل الى الآن وأنا أيضاً اعمل.... فقال لهم يسوع: الحق الحق اقول لكم ان الابن لايقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، بل يفعل مايرى الآب أن يفعله».**

ويعتقد النصارى أن هذا اللقب ليس مجازياً في حق المسيحﷺ بل هو حقيقي، يقول أحد علماء المسيحية بهذا الصدد: **«حينما يدعو الكتاب المقدّس المسيح (ابن الله» فإنّه يؤكد على لاهوته الحقيقي الصحيح، إذ تشير هذه التسمية إلى علاقة فريدة لا يمكن أن تعزى إلى مخلوق أو يشترك فيها شخص فان»**[٢].

ويقول شولتز أيضاً: **«على الرغم من أنّ الكتاب المقدّس يطلق على أشخاص آخرين لقب (أبناء الله) مثل الملائكة، آدم، حزقيال، والمؤمنين بالمسيح، فإنّ المسيح هو «الإبن» بمعنى فريد**

---

(١) معجم اللاهوت المسيحي: ٣٣٢.

(٢) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٧١.

مقصور عليه دون غيره»[1].

رابعاً: ابن داود:

وهذا اللقب ايضاً عُرف به المسيح عليه السلام في اناجيل العهد الجديد، فقد ذكر متى في انجيله هذا اللقب للمسيح، فقال: **«وفيما كان يسوع راحلا من هناك تبعه اعميان يصرخان قائلين: ارحمنا يا ابن داود»**. (٩:٢٧) وكذلك (٢١:٩).

خامساً: النبي:

وهو أيضاً من ألقاب المسيح عليه السلام الذي اطلقها هو على نفسه، فقد نقل متى في انجيله قائلا: **«أما يسوع فقال لهم: ليس نبي بلا كرامة الا في وطنه»**. متى (١٣:٥٧)

سادساً: رسول الله:

وهذا أيضاً من الصفات التي أكد عليها المسيح كثيراً ولاسيما حسب انجيل يوحنا، فقد ذكر انه رسول الله اكثر من ثلاثين مرة ومنها: **«الحق الحق اقول لكم: ان من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة ابدية»**. يوحنا (٥: ١٤)

وأيضاً قوله عليه السلام حسب انجيل يوحنا **«فقالوا له: ماذا نفعل حتّى نعمل اعمال الله؟ اجاب يسوع وقال لهم: هذا هو عمل الله: أن تؤمنوا بالذي هو أرسله»**. يوحنا (٦: ٢٨-٢٩).

سابعاً: الراعي الصالح:

وقد ذكر هذا اللقب للمسيح حسب انجيل يوحنا، فقد قال المسيح عليه السلام : **«أنا هو الراعي الصالح»**. يوحنا (١٠:١١) وكذلك ورد هذا اللقب للمسيح في رسائل بولس فهو عليه السلام راعي الخراف (عب ١٣: ٢٠) وهو راعي النفوس (ابط ٢: ٢٥).

ثامناً: المعلم:

وهو من ألقاب المسيح عليه السلام أيضاً وقد ورد في مواضع عدة في الاناجيل منها: انجيل يوحنا حيث يقول: **«كان انسان في الفريسيين جاء الى يسوع ليلا وقال له: «يا معلم،**

---

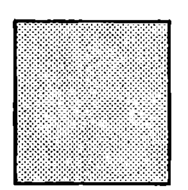
(١) نفس المصدر : ٧٢.

نعلم انك اتيت من الله معلماً». يوحنا (٣: ٢) وكذلك عندما ظهر لمريم المجدلية حسب انجيل يوحنا أيضاً: **«فالتفتت تلك وقالت له: (ربُّوني) الذي تفسير: يا معلم»** يوحنا (٢٠:١٦).

و هناك صفات والقاب كثيرة ذكرت للمسيح عليه السلام في العهد الجديد منها:

الكاهن – الملك – السيد – حمل الله – آدم الثاني – آدم الاخير – البار – ابن العلي – خبز الحياة.... وللمسيحيين في هذه الصفات والالقاب تفاسير وشروح معاني كثيرة هي خارجة عن عهدة هذه الدراسة، فمن اراد فليراجع كتبهم.

وأنا هنا أكتفي بهذا المقدار من ذكر حياة الرجل الأول في الديانة المسيحية حسب الظاهر وهو المسيح عليه السلام ، وأنتقل إلى جنبة أخرى من شخصيته وهي حقيقته الوجودية، بمعنى هل هو إنسان أو إله؟ فقد اختلف في ذلك كثيراً، وسوف نبحث في أدلة اُلوهيته في الفصل الثالث كما يعتقد المسيحيون، وبعدها نلاحظ ما تقوله الأناجيل عنه عليه السلام ، وكذلك ما اعتقده آباء الكنيسة بعد الرسل في حقيقته وطبيعته.



الفصل الثالث

▣ الأدلة على ألوهية المسيح

وفيه المباحث التالية:

تمهيد

المبحث الأول: الأدلة من العهد الجديد على ألوهية المسيح

أولا: كلمات المسيح

ثانياً: ميلاد المسيح الاعجازي

ثالثاً: صفات المسيح

رابعاً: أفعال المسيح ومعاجزه

خامساً: قبوله للعبادة

سادساً: قيامته الفريدة من بين الأموات

المبحث الثاني: الاعتراضات على ألوهية المسيح في العهد الجديد والجواب عنها

تمهيد:

يعتقد المسيحيون وكما أسلفنا بأن المسيح ﷺ هو الله المتجسد، ويؤكدون أن مسألة الإيمان بالمسيح على أنه الله المتجسد قضية خطيرة، وعدم الإيمان بها يؤدي إلى الهلاك.

يقول القس لبيب ميخائيل في كتابه لاهوت المسيح: «**إن الإنسان يستطيع أن يحيا حياته كلها دون أن يعرف شيئاً عن بوذا أو كونفشيوس أو زرادشت أو غيرهم من زعماء الأديان ولا يؤثر جهله هذا في مصيره بعد الموت، أما إذا تجاهل المسيح ولم يعترف به ويقبله مخلّصاً شخصياً لنفسه فإنّه سوف يهلك إلى الأبد في الجحيم، كما يؤكد ذلك يوحنا الرسول في إنجيله: لأنّه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلّص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد**» (يوحنا ٣:١٧)[١].

فإذا كانت هذه العقيدة بهذه الخطورة لنا أن نتساءل: ما هي الأدلة على الإيمان بأن المسيح هو ابن الله؟ أو هو الله؟

وبمعنى آخر ما هي الأسس التي بنى المسيحيون عليها هذا الإيمان؟

والمسيحيون يؤكدون من جانب آخر على أن هذا الإيمان بألوهية المسيح لم يكن مبتنياً على أسس وراثية تناقلها الأبناء عن الآباء، بل على أدلة قاطعة مبثوثة في الوحي الإلهي أي الكتاب المقدّس.

والمسيحيون يمتعظون كثيراً عندما يسمعون أحداً يتحدث عن المسيح وعظمته كمعلم أخلاقي ونبي ورسول وينفي عنه صفة الألوهية، ويعتبرون هذا الأمر إساءة

---

(١) لاهوت المسيح: ٢٨.

إلى شخصية المسيح، وغباوة من قبل الشخص القائل لهذا القول.

يقول سي . أس . لويس أستاذ الفلسفة في جامعة كمبردج الذي كان (لاأدريا)[١] : «**إني أحاول هنا أن أمنع أي شخص من ترداد ذلك القول الغبي الذي نسمعه غالباً: (أنا مستعد أن أقبل بيسوع كمعلم أخلاقي عظيم، ولكني لا أقبله كالله) فهذا هو الشي الوحيد الذي يجب ألاّ نقوله**»[٢] .

ولو تساءلنا لماذا أصبح الله إنساناً؟ أي لماذا تجسد ونزل إلى العالم الأرضي على هيئة إنسان؟

يجيب المسيحيون على هذا السؤال بأن هناك سببين رئيسيين لتجسد الخالق ونزوله إلى البشرية وهما:

الأول: لتتم معرفة الله معرفة حقيقية واقعية، وهذا لا يتم إلاّ عن طريق التجسد، لأنّ الله لا متناهي ومن الصعب على الإنسان إدراك ومعرفة اللامتناهي، ولذلك يقول مؤلف كتاب (حقيقة لاهوت يسوع المسيح) بهذا الصدد: «**كيف يمكن لكائنات بشرية محدودة مثلنا أن تفهم الله غير المحدود؟ إذ أن من الصعب على أيّ منا أن يستوعب معاني أو أفكاراً مجردة مثل الحق أو الخير أو الجمال من دون وجود أمثلة منظورة لها، فنحن نعرف الجمال عندما نراه في شيء جميل، والصلاح عندما نراه مرتكزاً في شخص صالح، ولكن بالنسبة لله، كيف يمكن لأي شخص أن يفهم طبيعته؟**»

ثم يضيف قائلا: «**يمكننا ذلك إلى حد ما إذا قام الله بطريقة ما بتحديد نفسه في شكل إنسان يمكن للكائنات البشرية أن تفهمه» وإذا تساءلنا كيف يمكن أن يعبّر إنسان محدود عن الله اللامحدود؟، يجيب: أن هذا الإنسان لن يعبّر عن أبدية الله ووجوده الكلي لعدم توفر الوقت والمجال لذلك، بل يعبّر تعبيراً منظوراً عن طبيعة الله، فقد أصبح يسوع إنساناً حتّى يتمكن البشر**

---

(١) اللا أدري: هو من يعتقد بأن وجود الله وطبيعته وأصل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها.

(٢) كتاب نجار وأعظم: ١٦.

من أن يفهموا الله اللامتناهي بعض الشي»[1].

الثاني: لتتم المصالحة بين الله والبشر، فالإنسان الأول (آدم) قد ارتكب الخطيئة والمعصية، وهذه الخطيئة أحدثت هوّة عميقة بين الإنسان وخالقه، ولأنّ الخطيئة التي ارتكبها آدم سرت إلى البشرية جميعاً حسب المفهوم المسيحي (للخطيئة الجماعية)، كانت المقاطعة بين الله والإنسان، ولأنّ الله عادل رحيم فهو من جهة ـ ملتزم حسب صفة العدل ـ أن يعاقب الإنسان والبشرية جميعاً، وهو في ذات الوقت إله رحيم، يحب خليقته جميعاً ولا يريد لهم العذاب والشقاء، فالغفران الإلهي للإنسان الخاطي يجب أن يخضع لعدل الله ورحمته، فإذا غفر الله خطيئة الإنسان على أساس رحمته وحدها، لاستهان الإنسان بعدل الله ووصاياه، وإذا نفذ حكمه ضد خطاياه على أساس عدله وحده، لكان الله **«إلهاً»** جبّاراً منتقماً.

إذن فلابد من موجود يمكن أن يحل هذه المعضلة بين الله والإنسان، ولا يمكن حلّها إلاّ عن طريق الفداء (حسب المسيحيين)، ولكن لا يمكن أن يكون هذا الفادي مجرد إنسان، لأنّ الإنسان خاطي بطبيعته، فليس بين البشر من هو كفوء لفداء البشرية، **«فلا إبراهيم الخليل، ولا موسى الكليم، ولا أشعيا النبي، ولا إيليا ولا أرميا، ولا أي واحد من الأنبياء كان باستطاعته فداء الإنسان، لأنهم جميعاً بشر»**[2].

فلابد إذن أن يكون الفادي إلهاً وإنساناً في وقت واحد لكي ينجز بحق عملية الفداء، ولذلك فإنّ الله نزل إلى العالم بجسد المسيح لكي تتم المصالحة بينه وبين خلقه: **«أن السبب الذي جعل الله يختار أن يصبح إنساناً، هو تضييق الهوّة بين الله والجنس البشري»**[3].

---

(١) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ١٧.

(٢) لاهوت المسيح : ٤٨.

(٣) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ١٧.

المبحث الأول: الأدلة من العهد الجديد على ألوهية المسيح

أولا: كلمات المسيح في العهد الجديد:

من الأدلة المهمة التي يقيمها المسيحيون على لاهوت المسيح هي تصريحاته وأقواله عن نفسه، وهناك بعض الآيات في العهد الجديد تناقلها المسيحيون في إثبات ألوهية المسيح ونحن بدورنا نستعرضها من دون تعليق وهي:

١ ـ قول المسيح في إنجيل يوحنا: **«لأنكم إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم»**. يوحنا (٨: ٢٤) وكلمة (إني أنا هو) يفسرونها حسب سفر أشعيا حيث جاء **«اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوته، أنا هو، أنا الأول وأنا الآخر ويدي أسست الأرض ويميني نشرت السموات»**، أشعياء ٥٨ : ١٢[1].

٢ ـ وأيضاً قوله: **«وخرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي، أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يدي أبي، أنا والآب واحد»**. يوحنا ١٠ : ٢٧ـ ٣٠.

٣ ـ وأيضاً قوله: **«لا تضطرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي... لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه، قال له فيلبس:**

يا سيد أرنا الآب وكفانا، قال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس، الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب، ألست تؤمن أني في الآب والآب فيّ. الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال، صدقوني أني في الآب والآب فيّ، وإلاّ فصدقوني لسبب

---

(١) لاهوت المسيح: ١١١.

الأعمال نفسها». يوحنا ١٤ : ١.

فهذا الكلام صريح في لاهوته وهو خير دليل على إثبات لاهوت المسيح[١].

٤ ـ وأيضاً قوله: **«أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة»**. يوحنا ٨ : ١٢.

٥ ـ وأيضاً: **«أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي لن يموت إلى الأبد»**. يوحنا ١١ : ٢٥ ـ ٢٦.

٦ ـ وأيضاً: **«أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الأب إلاّ بي»**. يوحنا ١٤: ٦.

٧ ـ وأيضاً قوله: **«قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»**. يوحنا ٨ : ٥٨.

وتقود هذه الأقوال ـ حسب المسيحيين ـ إلى الاعتراف بلاهوته أو تكذيبه واتهامه بالجنون، وهذا ما تحدث عنه جورج برناردشو في مقدمة روايته المشهورة **«اندروكليس والأسد»**. إذ يقول:

«إن كل شخص ينظر إلى المسيح، ويتأمل فيه، يجد نفسه مضطراً أن يتخذ إزاءه قراراً حاسماً، فإما أن يكون المسيح صادقاً في قوله أنه الله (لم نجد تصريح للمسيح بأنه الله)، أو أن يكون مجنوناً، فلو أن المسيح قال إنه مجرد نبي لكان من السهل أن نقبل تعليمه، ولكنه لم يقل إنه نبي، بل أعلن أنه الله نفسه»[٢].

ثانياً: ميلاد المسيح الإعجازي:

ومن الأدلة على لاهوت المسيح هو مولده الإعجازي الفريد في البشرية من دون أب، وقصته مشهورة مذكورة في العهد الجديد وفي القرآن الكريم، وهذا الميلاد من دون أب بشري يثبت أن المسيح ليس له أب سوى الله، وأيضاً أنه الكائن

---

(١) نفس المصدر: ١١١.

(٢) حقيقة التجسد: ١١٧.

البشري الوحيد الذي لم يتنجس بخطيئة آدم عليه السلام.

فمن الواضح في العقيدة المسيحية أن كل البشر ورثوا الخطيئة لأنهم توارثوا دم آدم الذي أفسدته الخطيئة كما أعلن بولس في رسالته إلى رومية قائلا: **«من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع»**. رومية ٥ : ١٢،فالبشر جميعهم يحملون في عروقهم دم آدم الأثيم إلاّ المسيح **«لقد كان آدم هو نبع النهر الذي جاء منه البشر، وما دام النبع قد تلوث بالخطيئة، فكل قطرة ماء تجري في النهر حملت جراثيم الخطيئة»**[١].

ويضيفون لو كان المسيح مجرد إنسانٍ،فلماذا لم يولد كما يولد سائر البشر؟ ويجيبون على ذلك بالقول: **«إن ولادة المسيح من عذراء كان غرضها الأساسي فداء الإنسان، ولأن الفداء لا يمكن أن يتممه سوى الله فالمسيح إذاً هو (الله الابن) الذي أخذ صورة الإنسان»**[٢].

فهذه الولادة هي عملية اتحاد لكلمة الله (اللاهوت) مع الجسد والناسوت في أحشاء مريم العذراء، فالمسيح هو الوحيد الذي انفرد بهذه الخصوصية بين الجنس البشري، ويؤيدون قولهم هذا ببعض الروايات الإسلامية الواردة عن النبي الأكرم حيث يذكر مؤلف كتاب حقيقة التجسد بهذا الخصوص:

ذكر أبو هريرة عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: **«ما من مولود من بني آدم إلاّ نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من نخسه إياه إلاّ مريم وابنها»**.وفي حديث آخر رواه البخاري عن الرسول صلى الله عليه وآله: **«كل ابن آدم يطعنه الشيطان في جنبه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب»**[٣]. وهذا الاستثناء يدل على أن المسيح له طبيعة فريدة

---

(١) لاهوت المسيح: ٧٦.

(٢) نفس المصدر: ٧٧.

(٣) حقيقة التجسد: ٤٣.

متميزة عن كل البشر في كل العصور على مدى التأريخ.

ثالثاً: صفات المسيح:

ومن الأدلة على أُلوهية المسيح هي صفاته التي انفرد بها أيضاً، وهي الصفات التي انفرد بها الله سبحانه وتعالى ويمتاز بها عن كل المخلوقات ومنها:

١ ـ الخالق:

أن الخلق صفة إلهية تخص الله وحده، ولم يمنحها لإنسان قط مهما كان شأنه، وهذا ما أكد عليه الكتاب المقدّس والقرآن الكريم، ولكننا نرى المسيح هو الإنسان الوحيد الذي قام بعملية الخلق، وهذا ما ينقله يوحنا في إنجيله في مسألة خلق أعين الأعمى من طين، إذ يقول: «**وتفل (المسيح) على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عيني الأعمى وقال له إذهب اغتسل في بركة سلوام، فمضى واغتسل وأتى بصيراً**»، يوحنا (٩: ٦-٧) وكذلك ما ينقله القرآن الكريم عن خلق المسيح من الطين هيئة الطير فينفخ فيها فتصبح طيراً بإذن الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللَّهِ**﴾[١].

فكما أن الله خلق آدم من تراب الأرض فنفخ فيه وأعطاه نسمة الحياة، كذلك فعل المسيح، إذن المسيح هو الله الخالق[٢].

٢ ـ غافر الخطايا:

إن هذه الصفة وكما هو معلوم مختصة بذات الباري عزوجل ولا يستطيع أحد من البشر أن يدّعيها لنفسه، إذ البشر كما أسلفنا كلهم ارتكبوا الخطيئة والمعصية (حتّى الأنبياء وفق الرؤية المسيحية) ولذلك فليس من المعقول أن يغفر الإنسان الخاطى ذنوب وخطايا غيره، ولكن المسيح كما ينقل العهد الجديد على لسان

---

(١) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٢) حقيقة التجسد: ٢١٨.

بولس يؤكد أنه يغفر الخطايا، يقول بولس في رسالته إلى أهل كولوسي: «٢ : ١٣ و٣ : ١٣» إن يسوع هو الذي يغفر الخطايا، قال يسوع لبولس بأن عليه أن يؤمن به لينال غفران الخطايا «اعمال ٢٦ : ١٨».

وأيضاً ينقل مرقس في إنجيله أن المسيح قال للمفلوج الذي جاء إليه: **«يا بني مغفورة لك خطاياك»**. مرقس (٢ : ١ ـ ١٢).

فقد كان ليسوع سلطان على مغفرة الخطايا، وهذه الصفة مختصة بالله وحده، إذن المسيح هو الله، يقول جوش ماكدويل بهذا الصدد: **«لقد أزعجني مفهوم الغفران مدة طويلة من الزمن لأنني لم أفهمه، كنت يوماً أعطي محاضرة لطلاب الفلسفة، ووجّه إليّ أحد الطلبة سؤ الاحول لاهوت المسيح، فاستشهدت بالأعداد السابقة من الإصحاح الثاني من مرقس، فقام أحد الطلبة بتحدي الاستنتاج الذي توصلت إليه بأن غفران المسيح للرجل يثبت ألوهيته، قال في إمكانه أن يسامح شخصاً دون أن يكون ذلك إثباتاً أنه يدعي الألوهية.**

عندما فكرت في ما قاله الطالب الجامعي، عرفت السبب الذي دعا القادة الدينيين يثورون بهذه الحدة على يسوع. أجل يستطيع المرء أن يقول: «أسامحك» إذا أخطأت ضدي وأسأت إليّ، لكن هذا لم يكن ينطبق على يسوع، فلقد أخطأ المفلوج ضد الله الأب، ثم جاء يسوع بسلطانه الخاص ليقول له مغفورة لك خطاياك، ولا يستطيع أن يغفر الخطايا المرتكبة ضد الله إلا الله وحده، وهذا ما قاله يسوع»[1].

٣ ـ كلي الوجود:

ومن الصفات التي انفرد بها الله سبحانه هي أنه موجود في كل مكان ولا يخلو منه مكان أبداً، ولكن هذا لا يعني أن الأشياء هي الله بتاتاً، بل هو مع الأشياء، وهذه المعية لله مع الأشياء من الأمور الثابتة في اليهودية والمسيحية وحتّى الإسلام، ولكن العهد الجديد يصف المسيح بأنه كلي الوجود أيضاً وبهذا المعنى، فإن بولس

---

(١) حقيقة لاهوت المسيح: ٤٥.

يقول في رسالته إلى أفسس: «**الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكي يملأ الكل**» (كل شيء) أفسس ٤ : ١٠، وأيضاً قال المسيح لتلاميذه: «**لأنّه حينما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم**»، متى ١٨ : ٢٠.

وأيضاً قال المسيح: «**وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**». (متى ٢٨: ٢٠) فهذه الآيات من العهد الجديد تثبت هذه المعية للمسيح مع كل شيء، فهو إذن الله[١] ولهذا سمي عمانوئيل أي: «**الله معنا**»[٢].

٤ ـ كلي العلم:

أن الله سبحانه يعلم كل شيء، وهذه الصفة أيضاً مختصة بذاته المقدسة، فهو الوحيد الذي له إحاطة علمية بكل الأشياء سابقها وحاضرها ومستقبلها، ولا يمكن لأي مخلوق مهما بلغ من درجة الكمال أن تكون له هذه الصفة المطلقة من العلم، ولكن العهد الجديد يصوّر لنا المسيح على أن له علم كلي مطلق، أي أنه عالم بكل شيء ماضيه وحاضره ومستقبله، ففي إنجيل يوحنا يذكر أن المسيح: «**كان يعرف الجميع**» لأنه علم «**ما كان في الإنسان**» (يوحنا ٢: ٢٤ ـ ٢٥)، وأيضاً فقد شهد التلاميذ له بذلك قائلين: «**الآن نعلم أنك عالم بكل شيء**» (يوحنا ١٦ : ٣٠)، وهو أيضاً كان عنده معرفة مسبقة بمن سيخونه (يوحنا ٦ : ٤٦).

يقول الدكتور جون والفورد في كتابه «**يسوع المسيح ربنا**» عن معرفة المسيح الكاملة:

«**وبنفس الطريقة فإن معرفة المسيح السابقة تتأكد لنا في فقرات ومواضع كتابية أُخرى، وانسجاماً مع علمه الكلي تقول كلمة الله بأنه يملك حكمة الله (اكورنثوس ١ : ٣٠) ولا يمكن أن تنسب مثل هذه الصفات حتّى إلى أكثر الأنبياء حكمة، فهي تشكل إذاً دليلاً آخر على أنه يمتلك كل**

---

(١) لاهوت المسيح، ص ٩٢.

(٢) الإيمان المسيحي: ١٢٢.

الصفات الإلهية»[1].

٥ ـ السرمدية (الأزلية والأبدية):

وهذه الصفة أيضاً مختصة بالله تبارك وتعالى، فهو الأول والآخر، وليس هناك مخلوق يمتلك هذه الصفة، ولكن هناك فقرات كتابية من العهد الجديد تدعم وجود المسيح قبل ولادته، كوجود حقيقي لا مجرد فكرة في علم الله السابق، قال المسيح: **«خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب»**، (يوحنا ١٦ : ٢٨)، وأيضاً قال: **«وليس أحد صعد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء»**، (يوحنا ٣ : ١٣)، وأيضاً صلاة المسيح عندما قال: **«الآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم»**، (يوحنا ١٧ : ٥)، بل وحتّى يوحنا المعمدان (يحيى) الذي ولد قبل المسيح بستة أشهر يؤكد هذا الوجود الأزلي بقوله: **«الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنّه كان قبلي»**، (يوحنا ١ : ١٥ ـ ٣٠).

فلم يكن هناك زمن لم يكن فيه الله موجوداً، وكذلك المسيح الذي قال: **«قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»**، (يوحنا ٨ : ٥٨)، وهذا يدل على أن المسيح ليس فقط سابق الوجود، بل أن تعبير **«أنا كائن»** يدل على أنه الأبدي الدائم الوجود، والله سبحانه كذلك فهو دائم الوجود، ويعلق وليام باركلي على هذه النصوص فيقول:

«يسوع لا زمني، أي لم يكن هناك وقت قط دخل فيه المسيح إلى حيّز الوجود، ولن يوجد وقت سيتوقف فيه عن الوجود، لا نستطيع أن نقول عن المسيح «لقد كان» يجب أن نقول دائماً «إنه يكون» أو «إنه كائن»، نرى في يسوع لازمنية الله، الذي كان إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، الذي كان قبل الزمن وسيظل بعده فهو دائم الوجود»[2].

---

(١) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٤٩.

(٢) نفس المصدر، ٥٣.

رابعاً: أفعال المسيح ومعاجزه:

يعتقد المسيحيون بأن المعجزة ضرورة لإثبات النبوة، ودليلا على صدق الأنبياء، وهذه المعجزات لا يفعلها الشخص بقوته الشخصية بل بقوة الله سبحانه، ولكن المسألة تختلف مع المسيح، فإنه يجري المعجزات بقوة لاهوته وسلطانه الإلهي[١].

وهذه المعجزات هي أسطع دليل على ألوهيته، لأنّها علامة القدرة الإلهية في من يفعلها بقوته الذاتية، فموسى والأنبياء صنعوا معجزات ولكن ليس بقوتهم الذاتية كما صرّحوا بذلك للشعب، وأما المسيح فقد فعل معجزاته بقوته، وحين فعلها نسبها إلى نفسه فقط، بل وأعطى تلك القوى إلى الرسل والتلاميذ[٢].

فالآيات التي صنعها بسلطان كما يليق بألوهيته، مع آيات رسله التي صنعوها باسمه بعد صعوده، وهذا السلطان وهذه القوة لا تكون إلاّ باسم إله[٣].

فهذا السلطان ليس من الله ويفعل بإذن الله كما عند غيره من الأنبياء والأولياء، إنما هو السلطان الإلهي بقدرته الذاتية مثل الله نفسه، ولا يقهر سلطان الطبيعة إلاّ رب الطبيعة، ولا سيما إحياء الموتى، فسلطان وقوة الإحياء هو سلطان إلهي محفوظ لله وحده، والمسيح كما تنقل الأناجيل قد أحيى الموتى، ولذلك فهو الله[٤].

ونشير هنا باختصار إلى بعض معاجزه:

١ ـ إحياء الموتى:

وذلك في إحياء ابن أرملة نايين عندما قال له: **«أيها الشاب لك أقول قم فجلس الميت**

---

(١) لاهوت المسيح: ٩٣.

(٢) نظام التعليم في علم اللاهوت القويم ١: ٢٤٦.

(٣) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية: ٢٥٤.

(٤) كيف يكون المسيح رباً وإلهاً: ١٠٧.

وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه»، (لوقا ٧: ١٤) وأيضاً في إحياء ابنة يايرس رئيس مجمع كفرناحوم عندما خاطبها: **«يا صبية ارجعي، فرجعت روحها إليها وقامت في الحال فأمر أن تُعطى لتأكل»**، (لوقا ٨: ٥٤) ولكن قصة إحياء لعازر تبقى في نظر المسيحيين هي الأهم، ولعازر هو أخ مريم ومرتا، وقد مات ودفن لمدة أربعة أيام، فقد جاءت أخت لعازر إلى المسيح وقالت له: يا سيدي لو كنت هنا لما مات أخي، فلما رآها يسوع تبكي قال: أين وضعتموه؟ قالوا له: يا سيد هلّم وانظر، فجاء القبر وقال: ارفعوا الحجر، فقالت له مرتا أخت الميت: لقد أنتن يا سيدي، فإن له أربعة أيام... فرفعوا الحجر... فصرخ قائلا: **«يالعازر هلّم خارجاً»** فخرج ويداه ورجلاه مربوطتان...» (يوحنا ١١ : ١٧) ويعتقد المسيحيون أن قصة إحياء لعازر هي (أبلغ دليل على ألوهية المسيح)[1].

٢ ـ شفاء المرضى:

وهي من المعجزات المشهورة للمسيح، وقد تناقلت الأناجيل أخبارها، ومنها: قدرته على شفاء الأمراض المستعصية، مثل العمى وقد نقل إنجيل يوحنا بهذا الخصوص:

«وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته، فسأله تلاميذه قائلين: يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتّى ولد أعمى؟ فأجاب المسيح: لا هذا أخطأ ولا أبواه ولكن لتظهر أعمال الله فيه»، ثم يضيف يوحنا في إنجيله: **«قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عيني الأعمى، وقال له: إذهب اغتسل في بركة سلوام، فمضى واغتسل وأتى بصيراً»**، (يوحنا ٩ : ٣ـ٧).

وأيضاً المعجزة التي نقلها يوحنا في إنجيله، قال:

في أورشليم عند باب الضأن بركة يقال لها بالعبرانية **«بيت حسدا»** لها خمسة

(١) يسوع في زمانه: ٣٠٥.

أروقة، في هذه كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعمى يتوقعون تحريك الماء، لأنّ ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء، فمن نزل أولا بعد تحريك الماء كان يبرء من أي مرض اعتراه.

وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة، هذا رآه يسوع مضطجعاً وعلم أنّ له زماناً كثيراً فقال له: أتريد أن تبرأ؟ قال للمسيح: يا سيد ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء، بل بينما أنا آت ينزل قدامي آخر، فقال له المسيح: قم احمل سريرك وامش.

فحالا بري الإنسان وحمل سريره ومشى» يوحنا (٥ : ٥ ـ ٨).

بل أحياناً أظهر المسيح قدرته على شفاء المرضى من دون أن يراهم، ففي إنجيل يوحنا يُنقل أن المسيح كان في قانا الجليل: **«وكان خادم للملك ابنه مريض في كفر ناحوم، هذا إذ سمع أن يسوع جاء من اليهودية إلى الجليل انطلق إليه وسأله أن ينزل ويشفي ابنه لأنه كان مشرفاً على الموت، فقال له يسوع: لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب.**

فتوسل إليه قائلا: «يا سيد انزل قبل أن يموت ابني. فقال له يسوع: إذهب ابنك حي، فآمن الرجل بالكلمة التي قالها له يسوع وذهب. وفيما هو نازل استقبله عبيده وأخبروه قائلين إن ابنك حي، فاستخبرهم عن الساعة التي فيها أخذ يتعافى فقالوا له أمس في الساعة السابعة تركته الحمى.

ففهم الأب أنه في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع إن ابنك حي، فآمن هو وبيته كله» يوحنا (٤ : ٤٦ ـ ٥٣).

وهذا دليل على لاهوت المسيح **«فقد نطق المسيح بعبارة قصيرة يُعلن فيها عن لاهوته وقدرته»**[١].

---

(١) لاهوت المسيح: ٩٤.

٣ـ إطعام الجماهير الغفيرة:

وهي من معجزاته المشهورة، جاء في إنجيل يوحنا: «**بعد هذا مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية وتبعه جمع كثير لأنّهم أبصروا آياته التي كان يصنعها في المرضى، فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعاً كثيراً مقبل إليه فقال لفيلبس: من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟ وإنما قال هذا ليمتحنه لأنّه هو علم ما هو مزمع أن يفعل.**

فأجاب فيلبس: لا يكفيهم خبزاً بمئتي دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً، فقال اندراوس وهو أحد التلاميذ: هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان.

فقال المسيح لتلاميذه: اجعلوا الناس يتكئون، فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف، وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ، والتلاميذ أعطوا المتكئين، فلما شبعوا قال لتلاميذه: اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء، فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر الفاضلة من خمسة أرغفة الشعير التي فضلت عن الآكلين»، يوحنا (٦ : ١٠ ـ ١٣).

وآيات ومعاجز أخرى كثيرة تناقلتها أناجيل العهد الجديد، بل لقد صرّح يوحنا في إنجيله: «**وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب، وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم به حياة باسمه**»، يوحنا (٢٠ : ٣٠).

خامساً: قبوله للعبادة:

أن موضوع العبادة في الكتاب المقدّس هو أحد المواضيع المهمة والواضحة تماماً، فالعهدان القديم والجديد يؤكدان أن العبادة هي لله وحده، فقد نادى الله الشعب الإسرائيلي قائلا: «**اسمع يا شعبي فأحذرك، يا إسرائيل ان سمعت لي لا يكن فيك إله غريب ولا تسجد لإله أجنبي**»، مزمور (٨١ : ٨).

وفي العهد الجديد وردت آيات كثيرة تؤكد على اختصاص العبادة بالله وحده، فقد قال المسيح لإبليس عندما حاول أن يجربه: «**للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد**»، متى (٤ : ١٠)، فلا يصح لبشر أو ملاك أن يتلقى العبادة، إذ لا يمكن أن يعطي

الله مجده لآخر.

ويستخدم الكتاب المقدّس بشكل رئيسي كلمة واحدة للعبادة وهي الكلمة اليونانية «**بروسكونيو**» وهي الكلمة التي استخدمها يسوع في حديثه مع إبليس وإيضاحه وجوب عبادة الله وحده، وقد استخدمت أكثر من غيرها في وصف عبادة الله في العهد الجديد[1].

ونحن نرى في العهد الجديد أن المسيح لم يحجم عن تلقي العبادة، بل قبلها من الآخرين كحق له، فلو كان المسيح مجرد إنسانٍ وقبل السجود لكان أعظم مضل ظهر على وجه الأرض، إذ أنه سيكون إلهاً أجنبياً وقد نهى الله تبارك وتعالى عن السجود لأي إله أجنبي كما ذكرنا آنفاً.

وقد ذكر العهد الجديد تقديم العبادة للمسيح (الله) من خلال أعمال كثيرة في العهد الجديد، بينما رفض تلاميذه ورسله، بل حتّى الملائكة أيضاً قبول العبادة من الآخرين.

فهذا بطرس الوصي عندما دخل قيصرية استقبله كرينليوس وسجد واقعاً على قدميه، فلم يقبل بطرس هذا السجود كما نقرأ في سفر أعمال الرسل «**فأقامه بطرس قائلا قم أنا أيضاً إنسان**» أعمال الرسل (١٠ : ٢٥).

والملائكة أيضاً رفضوا سجود الآخرين لهم، ففي الإصحاح الأخير من سفر رؤيا يوحنا حيث نقرأ: «**وأنا يوحنا الذي كان ينظر ويسمع هذا، وحين سمعت ونظرت خررت لأسجد أمام رجلي الملاك الذي كان يريني هذا، فقال لي: انظر لا تفعل لأني عبد معك ومع اخوتك الأنبياء، والذين يحفظون أقوال هذا الكتاب، اسجد لله**» رؤيا يوحنا (٢٢ : ٨).

أما المسيح فقد قبل السجود من قبل تلاميذه، ففي إنجيل متى نرى المسيح ماشياً على الماء في قلب العاصفة الهوجاء، ويأمر بطرس بالمجي إليه، ثم يذكر: «لما

(١) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٥٥.

دخلا السفينة سكنت الريح، والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله»، متى (١٤: ٣٢).

وفي إنجيل لوقا نقرأ **«وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد إلى السماء، فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم»**، لوقا (٢٤: ٥٠ ـ ٥٢).

وقبل السجود أيضاً من الناس، فعندما أعاد البصر للمولود أعمى، وطرده اليهود من مجمعهم بسبب اعترافه بقوة المسيح **«فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجاً فوجده وقال له: أتؤمن بإبن الله، أجاب ذاك وقال: من هو يا سيدي لأومن به، فقال له يسوع: قد رأيته والذي يتكلم معك هو، فقال أومن يا سيد وسجد له»**، يوحنا (٩: ٣٥).

وإذا كان المسيح قد قبل السجود من الآخرين فهو الله، لأنّه مكتوب **«للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»**[1].

سادساً: قيامته الفريدة من بين الأموات:

مما لا شك فيه هو أن قيامة المسيح هي أساس الإيمان المسيحي، وهي مع بشارة الصليب تعتبر قلب هذا الإيمان، وبالقيامة أيضاً اتضحت علاقة يسوع بالله، فقد كان يسوع في حياته الأرضية يُلمح إلى علاقة فريدة مباشرة تربطه بالله أبيه، ولكن سر بنوته الإلهية لم ينكشف تماماً للتلاميذ إلاّ في المسيح القائم من بين الأموات، وكل ألقاب السيادة وأسماء وصفات الألوهية والكرامة، التي عبّرت فيها الكنيسة الأولى عن إيمانها بشخص يسوع المسيح (الرب، ابن الله، الله المتجسد) تستقي قوتها وتكتسب معناها من الإيمان بالقيامة[2].

---

(١) الإيمان المسيحي: ١٤٥.

(٢) المسيحية في عقائدها: ٢٣٧.

لقد أقام المسيح أثناء وجوده على الأرض ثلاثة أشخاص كما ذكرنا آنفاً، فقد أقام ابنة (يايرس)، وكذلك أقام الشاب الوحيد لأمه في مدينة نايين، وأيضاً لعازر من بيت عنيا، وتمت هذه القيامة بكلمة الله، لأنّ الذي تكلم هو (ابـن الله) و (الله الابن)، ولكنهم بعد قيامتهم ماتوا ثانية بحكم فساد طبيعتهم، وأما المسيح فقد قام من الأموات بصورة فريدة لم يسبقه إليها غيره، فالأب قد أقام المسيح كما قـال بطرس الرسول «**فيسوع هذا أقامه الله**»، أعمال الرسل (٢: ٣٢)، والمسيح قال بأنه أقام نفسه، وهذا واضح من كلماته: «**فأجاب اليهود وقالوا أية آية ترينا حتّى تفعل هذا، أجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه، فقال اليهود في ستة وأربعين سنة بني هذا الهيكل، أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه؟**

وأما هو فكان يقول عن هيكل الجسد، فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا». يوحنا (٢: ١٨ ـ ٢٢)، بل هو صرّح بذلك عندما قال: «**لهذا يحبني الأب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً، ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي، لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً**»، يوحنا (١٠: ١٧ ـ ١٨).

ولذلك تعتبر هذه القيامة الفريدة دليلا ساطعاً على أن المسيح هو الله[١].

وأنا أكتفي بهذا المقدار من الأدلة التي يذكرها المسيحيون على ألوهية المسيح من العهد الجديد، وإن كانوا هم يستدلون بأدلة أكثر من هذه، بل يـذهبون إلى أن العهد الجديد كله يتحدث عن ألوهية المسيح حتّى قال بعضهم:

«**كل شخص يقرأ الكتاب المقدّس دون أن يستنتج أن المسيح هو الله، يكون كالشخص الواقف في العراء في وضح النهار ويقول إنه لا يرى الشمس، وبذلك يكون هو والأعمى واحد**»[٢].

---

(١) لاهوت المسيح: ١٢٠.

(٢) نجار واعظم: ٩.

المبحث الثاني: الاعتراضات والإشكالات على ألوهية المسيح

من العهد الجديد

هناك بعض الإشكالات والتساؤلات تُطرح على مسألة ألوهية المسيح، وذلك من خلال آيات العهد الجديد نفسه، وسنشير هنا إلى بعض تلك الإشكالات باختصار مع الإشارة إلى إجابات المسيحيين عليها.

وقبل الإشارة إلى تلك الإشكالات أود أن أذكر مقدمة حول الطريقة الصحيحة التي يعتقد بها المسيحيون في تفسير آيات الكتاب المقدّس، فهناك قوانين مهمة يجب أن تُراعى في مسألة التفسير ولا سيما للآيات العسرة الفهم (مشكلة الفهم) وهذه القوانين هي:

القانون الأول:

تفسير الآيات العسرة الفهم (المتشابهة ـ المشكلة الفهم) بالآيات الموضحة لها من الكتاب المقدّس، أي تفسير الكتاب المقدّس بالكتاب المقدّس كما قال بولس: «ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات»، اكورنثوس (٢ : ١٢).

القانون الثاني:

أن يكون التفسير موافقاً لكلمات المسيح الصحيحة، كما قال بولس: «إن كان أحد يعلم تعليماً آخر ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذي هو حسب التقوى،

فقد تصلّف وهو لايفهم شيئاً بل هومتعلل بمباحثات ومماحكات الكلام»، تيموثاوس (٦:٣ـ٥).

القانون الثالث:

ربط الآية التي نريد تفسيرها بالآيات السابقة لها واللاحقة بها، وهو ما يسميه علماء التفسير بربط **«الـText أي الآية بالـcontext أي القرينة»**.

القانون الرابع:

دراسة لغة الآية ذاتها، هل هي مجازية أو حرفية؟ هل هي كلمات نطق بها المسيح، أو الشيطان أو الإنسان وسجلت في سياق حديث الكتاب؟ إذ أنه على أساس فهمنا الدقيق للغة الآية وقائلها، نستطيع أن نفهم بشكل صحيح الآيات العسرة الفهم.

القانون الخامس:

دراسة الظروف التاريخية لكتابة الآية، مثلا أين كان الكاتب؟ ولمن كتب؟ وما هي العادات التي سادت عصره؟ إلى غير ذلك من الظروف التاريخية للسفر الذي كتبت فيه الآية.

القانون السادس:

إذا أمكن تفسير حرف (ظاهري) فالبعد عنه إلى غيره ردي للغاية[١].

أما الإشكالات التي تعترض لاهوت المسيح فهي:

أولا: قال يسوع: **«أبي أعظم مني»**، يوحنا (١٤ : ٢٨) وهذا القول يثبت أن يسوع المسيح هو أقل مكانة وشأناً من الأب، فكيف يمكن القول بتساوي الجوهر الإلهي

---

(١) لاهوت المسيح: ١٣١.

في الأب والإبن؟

الجواب: أن المسيح في دوره كعبد أثناء وجوده على الأرض، احتل منزلة أقل من الله، وهذا أمر صحيح، غير أن هذه المنزلة لا تنفي طبيعته الإلهية، وهذا القول للمسيح يشير إلى مركزه المؤقت لا إلى كينونة وجوده، ويظهر من سياق الآية ومعناها الذي استخدمت فيه أن المقارنة التي أجراها المسيح بين الأب وبينه لا تتعلق بالطبيعة، بل بالصفة الرسمية والمركز الرسمي، وقد كان المسيح من هاتين الناحيتين، ناحية وضعه الرسمي كوسيط، وناحية اتخاذه للطبيعة البشرية أقل منزلة من الأب[١].

وأيضاً فإن المسيح قال في الآية السابقة لهذه الآية **«الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني»**، يوحنا (١٤ : ٢٤)، فالصلة في سياق الآيات كما هو واضح بين الأب والإبن هي صلة **«المرسل والمرسل منه»**، أي أن الأب هو مرسل الابن، والابن هو الرسول بالنسبة إلى الأب، وقد قال المسيح: **«ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله»**، يوحنا (١٣ : ١٦).

فالأب لم يتجسد، ولكن الابن تجسد، وفي تجسده صار ليس فقط أقل من الأب، بل أقل من الملائكة كما ورد في العهد الجديد[٢].

ثانياً: ليس صالحاً إلاّ الله وحده:

لقد سئل أحدهم المسيح قائلا: **«أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله»**، مرقس (١٠ : ١٧ـ١٨).

وبهذا القول يتضح أن المسيح نفى الألوهية عن نفسه لأنه رفض أن يُدعى صالحاً، واعتبر هذا اللقب من مختصات الله فقط.

---

(١) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٨٤.

(٢) لاهوت المسيح: ١٤٦.

الجواب: لقد أبى يسوع أن يقبل ذلك اللقب من الشاب بناءاً على اعتقاد ذلك الشاب أن المسيح ليس سوى إنسان أفضل من سائر الناس بالحكمة والصلاح، وقول المسيح **«ليس أحدٌ صالحاً إلاّ واحد وهو الله»** كأنه قال: **«إذا كنت صالحاً فأنا الله وإن كنت لست الله فأنا لست بصالح، ونحن نعلم أن يسوع صالح، فإذاً هو والأب واحد»**[١].

ويذهب البعض إلى أن هناك سبب محتمل دعا يسوع إلى قول ما قاله للرجل، ألا وهو قياس عمق وعي الرجل لهوية المسيح وشخصه، ومدى جديته في اتباعه، فبعد أن أعلم يسوع الرجل أنه لا صالح إلاّ الله وحده، طلب منه أن يبيع كل ممتلكاته ويتبعه كتلميذ، فقال له: **«اتبعني»**، ولم يقل له: **«اتبع الله»**، فهذه الفقرة تدعم لاهوت المسيح دعماً قوياً[٢].

ثالثاً: قول المسيح: إلهي وإلهكم: يوحنا (٢٠ : ١٧).

ويتضح من هذا القول أن الله هو إله المسيح، وهو ما صرح به بولس في رسالته إلى أهل أفسس حينا قال: **«كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان في معرفته»**، أفسس (١ : ١٧).

وهذا من أصعب الإشكالات التي تواجه حقيقة لاهوت المسيح في العهد الجديد، ولا سيما إذا أضفنا إليه قول المسيح على خشبة الصليب **«إلهي إلهي لماذا تركتني»**، متى (٢٧:٤٦).

الجواب: أن المسيح مع كونه ابن الله الأزلي، إلاّ أنه في ملء الزمان جاء إلى الأرض إنساناً مولوداً من امرأة ليفتدي الإنسان الخاطيء كما قال بولس: **«المسيح يسوع الذي كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله، لكنه أخلى نفسه آخذاًصورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع**

(١) الكنز الجليل في تفسر الإنجيل ٢ : ٨٥.

(٢) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٩٤.

حتّى الموت»، فيلبي (٢: ٥ ــ ٨).

فقوله: **«إلهي وإلهكم» نستطيع فهمه لو أدركنا أن المسيح يربط نفسه هنا بتلاميذه بقوله لمريم المجدلية «إذهبي إلى أخوتي» وما دام قد ربط نفسه بهم وأصبح نائباً عنهم، فالله في هذا الاعتبار هو «إلهه»، وأما قوله «إلهي إلهي لماذا تركتني» فهذا يدل على أن المسيح عندما مات على الصليب مات كإنسان، وبديلا عن الإنسان**(١).

فالمسيح هو إله وإنسان معاً، فيصح عليه أقوال متضادة حسب الظاهر، لأنّ ما يدل على أنه إنسان لا ينفي كونه إلهاً أيضاً، وكذلك ما يدل على أنه الله لا ينفي كونه إنساناً أيضاً(٢).

رابعاً: معرفة المسيح محدودة.

نقرأ في إنجيل مرقس: **«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الإبن إلاّ الأب»**، مرقس (١٣ : ٣٢).

والإشكال في هذه الآية على ألوهية المسيح واضح، فالله هو العالم بكل شيء، والمسيح حسب تصريحه في هذه الآية يؤكد عدم معرفته ليوم أو ساعة مجيئه، وبالتالي فليس هو الله أو ابن الله.

الجواب: أن إنجيل مرقس كان يتحدث دائماً عن **«المسيح العبد»** عكس إنجيل يوحنا، وإذ أخذ المسيح صورة العبد، صار عبداً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، فارتضى بخدمة العبيد، وجهل العبيد بما يعمله سيدهم، حسب ما قاله المسيح نفسه: **«العبد لا يعلم ما يعمل سيده»**، يوحنا (١٥: ١٥)، فهذا الجهل للمسيح هو باعتباره عبداً، وشبيه جهله وعدم علمه ضعفه وعدم قدرته، فقد قال المسيح: **«لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً»**، يوحنا (٥: ١٩) و **«في كل حين أفعل ما يرضيه»**، يوحنا (٨: ٢٩)

---

(١) لاهوت المسيح: ١٣٧.

(٢) نظام التعليم في علم اللاهوت القويم ١ : ٢٦١.

و **«الأب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال»**، يوحنا (١٤ : ١٠).

فهذه الأمور من لوازم كون المسيح عبداً وكإنسان، ولهذا قال إنه لم يعرف الساعة، وليس له قدرة على فعل شيء، وهذه حدود الإنسان والعبيد، ولكن هذا لا يعني أنه ليس معادلا لله، لأنه هو الذي اختار (بالتجسد) وبمحض إرادته ألاّ يمارس كل امتيازاته الإلهية[١].

خامساً: المسيح بكر كل خليقة.

في رسالة بولس إلى كولوسي نقرأ عن المسيح قوله: **«الذي هو صورة الله غير المنظورة بكر كل خليقة»**، كولوسي (١ : ١٥).

والظاهر من الآية أن المسيح هو بكر كل خليقة، والبكر هو الأول، فالمسيح هو أول مخلوقات الله، ولهذا لا يكون هو الله الأزلي.

الجواب: أن كلمة **«بكر»** لا تعني الأول دائماً في الكتاب المقدّس، فقد قال الله عن الشعب القديم **«ابني البكر»**، خروج (٤ : ٢٢)، ويقيناً أن هذا لا يعني هذا الشعب هو أول الشعوب، بل يعني أنه **«الشعب المحبوب»** فعبارة **«بكر كل خليقة»** يعني أن المسيح هو المحبوب من الأب، وسياق الآية **«صورة الله غير المنظور»** إعلان على لاهوته وأنه هو الخالق[٢].

ويقول لويس شيفر في كتابه **«لاهوت شخص المسيح»** ما نصه: **«يشير هذا اللقب الذي يترجم أحياناً «بكر» إلى أن يسوع هو البكر الرئيس في علاقته مع كل الخليقة، لا أول شيء مخلوق، وإنما السابق والمتقدم لكل الأشياء وسببها وعلتها أيضاً»**[٣].

سادساً: بداءة خليقة الله.

---

(١) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٩٣.

(٢) لاهوت المسيح: ١٥٧.

(٣) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٩٠.

وهذه الآية جاءت في سفر رؤيا يوحنا وفيها نقرأ كلمات المسيح: **«واكتب إلى ملاك كنيسة اللاودكين هذا يقوله الأمين الشاهد الأمين الصادق بداءة خليقة الله»**، رؤيا (٣: ١٤).

يقول الدكتور القس لبيب ميخائيل عن الإشكال على لاهوت المسيح بهذه الآية: **«أعترف أنها أصعب الآيات في كل العهد الجديد، ولكنني تذللت أمام الرب وصليت إليه قائلاً: «أكشف عن عيني فأرى عجائب من شريعتك»**، مزمور (١١٩ : ١٨) وتنازل الرب بروح فأرشدني وكشف عن عيني تفسير هذه الآية»[١].

الجواب: هنا لابد لنا من العودة إلى سفر التكوين إذ نقرأ: **«وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا»**، تكوين (١ : ٢٦)، وهنا نتساءل: هل لله صورة وشبه حتّى يعمل الإنسان على مثالهما؟ وقطعاً الجواب لا، لأنّ الله ليس له صورة مادية، ولكنه عمل الإنسان على الصورة التي كان ابنه مزمعاً أن يتجسد فيها في ملِ الزمان، وعلى هذا يكون المسيح في صورته الإنسانية هو بداءة خليقة الله»[٢].

وأنا أكتفي بهذا المقدار من الإشكالات على ألوهية المسيح من آيات العهد الجديد، وإن كان هناك المزيد منها مسطور في الكتب المطولة، ولقد حاولت أن أذكر إجابات المسيحيين على تلك الإشكالات من دون تدخل أو تعليق، وأن أكون حيادياً قدر المستطاع في هذا البحث.

وتلخيصاً لما قيل، فإن الإشكالات التي تُذكر حول لاهوت المسيح، كلها تتعلق حول جنبة وطبيعة واحدة للمسيح فقط، وهي الطبيعة الإنسانية، وللمسيح كما سنذكر في الفصل القادم ـ وفق الاعتقاد المسيحي ـ له طبيعتان: طبيعة إلهية، وطبيعة إنسانية، وفي عملية التجسد، أي نزول أقنوم الإبن وتلبسه بلباس الناسوت، فإن

---

(١) لاهوت المسيح: ١٥٨.

(٢) نفس المصدر: ١٥٩.

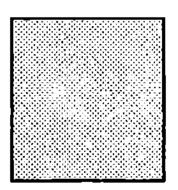
المسيح ترك مركزه المجيد في مساواته مع الله الأب، لكي يصبح إنساناً، ويموت عن خطايا الناس، ويقوم من بين الأموات، ويلتحق ويُمجد مرة أخرى في السماء مع الله الأب[١].

فالسيد المسيح من حيث هو كلمة الله: قديمٌ أزلي، ومن حيث هو ابن السيدة مريم: هو محدثٌ زمني، ففعل المعجز بالطبيعة الإلهية، وأظهر العجز بالطبيعة البشرية، والفعلان للسيد المسيح الواحد[٢].

---

(١) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٩٤.

(٢) عقائدنا: ١٣٧ نقلا عن الأب لويس شيخو اليسوعي في كتابه: المقالات الدينية.



الفصل الرابع

الكنيسة وألوهية المسيح

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تاريخ نشوء الكنيسة وتطوراتها

المبحث الثاني: ما قاله المسيح عن نفسه

المبحث الثالث: ما قاله الرسل عن حقيقة المسيح

المبحث الرابع: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الأول

المبحث الخامس: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الثاني

المبحث السادس: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الثالث

المبحث السابع: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الرابع

المبحث الثامن: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الخامس

المبحث التاسع: بدعة المشيئة الواحدة في المسيح.

إنّ أهم مسألة تطرح كعقيدة وتعليم في المسيحية هي بلا شك عقيدة لاهوت المسيح، فالكنيسة تؤمن وتعلن أنّ المسيح عليه السلام هو ابن الله الحقيقي، وهو أحد الأقانيم الثلاثة التي تؤلّف الإله الواحد، بل هو الله المتجسّد.

ولكي نقف على حقيقة هذه العقيدة في المسيحية يجدر بنا أولا أن ندرس متى وكيف ظهرت هذه العقيدة والظروف التي ظهرت فيها، وهذا يعني دراسة مفصّلة لتاريخ الفكر المسيحي، ولكن هذا لوحده يتطلب تأليف عدّة مجلدات لاستيفاء حق هذه الدراسة، ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه، لذا فنحن في هذه الرسالة سنلقي الضوء أولا على كيفية نشوء الكنيسة، ومن ثمّ نبحث عن العقيدة الخاصة بألوهية المسيح عليه السلام من خلال:

١ ـ ما قاله المسيح عليه السلام عن نفسه وألوهيته.

٢ ـ ما قاله الرسل عن حقيقة المسيح.

٣ ـ آراء آباء الكنيسة في القرن الأول عن حقيقة المسيح.

٤ ـ آراء آباء الكنيسة في القرن الثاني عن حقيقة المسيح.

٥ ـ آراء آباء الكنيسة في القرن الثالث عن حقيقة المسيح.

٦ ـ آراء آباء الكنيسة في القرن الرابع عن حقيقة المسيح.

وسينتهي بنا المطاف إلى مجمع نيقية ٣٢٥ م أولا حيث تمّ صياغة قانون الإيمان النيقاوي، ومن ثمّ مجمع القسطنطينية في سنة ٣٨١ م، حيث تم إكمال النقص في هذا القانون وصياغته في شكله النهائي، وأخيراً مجمع خلقدونية سنة ٤٥١ م، ولنبدأ أولا بذكر موجز لتاريخ ظهور الكنيسة وتطوراتها إلى نهاية القرن الرابع الميلادي.

المبحث الأول: تاريخ نشوء الكنيسة وتطوراتها

أولا: الكنيسة في القرن الأول:

إنّ الاعتقاد السائد لدى المسيحيين هو أنّ الكنيسة ابتدأت حياتها بالأحداث التي ذكرها العهد الجديد بعد رفع عيسى المسيح ﷺ ولا سيما في سفر أعمال الرسل ورسائل بولس، وقد يعتمدون في بعض الأحيان أيضاً على تقاليد وصلتهم عن طرق أخرى غير العهد الجديد وقد جمع بعضها أوسابيوس القيصري.

والكنيسة «اسم سرياني معناه (مجمع) أما الكلمة اليونانية المستعملة في العهد الجديد (اكليزيا) فإنّها تعني مجمع المواطنين في بلاد اليونان التي كانت الحكومة تدعوهم للتشريع أو لأمور أخرى، وقد استعمل الكتّاب الكلمة نفسها للدلالة على مجمع المؤمنين بالمسيح ﷺ»[1].

ويمكن القول بأنّ الكنيسة نشأت في حوالي سنة الثلاثين، وكما يسمونه في «يوم العنصرة» في أورشليم ومؤسسها هو الرسول بطرس الذي أوصاه عيسى بقيادة الرسل من بعده، والمشهور كما هو مذكور في أعمال الرسل أنّ بطرس أعلن في أورشليم وأمام الحجاج اليهود المجتمعين لمناسبة العيد «أنّ يسوع الناصري ذاك الرجل الذي أيده الله لديكم...»[2] وعندما سمع اليهود كلام بطرس هذا قالوا: «ماذا نعمل؟» فأجابهم بطرس: «توبوا وليتعمد كل منكم باسم يسوع المسيح لغفران خطاياكم، فتتناولوا

---

(١) قاموس الكتاب المقدّس: ٧٨٨.

(٢) اعمال الرسل ٢ : ٣٢.

موهبة الروح القدس»، فاعتمد ثلاثة آلاف نفس كما ينقل وبذلك بدأت ولادة الكنيسة، فأعضاء الكنيسة الأولى كانوا من اليهود ذوي الثقافة الآرامية، وهي اللغة السامية الأكثر استعمالا في الشرق الأوسط آنذاك.

ومع بداية نشأة الكنيسة في أيامها الأولى ظهرت الخلافات بين اليهود أصحاب الثقافة الآرامية الذين اعتنقوا المسيحية وبين اليهود ذوي الثقافة اليونانية الذين انضموا أيضاً إلى الجماعة المسيحية ويطلق عليهم اسم **«الهلّنيون»** وهم الذين كانوا يعيشون خارج فلسطين ويعرفون بيهود الشتات.

وبدأت المشادات بين الجماعتين، وهكذا أطلق اسطفانوس المكلف بمسؤولية الهلّنيّن اتهامات ضد يهود أورشليم، ودان الطقوس والهيكل، لأنّ المسيح رفضه وقتله يهود أورشليم، وكان اعتقاده بأنّ الانجيل ليس سوى الدين اليهودي وقد تطهر، ورجم بسبب هذا الاعتقاد ، فهو أول شهيد في المسيحية.

وبعد شهادة اسطفانوس هرب الهلّنيّون المضطهدون من أورشليم إلى السامرة وسواحل المتوسط وأنطاكية، وأصبحوا مرسلين لدى اليهود الساكنين هناك، وفي أنطاكية لقب هؤلاء اليهود المشردين والذين قبلوا دعوة المسيحعليه السلام بالمسيحيين، وهذا هو الاسم الذي يتميزون به عن سائر التجمعات الدينية، وأصبحت أنطاكية نقطة انطلاق لتبشير الأمبراطورية الرومانية، وشيئاً فشيئاً بدأ (بولس) بعد ارتداده عن اليهودية واضطهاد المسيحيين وقبوله تعاليم المسيحعليه السلام ينشر المسيحية كم فهمها بين اليهود ومن ثمّ بين الوثنيين من دون أن يفرض عليهم الممارسات اليهودية.

ومع دخول غير المسيحيين إلى المسيحية بدأ الخلاف بين المسيحيين اليهود والمسيحيين الذين ينحدرون من أصول أخرى مختلفة، فإنّ المسيحيين اليهود كانوا مازالوا محافظين على القوانين اليهودية،كالقوانين المتعلقة بالأطعمة، فعندهم

أكل لحم الخنزير والدم محرم وبعض طرق تهيئة الطعام، وكذلك وجوب غسل اليدين قبل الطعام، وغيرها من القوانين، وعندما قبل بولس الوثنيين في المسيحية من دون قبولهم لقوانين اليهود اشتد الخلاف بينه وبين يهود أورشليم الذين اعتنقوا المسيحية، إلى أن تمّ حل هذه المعضلة بتسوية تسمى (مجمع أورشليم).

وقد حضرها جمع من الرسل، فيعقوب رئيس جماعة أورشليم من جهة، وبولس وبرنابا من جهة أخرى، وبطرس من جهة ثالثة، ودارت المناقشات حول تلك القوانين اليهودية وإلزامها على المسيحيين الجدد من الوثنيين كالختان وغيرها، واستطاع بولس فرض رأيه على المجمع وذلك بعدم فرض الشرائع اليهودية على المسيحيين الجدد بعد اليوم، وهكذا لم يعد الإيمان المسيحي مرتبطاً باليهودية، فلم يعد يفرض على كل من يريد اعتناق المسيحية قبول الشرائع والقوانين اليهودية، وبذلك أضحت الكنيسة فعلا عالمية ولكل الناس على وجه المعمورة، وبدأ بولس رحلاته التبشيرية إلى آسيا الصغرى وأثينا وأوربا، وأهمها ـ كما ينقل ـ هي رحلته إلى روما، والتي ستصبح المركز للكنيسة المسيحية بعد فترة[١].

ويجمع التقليد المسيحي أن بطرس وبولس هما المؤسسين لكنيسة روما وأنهما قد استشهدا فيها، وعلى أساس هذا التقليد يعتبر دور البابا في الكنيسة الجامعة مرتكز على أنّ أسقف روما هو خليفة بطرس، لكن البروتستانت رفضوا هذا التقليد ويقولون بأنّ الكتاب المقدّس لا يتكلم أبداً عن مجي بطرس إلى روما، بل هناك كتاب منحول يتكلم عن صلب بطرس وما زال هذا الاختلاف قائماً بين الكاثوليك والبروتستانت حول هذه المسألة إلى يومنا هذا. بينما كتّاب أعمال الرسل يؤكد صراحة على مجي بولس إلى روما، في حين يحوم الشك حول حياة بولس في السنوات الأخيرة من عمره وظروف موته وتاريخه.

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية: ٢١.

فهذا باختصار أول مراحل نشوء الكنيسة المسيحية وانتشارها عن طريق تلامذة المسيح عليه السلام الذين انتشروا في مناطق مختلفة من المعمورة[١].

ولكن هذه الكنيسة الناشئة تعرضت لشرخ في حياتها الأولى وذلك في سنة ٧٠ م في أحداث خراب أورشليم، فاليهود في أورشليم ثاروا على الرومان بغية إعادة وإحياء شريعة الله الأجداد ، فاشتعلت حرب ضروس أدت إلى خراب المدينة والهيكل، ومع بداية الحرب هجرت الجماعة المسيحية أورشليم قاصدة شرق الأردن، وقضى دمار الهيكل على آخر علاقة للمسيحيين باليهود تقريباً، ورجع اليهود بعد خراب الهيكل إلى عدائهم للمسيحيين، وخلال هذه الحقبة الغامضة والعسيرة في أواخر القرن الأول الميلادي بدأ جمع الكتب المسيحية شيئاً فشيئاً، وهذه الكتب هي ما يطلق عليها اليوم **«العهد الجديد»**، وهو ما تناولناه بالبحث في الفصل الأول ، ويمكن القول أنّ المسيحية في نهاية القرن الأول قررت الانتشار غرباً مستفيدة من الهيكليات الموجودة في الامبراطورية الرومانية.

وهكذا انتهى القرن الأول الميلادي والكنيسة المسيحية تعيش فترة نشأتها الأولى، وكانت اللغة اليونانية هي لغة الكنيسة الأولى، والمسيحيون يستعملون الترجمة اليونانية للكتاب المقدّس المعروفة بالسبعينية، وأغلب أسفار العهد الجديد كتب باليونانية أيضاً.

ثانياً: الكنيسة في القرن الثاني الميلادي:

يمكن القول أنّ المسيحية جعلت محطتها الأهم في التبشير هي الإمبراطورية الرومانية، التي كانت آنذاك قد وحّدت بين بلدان الحوض المتوسط، إذ كان النقل والانتقال بين تلك المدن عن طريق البر والبحر أمراً سهلاً، وبذلك سنحت الفرصة

---

(١) نفس المصدر: ٢٣.

للمبشرين المسيحيين بنقل أفكارهم إلى تلك البلاد وخصوصاً عن طريق البحر، وعلى العكس من ذلك الإمبراطورية الفارسية فبالرغم من إنّ بعض المبشرين في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني استطاعوا الوصول إلى بلاد فارس، لكن البعد الجغرافي والحاجز السياسي والعسكري الذي أقامته الإمبراطورية كان عائقاً في وجه هذا التبشير.

وقد كتب ملتيون (meliton) أسقف سرديس (sardes) في آسيا الصغرى في القرن الثاني رسالة إلى الإمبراطور مرقس آوريليوس المعروف بالفيلسوف أي (الحكيم) مدافعاً عن المسيحيين المضطهدين، وعرض عقيدتهم كحكمة في الحياة، مبيّناً أنّ هناك توافقاً بتدبير من الله بين بدء الإمبراطورية وظهور المسيحية[١].

وسهلت الإمبراطورية الرومانية سرعة التبشير بالمسيحية والإنجيل في سائر أنحاء حوض المتوسط، وفي عالم قاس، كان العبيد والفقراء والنساء والأطفال مضطهدون إلى أبعد الحدود، ففي زمن الإمبراطورية الرومانية كانت المرأة تعتبر قاصرة، فالمرأة تتزوج لتطلق وتطلق للتزوّج، ولكن هذه الحرية لا تستفيد منها إلاّ النساء الثريات اللواتي يسمح الحظ لهن بالاستقلالية، وأما الفقيرات اللواتي يطلّقن أزواجهن فيحكم عليهن بالدعارة، فالمرأة محتقرة وسلعة تباع وتُشترى، كما أنّ الأطفال محتقرون، فبإمكان الأب أن يرفض وليده فيُقتل أو يُعرّض للموت، وهؤلاء الأطفال يربّيهم أحدهم ويبيعهم كعبيد ليتم استغلالهم أبشع استغلال، ولذلك كانوا يشعرون بحاجة إلى من يعيد إليهم حقوقهم وإنسانيتهم وقد وجدوا ذلك في الدين الجديد الذي يُبشر به أي المسيحية[٢].

ثمّ ظل عدد المسيحيين آخذاً بالازدياد، وقد أصبحوا متميزين تقريباً عن

---

(١) موسوعة الأديان في العالم: ١٥.

(٢) موسوعة الأديان «المسيحية»: ٢١.

اليهود، وشكّلوا أقلية في المجتمع الروماني، ولكن بقي العالم الروماني ينظر إليهم بعين الضغينة، إذ أنّهم كانوا قادمين من الشرق ومعظمهم مهاجرون يصعب فهم عاداتهم.

وأيضاً الحيطة التي كانت تتصف بها طقوسهم، كل ذلك أدى إلى أن تدور حولهم الكثير من التساؤلات، فهم يشكلون بدعة جديدة في المجتمع الروماني، إذ أنّهم لا يشاركون في العبادات التقليدية وعبادة الإمبراطور، بل السائد هو أنّ المسيحيين يعبدون لصاً مات مصلوباً، وهذا الموقف بحدّ ذاته يعتبر ضرباً من الانحراف العقائدي، وغيرها من الاتهامات الأُخرى الموجهة إليهم، وقد حاول بعض الكتّاب المسيحيين الدفاع عن جماعتهم أمام الرأي العام والدولة ولكن دون جدوى، إذ ظل المجتمع الروماني يحتقر المسيحيين لسنين طويلة[1].

ويعتبر القرن الثاني هو بداية ظهور الكتابات المسيحية للدفاع عن العقائد والتقاليد المسيحية، ويمكن القول أنّ أكثر كتب الدفاع عن المسيحية شهرة هو **«الدفاع»** الذي أظهر فيه طرطليانس القرطاجي حماسته ومواهبه كمحام، وذلك في سنة ١٩٧ م. والذي يبيّن فيه أهم الطقوس المسيحية في القرن الثاني[2].

ولكن هذا لا يعني أنّه كان هناك اضطهاد شامل خاص بالمسيحية، بل كانت الاضطهادات محصورة زماناً ومكاناً، أي أنّ المسيحيين عاشوا طوال القرون الثلاثة الأولى حالة عدم أمان محدودة، ومطاردة من قبل السلطات، إذ أنه كان في القرنين الأولين الميلادي في الإمبراطورية الرومانية ديانات مسموح بها وأخرى ممنوعة، فاليهودية كان مسموحاً بها، لكن المسيحية بعد أن انفصلت عن اليهودية أصبحت ممنوعة، وكان الرومان متسامحين في هذا الموضوع، إذ أنّ الكتاب

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية: ٣٦.

(٢) موسوعة الأديان المسيحية: ٢٤.

المسيحيين كانوا يعلنون دائماً ولاءهم للدولة **«لا نعتبر الإمبراطور إلهاً، لكننا نخضع له ونصلي لأجله ونحن أول من يدفع الضرائب»**[١].

ثالثاً: الكنيسة في القرن الثالث:

يظهر من التاريخ المسيحي أنّ أشد فترة اضطهاد مرّ بها المسيحيون هي في القرن الثالث الميلادي، إذ أنّه مع نهاية القرن الثاني أخذ بنيان الإمبراطورية يتصدع نتيجة عوامل متعددة ،كالحروب الأهلية وهجوم البرابرة والضعف الاقتصادي وغيرها، فقرر الأباطرة التخلص من عوامل التفرقة وتوحيد الشعب عن طريق عبادة الإمبراطور، فرفض المسيحيون هذا العمل مع أنّهم بقوا على ولائهم للدولة، وأيضاً للحد من ازدياد الفرق الدينية والعبادات والتقاليد الهامشية منع الإمبراطور تبشير المسيحيين، واليهود على حد سواء، وراحت الشرطة تطارد المسيحيين وأعدم بعض أساقفة الكنيسة على يد مكسيمان سنة (٢٣٥)[٢].

وفي هذا القرن أمر الإمبراطور داقيوس سنة (٢٥٠) كل مواطن أن يقدم الذبائح للآلهة، ويعتبر هذا القانون سبب أول اضطهاد عام شُنّ على المسيحيين، إذ أنّ عدداً كبيراً منهم رفض تقديم الذبائح للآلهة، فأعدموا سنة (٢٥٨)، فاستشهد قبريانس أسقف قرطاجة وسكتس أسقف روما والشماس لورنطيوس وغيرهم[٣].

وبلغت ذروة الاضطهاد للمسيحيين مع نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع، إذ بلغت عبادة الإمبراطور أوجها، وأصبح الإمبراطور يستعمل الصولجان والتاج، كما أصبحت عبادته ملازمة لاحتفالات البلاط، فقد رفض الجنود المسيحيون

---

(١) نفس المصدر: ٢٥.

(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية: ٥٥.

(٣) نفس المصدر: ٥٦.

الاشتراك في شعائر عبادة الإمبراطور مما أثار سخطه، واعتبر هذا الأمر خطراً على تقاليد المجتمع القديمة يجب محاربته، فشنت أعنف الاضطهادات وأشدها على المسيحيين ولا سيما مع بداية القرن الرابع، فقد تم إتلاف الكتب المقدسة، وهدم أماكن العبادة، وتجريد المسيحيين من حقوقهم المدنية، والحكم بالعمل في المناجم، والإعدامات...[1].

ولكن بقيت هذه الاضطهادات والمضايقات للمسيحيين تختلف من منطقة إلى أخرى.

رابعاً: الكنيسة في القرن الرابع:

لقد أشرنا آنفاً إلى أنّ الفترة من نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع كانت فترة صعبة مرت بها الكنيسة ولاقت أنواع الاضطهاد من قبل أباطرة الرومان ولكن مع بداية القرن الرابع سيتغير الحال كلياً وتبدأ فترة الأمان الديني للمسيحيين، وستشهد الكنيسة المسيحية عهداً جديداً وبداية للامبراطورية المسيحية وكنيسة قسطنطين.

فقد أخذ النظام السياسي للامبراطورية الرومانية يتزعزع في سنة ٣٠٦، فبدل الأباطرة الأربع قام سبعة أباطرة، وجرت النزاعات بينهم واستطاع قسطنطين ابن قسطنسيوس وهيلانية المسيحية التخلص من منافسيه الواحد تلو الآخر، ففي سنة ٣١٣ اتفق قسطنطين مع لقينوس على اتباع سياسة دينية موحدة وذلك في رسالة سميت فيما بعد بـ **«مرسوم ميلانو»** أعطيت فيها حرية العبادة لجميع مواطني الإمبراطورية وعلى وفق أيّ ديانة انتموا اليها[2].

وفي هذه السنة نشأت **«الكنيسة القسطنطينية»**، وهذا يعني وجود علاقة جديدة بين

---

(١) موسوعة الأديان، المسيحية : ٣١.

(٢) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة: ٩٣.

الكنيسة والدولة، فقد تم دمج الكنيسة في دولة اعتنق امبراطورها قسطنطين الديانة المسيحية، والذي ولد سنة ٢٨٠، وهو ابن الامبراطور قسطنسيوس وأمه هيلانة المسيحية، وقد اعتنق المسيحية في سنة ٣١٢أو ٣١٣ وأما ظروف اهتدائه وأسباب إيمانه فليست واضحة إلى اليوم، ولم يكن قسطنطين مسيحياً مثالياً، فقد ارتكب جرائم كثيرة تدل على أنّه لم يؤمن بتعاليم المسيح ﷺ ، كما إنّه لم يقبل سر العماد إلاّ على فراش الموت سنة (٣٣٧)[١].

وبدأ الإمبراطور بالتدخل في شؤون الكنيسة، وينظر فيها تأييداً لحاكميته، وفي المقابل تحصل الكنيسة على مكاسب مالية وحقوقية، وتلجأ إليه في محاربة البدع والهرطقات.

وكان ملك قسطنطين على غرب الإمبراطورية الرومانية، وليقينوس على شرقها،وبدأ الاختلاف بينهما، فأخذ امبراطور الشرق باضطهاد المسيحيين، واستغل قسطنطين هذه الفرصة وشن حرباً عليه اعتبرها حرباً مقدسة للدفاع عن المسيحية والكنيسة، فهزم لقينوس وقتله، وبقي قسطنطين الإمبراطور الوحيد للرومان وذلك سنة ٣٢٤،ويمكن اعتبار هذا التاريخ البداية الحقيقية **«للامبراطورية المسيحية»**[٢].

وأسس قسطنطين عاصمة جديدة في شرق الإمبراطورية خلافاً لروما العاصمة ٢في الغرب، فاختار مدينة صغيرة تدعى بيزنطية وشيّد فيها مقر الحكم فسميت قسطنطينية، وكان ذلك سنة (٣٣٠)،وكان لتغير العاصمة من الغرب إلى الشرق آثاراً على الإمبراطورية والكنيسة على حد سواء، إذ أنّ مركز الثقل في الإمبراطورية انتقل إلى الشرق، وادّعت الكنيسة القسطنطينية أنها **«روما الثانية»** واستقطبت حولها جميع المسيحيين ذوي الثقافة اليونانية، ويمكن القول بأنّ تأسيس هذه العاصمة

---

(١) موسوعة الأديان، المسيحية: ٥١.

(٢) نفس المصدر: ٥١.

كان بذرة تقسيم الكنيسة الذي سيتمّ فيما بعد.

ومنذ ذلك الزمان لقب الأباطرة (بالحبر الأعظم) أي رئيس الديانة، وكانوا كلهم مسيحيين، وظهرت على النقود العلامات المسيحية (وأحرف اسم المسيح عليه السلام)،وكان الإمبراطور يعتبر نفسه (مساوياً للرسل)، بل اعتبره المسيحيون أنّه موسى الجديد وداود الجديد، لأنّه أغدق على الكنيسة كثيراً ووهب لهم قصوراً لاستعمالها استعمالا دينياً، كما أمر ببناء أماكن رائعة للصلاة، ككنيسة القديس بطرس في الفاتيكان وكنيسة القبر المقدّس وكنيسة بيت لحم وغيرها، وأهدى للأساقفة هدايا كبيرة، فجمعت الكنيسة ميراثاً ضخماً، وفي سنة (٣٨٠) أعلن ثيودوسيوس أنّ الدين الكاثوليكي هو دين الدولة، وحرمت عبادات الوثنيين ودمّرت معابدهم، وأصبح المضطهدون مضطهدين والعكس بالعكس.

فبعد أن كانت الإمبراطورية في خدمة الوثنية صارت اليوم في خدمة المسيحية، وأصبحت معظم مدن الإمبراطورية مسيحية نتيجة للتبشير بالمسيحية[1].

إلاّ أنّ الرابطة القوية التي ارتبطت بها الكنيسة بالامبراطورية واعتمدت عليها لم تدم طويلا في غرب الإمبراطورية، إذ أصبحت الإمبراطورية مريضة، وعند وفاة ثيودوسيوس سنة (٣٩٥) انقسمت نهائياً إلى قسمين شرقي وغربي ، وفي القرن الخامس قضت البرابرة على القسم الغربي منها، وأما في الشرق فقد استطاعت أن تصمد عشرة قرون بعد ذلك، وبذلك لم يبق للعالم الغربي القديم الروماني والمسيحي وجود يذكر، وبدأ عصر جديد، إذ استمرت الإمبراطورية في الشرق، وقد اعتقد الكثير من المسيحيين بأنّ العالم قد أوشك على نهايته بعد سقوط روما الذي أحدث صدمة عميقة في نفوسهم.

هذا هو باختصار تأريخ نشوء الكنيسة وتطورها حتّى نهاية القرن الرابع

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية: ١٨٠.

الميلادي، فمن بعد هذا التأريخ بدأت مرحلة جديدة من حياة الكنيسة.

كما لا يفوتني أن أذكر أنّ الكنيسة ومنذ نشأتها الأولى كانت وحدتها مهددة، لكثرة الاختلافات والنزاعات حول بعض العقائد،الطقوس والتعاليم المسيحية، بل وفي بعض الأحيان كانت الاختلافات نتيجة المنافسة البشرية بين بعض الأساقفة لنيل الدرجة العليا في الأسقفية، ولكن يبقى التهديد الأقوى لوحدة الكنيسة هو ظهور التعاليم المختلفة لأشخاص اعتنقوا المسيحية في القرون الأولى، ورفض بعضهم التجسيد أو ألوهية المسيحعليه السلام ،مما أوجب تفكيك أمر الكنيسة الجامعية الواحدة وجعلها كنائس متفرقة تكفّر إحداها الأخرى، فمثلا كان المسيحيون من أصل يهودي يسعون إلى الحفاظ على تقاليدهم ومعتقداتهم الطقسية واللاهوتية، فظلوا يمتنعون عن الأطعمة المحرمة كلحم الخنزير والدم وغيرها،وكذلك أصروا على الختان باعتباره قانوناً شرعياً، والأكثر من ذلك كانوا يعتقدون أنّ السيد المسيحعليه السلام ليس سوى إنساناً بعثه الله سبحانه في سن الثلاثين يوم عماده على يد يوحنا المعمدان، وذلك لحفظ التوحيد في عقيدتهم السابقة أي اليهودية، ولكنهم بتمسكهم بهذه العقائد والتقاليد اعتبرهم بعض المسيحيين هراطقة (أي خارجين على جماعة المؤمنين)، ولذلك تعددت الفرق والمذاهب المسيحية، ومن أجل وضع حلول لتلك الاختلافات عُقدت المجامع المسكونية أولها مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وآخرها المجمع الفاتيكاني الثاني سنة ١٩٦٢ م ، وكل مجمع خرج بعقائد وقوانين رفضها البعض وقبلها البعض الآخر،وعلى أثر هذا الرفض والقبول انقسمت الكنيسة الواحدة إلى كنائس وجماعات متعددة.

المبحث الثاني: ما قاله المسيح عن نفسه

إنّ الكنيسة تؤكد أنّ المسيح عليه السلام قد أشار (حسب أناجيل العهد الجديد) إلى نفسه بأنّه هو الله المتجسّد، وتستدلّ على ذلك بعدّة آيات من العهد الجديد، الذي يعتبروه المسيحيون وحي من الله كما تقدّم، ولذلك يقولون بأنّ كلّ من يبحث عن ألوهية المسيح يجب أولاً أن يقبل الكتاب المقدّس على أنّه وحي سماوي، يقول جوش ماكدويل: «أنّ معظم الأشخاص المهتمين بموضوع ألوهية المسيح يقبلون الكتاب المقدّس كوحي من الله»[1].

وبالرغم من أننا لانعترف بكون الكتاب المقدّس ـ ولا سيما العهد الجديد ـ الذي بين أيدينا الآن وحياً إلهياً، ولكننا سنعتبره المصدر الوحيد في معرفة ما قاله المسيح عليه السلام عن نفسه، لأننا لا نملك كتباً وأناجيل أخرى معتمدة لدى الكنيسة يمكننا الاستناد إليها في بحثنا هذا، ولذلك فسوف نكتفي بالأناجيل الأربعة في نقل ما قاله المسيح عليه السلام عن نفسه.

ويمكن القول إننا لو طالعنا الأناجيل الأربعة، بل العهد الجديد كله فلن نعثر على نصّ واحد يقول فيه المسيح عليه السلام أنّه إله، أو أمر أتباعه بعبادته، بل على العكس من ذلك سنجد في الكثير من آياته أنّه عليه السلام يؤكّد على الجنبة الإنسانية فقط، ولكن هناك بعض النصوص تشير إلى ألوهية المسيح كما يعتقد المسيحيون، ونحن هنا سنشير إليها:

---

(١) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٩.

١ ـ **«أنا والأب واحد»**[(١)]، وقد نسبت هذه الجملة إلى المسيح عليه السلام في محاورته مع اليهود، وينقل يوحنا في إنجيله هذه المحاورة فيقول: **«تناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه، أجابهم يسوع: أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي، بسبب أي عمل منها ترجمونني، أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك من أجل عمل حسن، بل لأجل تجديف**[(٢)]، **فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً»**[(٣)].

والمسيحيون يفهمون من هذه الجملة أنّ الأب (الله) والابن (المسيح) واحد في الجوهر والمقام، ويستدلون أيضاً بكلام للمسيح عليه السلام يدل على اتحاده بالأب مثلا:

يوحنا (١٧: ١١): **«أيها الأب القدوس احفظهم في اسمك الذي أعطيتني،ليكونوا واحداً كما نحن»**. وأيضاً قوله عليه السلام حسب إنجيل يوحنا: **«وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد»**[(٤)].

فالمسيح ـ حسب المسيحيين ـ أراد أن يكون اتحاد تلاميذه بعضهم ببعض كاتحاده بالأب، لكن هذا الاتحاد بين تلاميذه لا يمكن أن يكون كاملا كما بينه وبين الأب، ولكنه عليه السلام لم يجد تشبيهاً أوفق من ذلك وأتم، فليس المشبه كالمشبه به من كل وجه[(٥)].

٢ ـ ورد أنّ المسيح قال: **«فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الأب فيّ وأنا فيه»**[(٦)].

وقد فهم العلماء اللاهوتيون أنّ هذه الظرفية تفيد الحلول والاتحاد، وعضدوها

---

(١) يوحنا ١٠: ٣٠.

(٢) التجديف: الكفر بالنعمة، والتجديف على الله التكلم عليه بالكفر والإهانة.

(٣) يوحنا ١٠: ٣١ ـ ٣٣.

(٤) يوحنا ١٧: ٢٢.

(٥) سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية: ٢٦٣.

(٦) يوحنا ١٠: ٣٨.

بكلمات أخرى للمسيح ﷺ تفيد نفس المعنى منها: «**ألست تؤمن أني أنا في الأب والأب فيّ، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الأب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال، صدقوني أني أنا في الأب والأب فيّ، وإلاّ فصدّقوني لسبب الأعمال نفسها**»[١].

فعبارة «**الحالّ فيّ**» تفيد اتحاد المسيح بالأب أبداً، فهو إله.

٣ ـ ورد عن المسيح ﷺ أنّه قال: «**أنا أعرفه لأني منه**»[٢] أي لأنّه كلمة الله فهو مساو له في الجوهر، ولذلك قال أيضاً: «**لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً**»[٣]، ونحوه «**لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً**»[٤].

وهذا يدل ـ حسب فهم المسيحيين ـ على أنّ الجهل بأحد الاقنومين يتضمن جهل الآخر[٥].

٤ ـ ذكر يوحنا في إنجيله أيضاً أنّ المسيح ﷺ قد قال: «**والذي يراني يرى الذي أرسلني**»[٦] وأيضاً في هذا المعنى ينقل يوحنا الانجيلي: «**قال له فيلبس: يا سيد أرنا الأب وكفانا، قال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس، الذي رآني فقد رأى الأب، فكيف تقول أنت أرِنا الأب**»[٧].

فهذا يدل على أنّ المسيح ﷺ هو صورة الله غير المنظور، ومساواته مع الأب في الجوهر[٨].

---

(١) يوحنا ١٤: ١٠.

(٢) يوحنا ٧: ٢٩.

(٣) يوحنا ٨: ١٩.

(٤) يوحنا ١٤: ٧.

(٥) سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية: ٢٩١.

(٦) يوحنا ١٢: ٤٥.

(٧) يوحنا ١٤: ٨.

(٨) تفسير العهد الجديد: ٢٥٩.

ونحن نكتفي بهذه الأقوال للمسيح ﷺ في إنجيل يوحنا، والذي فهم منها علماء اللاهوت المسيحيين بأنّها تدل على أنّ المسيح ﷺ له طبيعة إلهية، أي أنّه مساو لله في الجوهر، وسوف نناقش هذه الأقوال في الفصل القادم إن شاء الله عندما نتحدّث عن أدلة المسيحيين حول لاهوت المسيح ﷺ.

المبحث الثالث: ما قاله الرسل عن حقيقة المسيح عليه السلام

من الضروري لكل باحث حول ألوهية المسيح عليه السلام أن يقف عند نظرة الرسل والكنيسة الأولى للمسيح عليه السلام.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هي عقيدة الرسل والكنيسة الأولى في شخص يسوع المسيح عليه السلام؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال المهم أرى من الضروري أن نقدم فكرة موجزة عن المجتمع اليهودي الذي بُعث فيه المسيح عليه السلام وأحلامه وتمنياته حول النبي القادم.

يمكن القول باختصار بأنّ اليهود كانوا في كل حقبة من حقبات تأريخهم ينتظرون «المسيا»، وكلمة «مسيا» أو مشيحه mashiah عبرية الأصل، ولقد ترجمت إلى اليونانية «كريستوس christos» وتعني الممسوح[1].

وهذا المسيا المنتظر حسب الاعتقاد اليهودي والذي هو من نسل داود سيخلص شعبه من خطاياهم وسيحررهم من العبودية، فالمسيا هو المنقذ المخلص وهو المحارب المقاتل الذي يحرر الشعب اليهودي من الظلم ويؤسس دولة يهودية تحكم وفق الشريعة، وبكلمة أخرى فهو ملك اليهود المنتظر.

والآن نعود للإجابة على السؤال الذي طرحناه وهو: ما هي عقيدة الرسل والكنيسة الأولى في شخص المسيح عليه السلام؟

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١: ٤٠.

إنّ دراسة عميقة للعهد الجديد توضح بجلاء أنّ التلاميذ المقرّبين للمسيح (الرسل) وفي أثناء الفترة التي قضاها معهم المسيح على الأرض، بل وبعد صلبه وموته وقبل صعوده إلى السماء، لم يختلفوا كثيراً في معتقداتهم وآرائهم عن معاصريهم من اليهود، وذلك لأنّ هؤلاء التلاميذ كانوا يهوداً شاركوا اليهود في آمالهم وأحلامهم حول المسيا المنتظر.

وهذا ما تعترف به الكنيسة من أنّ التلاميذ كانوا ينظرون إلى يسوع كالمسيا الذي توقعته الجماهير اليهودية، أي المسيا السياسي والملك الذي سيعيد الملك إلى بني إسرائيل.

والأدلة على هذا الرأي كثيرة من الفصول الكتابية للعهد الجديد، فهذه أم يعقوب ويوحنا تطلب من المسيح بأن يكون ابناها في صدارة القيادة في مملكته الأرضية، حيث قالت: **«قل أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك»**[1].

بل والعجيب أنّ هذا المفهوم الخاص بمسيانية المسيح وإرجاعه الملك لإسرائيل كان متسلطاً ومسيطراً على التلاميذ بعد موته وقيامته، وهذا واضح من خلال سؤالهم الذي طرحوه على المسيح بعد قيامته وقبل صعوده حيث ينقل لنا سفر أعمال الرسل: **«أما هم المجتمعون فسألوه قائلين يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل»**[2].

وأيضاً يمكن الاستدلال على هذا الفهم للرسل من خلال النقاش الذي دار بين المسيح عليه السلام وبين تلميذي عمواس، عندما قالا له: **«ونحن كنا نرجو أنّه هو المزمع أن**

---

(١) متى ٢٠ : ٢٢.

(٢) أعمال الرسل ١ : ٦.

يفدي إسرائيل»(١).

وقد وصلت الحالة بالتلاميذ بعد صلب المسيح وموته وقيامته وصعوده ـ حسب الاعتقاد المسيحي ـ إلى أن قرر البعض منهم وبالخصوص وصيه بطرس الرجوع إلى حرفهم القديمة مثل الصيد، فقد قال بطرس: **«أنا ذاهب لأتصيد، قالوا له نذهب نحن أيضاً معك»**(٢).

ومن هذه الآيات الكتابية يمكن القول بأنّ التلاميذ والرسل كانوا يعتقدون بأنّ المسيح عليه السلام هو المسيا المنتظر، أي القائد والملك الذي سيعيد مملكة إسرائيل من جديد.

ولكن إعلان بطرس حول ألوهية المسيح يسبب مشكلة في قبول هذا الرأي في الظاهر، وإعلان بطرس في قيصرية فيلبس والذي كان رداً على سؤال المسيح هو: **«من يقول الناس أني أنا ابن الإنسان؟ فأجاب بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي»**(٣) ولكن هذا الإعلان الذي نطق به بطرس لم يكن ناتجاً عن فهمه الشخصي لحقيقة المسيح، بل هو ـ كما يعتقد المسيحيون ـ اعلان الأب لبطرس، ولذلك قال المسيح في تعليقه على إجابة بطرس: **«طوبى لك يا سمعان بن يونا، إنّ لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات»**(٤).

وهناك فرق شاسع بين هذا الاعلان الموحى به من الأب لبطرس، وبين عقيدة بطرس الشخصية في يسوع الناصري، والتي كانت تشبه معتقدات الكثير من اليهود في عصره.

---

(١) لوقا ٢٤ : ٢٢.

(٢) يوحنا ٢١ : ٣ ـ ٦.

(٣) متى ١٦ : ١٣ ـ ٢٠.

(٤) متى ١٦ : ١٧.

ولذلك نرى أنّ بطرس انتهر المسيحﷺ عندما أعلن المسيح أنه لابد أن يتألم ويموت، فهذا بطرس الذي أعلن قبل لحظات أنه ابن الله الحي يشيط غضباً على المسيحﷺ لأنّه ذكر آلامه وموته، يقول مرقس: **«فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره»**[١].

والظاهر أنّ اعلان المسيح علانية عن موته دفع بطرس إلى هكذا ردة فعل، **«إذ أنّه كان يرى فيه الملك الذي يخلص إسرائيل، ولذلك يعتقد المسيحيون أنّ بطرس لم يفهم هذا الإعلان السماوي (كون المسيح ابن الله الحي) إلاّ بطريقة جسدية مادية»**[٢].

وكأني ببطرس يقول للمسيح منتهراً إياه: **«يا يسوع ألا تعلم أنّك تعثر الشعب، بل أنك تحطم آمالهم عندما تقول هذا الكلام أمام الجميع الذين ينتظرون أنك تخلصهم وترد لهم الملك وترجع لهم السلطان والسيادة على بلادهم؟»**[٣].

ولهذا قال الدكتور فهيم عزيز: **«التلاميذ لم يكونوا مستعدين أن يتقبلوا هذا الإعلان، أنهم كانوا ينتظرون ابن الإنسان صاحب السلطان، أما عبد الرب الذي يموت فلم يحلموا به»**[٤].

فهذا هو الذي يمكن التوصل إليه من خلال آيات العهد الجديد، ولكن هناك نقطة مهمة يجدر الإشارة إليها في هذه المسألة، وهي مسألة تطور كلمة **«مسيا»** في تأريخ اليهود، يقول **«هري أمرسن»** في كتابه نظرات حديثة في الكتاب المقدّس:

«وأما من جهة كلمة مسيا وما رافقها من التطور في تأريخ اليهود، فقد كان لها معنيان:

الأول: الأمل الذي كان يعتقده اليهود على استمرار مجد بيت داود، ويبدأ ذلك الأمل بانتظار

---

(١) مرقس ٨: ٣٢.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٢٧١.

(٣) نفس المصدر: ٢٧٢.

(٤) كتاب ملكوت الله : ١٧٤.

ملك دائم لسلسلة من الملوك الذين يرجع نسبتهم إلى بيت داود.

الثاني: وهو الأكثر تشعباً واحكاماً في الترتيب، كان يرافق ذلك الرجاء الإلهامي الحُلمي الذي نشأ وتطور بين العهدين القديم والجديد، فأصبح المسيا ملكاً ممسوحاً هو ابن الإنسان من السماء وموجوداً قبل العوالم والأكوان منتظراً الساعة المعينة لكي ينزل على أجنحة السحب»[١].

والظاهر أنّ تلاميذ المسيح وأتباعه ورسله فهموا من المسيا المعنى الأول دون الثاني كما اتضح لنا ذلك من خلال نصوص العهد الجديد.

ولكن يبقى سؤال آخر يطرحه المسيحيون وهو: هل تمسك التلاميذ بهذا المفهوم، وبمعنى آخر هل بقيت هذه العقيدة والنظرة لشخصية المسيح على هذه الحال؟

ويجيبون عليه بالنفي، وذلك أنّ حياة التلاميذ والرسل تغيّرت كلياً بعد نزول الروح القدس عليهم يوم العنصرة، ولهذا يقسمون مراحل حياة الرسل إلى ثلاثة أقسام وهي:

المرحلة الأولى: وهي المرحلة التي عاشوا فيها مع المسيح في أثناء وجوده على الأرض.

المرحلة الثانية: هي الفترة التي يسمونها فترة التيتم، أي فترة الخمسين يوماً التي قضاها التلاميذ من بعد قيامة المسيح إلى حلول الروح القدس.

المرحلة الثالثة: هي فترة نزول الروح القدس وامتلاءهم من الروح القدس[٢].

ويعتقد المسيحيون أنّ مفهوم التلاميذ عن المسيح عليه السلام قد تغير كلياً، فهذا بطرس يشهد للمسيح عليه السلام فيقول: **«فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أنّ الله جعل يسوع هذا الذي**

---

(١) نظرات حديثة في الكتاب المقدّس: ٢٧٢.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي: ٢٧٥.

صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً»[١] وأيضاً يقول: **«هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا، ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضاً الذي أعطاه الله للذين يطيعونه»**[٢].

فبطرس لا يعلّم بعد بمسيا سياسي وملك مقتدر سيعيد مملكة إسرائيل، بل بمسيا آخر وهو الذي يخلّص بني إسرائيل من خطاياهم وأحمالهم الثقيلة، وهو ابن الله الحي مخلص العالم.

ولكن بطرس هذا يؤكد أيضاً حتّى بعد امتلائه من الروح القدس على أنّ المسيح عليه السلام لم يكن سوى رجلاً إلهياً يعمل المعجزات بإذن الله سبحانه، إذ يقول: **«إنّ يسوع الناصري رجلٌ أيّده الله بمعجزات وعجائب صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون»**[٣].

وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ بطرس قد تغيّر مفهومه عن المسيح السياسي، ولكنه لم يعتقد أبداً بألوهية المسيح عليه السلام، وما جاء على لسانه من **«أنّ الله قد جعل يسوع رباً ومسيحاً»** لا يتجاوز المعنى المجازي دون الحقيقي على ما سيجي في الفصل القادم.

وللأسف الشديد فإنّ العهد الجديد الذي بين أيدينا لا يوضح الصورة كاملة عن بقية التلاميذ المقربين وعقيدتهم في المسيح عليه السلام، ولذلك لا يمكن التأكّد مطلقاً من فهم التلاميذ عن شخصية المسيح عليه السلام بأكثر مما ذكرناه.

ولقائل أن يقول: إنّ اثنين من كتّاب الأناجيل الأربعة هم من التلاميذ الاثني عشر وهما متى ويوحنا ونستطيع من خلال انجيليهما الوقوف على عقيدتهم في

---

(١) أعمال الرسل ٢: ٣٦.

(٢) أعمال الرسل ٥: ٣١.

(٣) أعمال الرسل ٢: ٢٢.

شخص المسيح عليه السلام.

فنقول:

أولا: أنّ انتساب انجيل متى ويوحنا إلى التلميذين مورد شك وترديد، فهذا متى يقول في إنجيله: **«وفيما كان يسوع مارّاً رأى جابياً اسمه متى جالساً هناك، فقال له: اتبعني فقام وتبعه»**[١]، فلو كان كاتب الإنجيل هو متى التلميذ لقال: **«رآني واتبعته»** ولما ذكر اسمه.

وأيضاً فإنّ عنوان الإنجيل ـ الإنجيل بحسب متى ـ أضيف له في النصف الأول من القرن الثاني، ولذلك نرى علماء الكتاب المقدّس يقولون: وأجمع الآباء على نسبة الإنجيل إلى الرسول متى يصبح ضعيفاً عندما ندرك أنّه من غير المؤكد أنّ أقدم من يفترض أنهم شهود لهذا الاعتقاد لا يساندونه البتة، فهو كسائر الأناجيل عمل غير معروف كاتبه من حيث إنّه لم يأت في النص ذكر لاسم كاتبه[٢].

وأما إنجيل يوحنا فقد سمي **«الإنجيل حسب يوحنا»** في الربع الأخير من القرن الرابع[٣]، والأمر المؤكد في هذا الإنجيل أنّه كتب في أفسس في نهاية القرن الأول على أقل تقدير حسب إجماع علماء الكتاب المقدّس، وهناك تقليد آخر في الكنيسة يشير إلى أنّ يوحنا التلميذ الحبيب مات وهو شاب، فقد وصل خبر من القرن التاسع ينسب إلى بابياس قولا بأنّ يوحنا قُتل على يد اليهود مع أخيه يعقوب سنة ٤٠ م، ونجد الخبر ذاته في أخبار القديسين في الرها وقرطاجة (القرنان الخامس والسادس الميلادي)[٤].

---

(١) متى ٩ : ٩.

(٢) التفسير الحديث للكتاب المقدّس إنجيل متى: ٢٣.

(٣) إنجيل يوحنا دراسات وتأملات، الخوري بولس الفغالي: ٢٠.

(٤) نفس المصدر: ٢٢.

وقال علماء آخرون: وُجد في أفسس يوحنا آخر كتب الإنجيل، والآراء عديدة حول يوحنا هذا، فمنهم من يقول إنّه يوحنا مرقس قريب برنابا ورفيق بولس، كما يقول سفر أعمال الرسل،ومنهم من يقول إنه يوحنا الشيخ الذي يذكره بابياس أسقف هيرابوليس، إذ يميّز هذا الأسقف بين الرسل الاثني عشر **«وكان منهم يوحنا»** وبين الشيوخ وكان منهم **«يوحنا وارستيون»**[1].

فعلى أقل تقدير يمكن القول بأنّ صحة انتساب الإنجيل الرابع إلى التلميذ الحبيب يوحنا هو محط شكّ وترديد، ولذلك فمنذ نهاية القرن ١٨ إزداد شكّ العلماء في نسبة الإنجيل الرابع إلى يوحنا الرسول.

وثانياً: لو سلّمنا بأنّ الإنجلين **«متى ويوحنا»** كتبهما تلاميذ المسيح وذلك بعد ما لا يقل عن (٣٠ إلى ٧٠ سنة) من زمن نزول الروح القدس عليهما وذلك في يوم العنصرة، ولكننا لا نرى أي تغيير حقيقي لفهم التلاميذ عن حقيقة وشخصية المسيح أبداً، بالإضافة إلى أنّ الرسولين متى ويوحنا لم يذكرا شيئاً عن الأحداث التي وقعت بعد رفع المسيح عليه السلام ونزول الروح القدس على التلاميذ والرسل، وخصوصاً إنجيل متى، وأما إنجيل يوحنا والذي يُطلق عليه اسم الإنجيل اللاهوتي فهو الآخر لم يذكر شيئاً صريحاً وواضحاً عن لاهوت المسيح عليه السلام بل على العكس من ذلك نجد أنّه يؤكد بأنّ المسيح لم يكن سوى رسول الله، وهذا ما سنناقشه في الفصل القادم عند التعرض لأدلة المسيحيين حول ألوهية المسيح عليه السلام .

(١) نفس المصدر: ٢٣.

المبحث الرابع: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الأول

بعد حلول الروح القدس على التلاميذ بقي الرسل في أورشليم حتّى سنة ٤٥ م رغم الاضطهادات من قبل اليهود، إذ أنّ اليهود قتلوا اسطفانوس رجماً بالحجارة وذلك سنة ٣٦ م تقريباً، وباستشهاده بدأ اضطهاد المسيحيين في أورشليم، فكانوا يبحثون عنهم في البيوت ويجبرونهم أن يجدفوا على اسم يسوع، وزجوهم في السجون وسلموا الكثير من المؤمنين بالمسيح إلى الموت، فهرب بعض المؤمنين من أورشليم وتفرقوا في كل المناطق اليهودية والبلاد المجاورة، ولكن الرسل بقوا في أورشليم[١].

فأوّل كنيسة نشأت في المسيحية هي كنيسة أورشليم كما ذكرنا سابقاً، ونحن في دراستنا لهذه الحقبة من الزمان سنركز جهودنا على توضيح كيف ومتى ولدت المعتقدات المختلفة الخاصة بشخصية المسيح عليه السلام، وهذا ما يدعى في علم اللاهوت بـ(الكريستولوجية christologie)[٢].

ويمكن القول أنّ في هذه الفترة ظهرت تعاليم مختلفة ومتنوعة،كانت نتيجة لعقيدتين هامتين ومتناقضتين، وهما:

الأولى: عقيدة الذين يرون في شخص المسيح إنساناً وإنساناً فقط هو بن مريم، ولقد رفعه الله بسبب تقواه إلى درجة الكرامة، وهناك جماعتان حملتا هذه العقيدة

---

(١) تأريخ الكنيسة المسيحية، سمير نوف: ٢٤.

(٢) وهي بمعنى التعاليم الخاصة بشخص المسيح في اللاهوت المسيحي.

في القرن الأول، الأولى هي جماعة الابيونيين (ebionistes)[١] والثانية هم الناصريون، وكانت الجماعتان من أصل يهودي حاولوا المحافظة وبأي ثمن على معتقداتهم الطقسية واللاهوتية حتّى بعد إيمانهم بالمسيح والمسيحية، فظلّوا أمناء للختان وللامتناع عن الأطعمة المحرمة، ولأنّ شاغلهم الأكبر كان الحفاظ على التوحيد الكتابي، لم يروا في السيد المسيح إلاّ إنساناً تبنّاه الله يوم عماده[٢].

والفرق بين الجماعتين يكمن في أنّ الأولى ـ الابيونيون ـ اعتقدوا بأنّ المسيح هو إنسان ولد من مريم وزوجها يوسف النجار، في حين الجماعة الثانية كانت تعتقد مع إيمانهم بكون المسيح‍ؑ مجرد إنسان، بأنّه حُبل به على نوع عجيب وأنه كان له مواهب خارقة للعادة[٣].

وكانوا يعلمون أنّ بولس مرتد عن الدين القويم، وكانوا متمسكين بالناموس، يجعلون في صلواتهم أورشليم قبلة لهم، كما أنهم يرفضون وجود المسيح السابق قبل التجسد، وأيضاً لا يؤمنون بميلاده من الروح القدس أو الله، بل خلق كما خلقت الملائكة ولكنه أعظم منهم جميعاً في الدرجة.

الثانية: العقيدة المتناقضة مع العقيدة الأولى، والقائلة بأنّ المسيح‍ؑ لم يتجسد بصورة حقيقية، إذ أنّ جسده الذي كان يظهر به أمام الناس لم يكن إلاّ خيالا، لأنّ الجسد مادة، وكل مادة رديئة[٤]. والذي دفعهم إلى هذا الاعتقاد هو رؤيتهم في أصل الشر، فقالوا: إنّ الله هو مصدر الخير فقط، وأنّ الشر موجود فلابد من أن يكون

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٣٨٠ وقد اختلف الباحثون في أصل التسمية، فنسبه بعضهم إلى أبيون ebion على أنّه المؤسس، ويقول آخرون: بأنّه مشتق من «ابيونيم» العبرية، ومعناها الفقراء «موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط ٢ : ٥٠».

(٢) موسوعة الأديان في العالم (المسيحية): ٤٥.

(٣) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٣٨٠.

(٤) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٣٨٠.

أصله خارجاً بل مستقلا عنه تعالى.

فهو سبحانه وتعالى مصدر جميع الكائنات الروحية لأنّ جميعها صدرت من جوهره، ومنها صدرت كائنات أخرى، ومن تلك صدر غيرها وهلّم جرا، وكل صادر كان دون ما صدر منه، فكانت درجة انحطاط الكائنات حسب بعدها عن المصدر الأصلي.

وقالوا أيضاً إنّ الشر يصدر من المادة، وإنّ خالق العالم (المادي) ليس الله بل روح دون الله يسمى **«الديميورغوس»**، وأنّ الإنسان مكوّن من روح صادرة من الله، متحدة بجسد مادي ونفس حيوانية، وأنّ تلك الروح تدنست بسبب هذا الاتحاد مع المادة.

وقد أطلق على أصحاب هذا المعتقد الغنوسية (gnose) أي العارفين، فإنّ كلمة (غنوس) أو الغنوسية يونانية وتعني المعرفة أو العلوم الخاصة بالأمور الروحية أو الإلهية[١].

والغنوسية تشمل عدة مذاهب، إلاّ أنّها تشترك في شيء واحد وهو أنّ الخلاص يتم عن طريق المعرفة، وهذه المعرفة تأتي عن طريق الإلهام، وبهذه المعرفة نستطيع الوصول إلى إدراك وفهم من نحن وما هو مصدرنا وأصلنا، وما هي الغاية التي نسعى إليها؟

وبهذه المعرفة أيضاً نستطيع الوصول إلى الخلاص من الأشياء الحسية التي تربطنا بالمادة[٢].

ويمكن القول أنّ الغنوسية هي خليط من الأفكار الفلسفية الدينية الهلينية، والازدواجية الفارسية، واليهودية والمسيحية.

---

(١) نفس المصدر: ٣٩٦.

(٢) نفس المصدر: ٣٩٦.

ويعتقد البعض بأنّ الغنوسية المسيحية بدأت في القرن الأول ولكنها ازدهرت وانتشرت في القرن الثاني، وأيضاً يذهبون إلى القول بأنّ أبا الغنوسيين هو سميون الساحر، وقد ورد ذكره في سفر أعمال الرسل (٨ : ٩ ـ ٢٤) وكان يدهش شعب السامرة بسحره، ولما جاء فيلبس المبشر يكرز بالإنجيل في السامرة، ورأى سميون المعجزات التي جرت على يد فيلبس، آمن واعتمد ولازم فيلبس، ولما نزل بطرس ويوحنا إلى السامرة وجرت المعجزات على أيديهم اندهش سميون أكثر، وطلب منهم معرفة تلك القوة السحرية مقابل المال، فوبخه بطرس على ذلك، وقد كان لسميون أتباع اسمهم السميونيون، وهم من شيع الغنوسيين.

ولكن بالرغم من هذا يبقى أصل ومصدر الغنوسية المسيحية غير معروف تماماً[١]، ولكن الأمر المؤكد هو أنّ جماعة من الغنوسيين اعتنقوا المسيحية، وقد حاولوا أن يوفقوا بين فلسفتهم وعقيدتهم في المادة التي كانوا يعتبرونها شراً، وبين لاهوت المسيح الذي ظهر على الأرض، ولذلك وجدوا صعوبة في قبول فكرة أنّ المسيح عليه السلام أخذ جسداً كأجسادنا، لأنّ اتحاده بالجسد والمادة هو شر وخطيئة، ولقد ذهب بعض الغنوسيين المسيحيين (فالنتينوس valentin) إلى القول بأنّ خروج المسيح من رحم مريم العذراء لم يفض عذراويتها، لأنّ مرور المسيح من رحمها كان كاختراق النور للمواد الشفافة، أو المياه للثوب[٢].

والاعتقاد السائد حول العقيدتين هو أنّ الأولى كانت عقيدة اليهود المتمسكين بالتوحيد والناموس، والثانية كانت عقيدة الوثنيين واليونانيين وغيرهم.

وقد ظهرت نتيجة هاتين العقيدتين تعاليم كثيرة أخرى مثل تعاليم ماكيون وتعاليم الانتحالية وتعاليم بولس السميساطي وأريوس وبولوناريوس ونسطور

---

(١) قاموس الكتاب المقدّس: ٤٩٧.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٤٠٠.

وغيرهم وسوف نشير إليها في هذا البحث بنوع من التفصيل.

وقد ظهرت هاتان العقيدتان في القرن الأول الميلادي، في عصر الرسل وإلى نهاية القرن الأول الميلادي، وقد استطاع الرسول يوحنا في إنجيله ـ حسب المسيحيين ـ أن يكتب ضد هذه التعاليم والتي تعتبرها الكنيسة هرطقات وبدع وتعاليم منحرفة، وقد شدّد يوحنا في إنجيله على مسألة لاهوت المسيح وأنّه ابن الله، وأنه هو الكلمة **«في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله»**[١]، وأيضاً أكد على ناسوت المسيح؈ بقوله: **«والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا»**، وعبارة صار جسداً تعطي معنىً أفضل من عبارة أخذ جسداً، لأنّ عملية التجسد لم تكن عملية لبس ثوب على آخر، بل هي عملية اتحاد كلي وجزئي دون أن تطغى أو أن تلاشيء طبيعة الواحد طبيعة الآخر[٢].

ونكتفي بهذا المقدار من البحث حول العقائد التي ظهرت في الكنيسة في القرن الأول الميلادي، وقد استطاع بعض آباء الكنيسة في هذا القرن أن ينادوا ويعلنوا أنّ الله (يهوه) بعظمته وسموه قد ظهر في الجسد: **«عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد»**[٣].

والحقيقة أنّ مهمة آباء الكنيسة الأولى لم تكن مهمة سهلة، إذ أنّ التربة التي القيت عليها بذور ألوهية المسيح كانت تربة غير صالحة لمثل هكذا تعاليم، ولا سيما في الوسط اليهودي الذين كانوا يؤمنون بوجود الإله الواحد السامي العظيم (يهوه)، ولذلك اعتبر المسيحيون اليهود القول بألوهية المسيح تجديفاً عظيماً على يهوه لأنّه لا يوجد إله غيره.

---

(١) يوحنا ١ : ١.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي : ٤٠٣.

(٣) نفس المصدر: ٤٠٤.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان هناك الوثنيون الذين اعتادوا على عبادة عدة آلهة، وعندما اعتنقوا المسيحية على يد بولس قبلوا بسهولة مسألة ألوهية المسيح، ولكنهم اعتبروه كواحد من الآلهة الكثيرة في ديانتهم.

وأيضاً كانت هناك الغنوسية والتي تعتقد بأنّ المادة والجسد شر، وعند اعتناقهم للمسيحية قبلوا ألوهية المسيح ولكن مزجوها مع أفكارهم حول المادة وبذلك أنكروا ناسوت المسيح وجسده.

ولذلك نجد أنّ القرن الأول الميلادي ومع وجود الرسل والتلاميذ كان منشأ لظهور العقائد والتعاليم المخالفة لتعاليم الكنيسة آنذاك، وكانت هذه البدع والهرطقات هي الأساس لبدع وهرطقات أخرى تعتبرها الكنيسة أكثر خطراً وأشد شراً.

المبحث الخامس: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الثاني

لقد انتهى عصر الرسل بانتقال آخر رسول من رسل المسيح إلى السماء، وأطلّ القرن الثاني على الكنيسة، وقد ظهرت في الكنيسة جماعة من الآباء تولت قيادة الكنيسة، ويطلق على هذه الفترة التي جاءت بعد العصر الرسولي مباشرة اسم (ما **بعد العصر الرسولي** posteapostolique). وعلى جماعة العلماء هذه اسم (**الآباء الرسوليين** Lespersapostoliques) وظهر من جماعة العلماء هذه آباء دافعوا عن العقيدة المسيحية من خلال كتاباتهم ولقبوا بالآباء المدافعين (Apologistes)[١]

ولقد حاول الآباء المدافعون ـ ولإقناع اليهود وإرضائهم ـ المحافظة على عقيدة التوحيد كأساس جوهري، فاضطروا إلى أن يبحثوا عن حلول لمشكلة ألوهية المسيح، وكذلك لصرف المسيحيين الوثنيين عن اعتقادهم بكون المسيح إلهاً كبقية الآلهة، وذلك من خلال شرح عقيدة التوحيد.

ومع النجاح الذي حققه هؤلاء الآباء، إلاّ أنّهم كثير ما سقطوا في أخطاء عقائدية ولا سيما حول التعاليم الخاصة بشخصية المسيح وحقيقته.

ويمكن القول أنّ هؤلاء المدافعين هم الذين صاغوا علم اللاهوت المسيحي أو أنهم كان لهم الأثر الأكبر في صياغته، وللأسف فإنّ عدداً كبيراً من هؤلاء المدافعين لم يبق منهم سوى الاسم، ولكن تبقى هناك كتابات هامة لا زالت الكنيسة تحتفظ

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١: ٤١٢.

بها ككتابات يسطنيس الذي أدار مدرسة فلسفية مسيحية في السنين (١٤٠ ـ ١٥٠) م، دافع فيها عن الإيمان المسيحي رداً على الوثنيين واليهود[١].

وفي هذا البحث سنشير إلى مفهوم بعض الآباء المشهورين وتفسيرهم وشرحهم للمشكلة الكرستولوجية، مع الوقوف عند بعض الهرطقات والانحرافات التي ظهرت في هذا القرن ورفض الكنيسة لها ومحاربتها، ومن هؤلاء اللاهوتيين:

أولا: أغناطيوس الأنطاكي ignace dantioche:

تعتبر أنطاكية أهم مركز للمسيحية بعد أورشليم، ومن هذه المدينة انتشرت المسيحية إلى الغرب، وفي هذه المدينة دُعي تلاميذ عيسى عليه السلام مسيحيين لأول مرة في التاريخ، كما ينقل سفر أعمال الرسل: **«ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا»**، أعمال الرسل (١١: ٢٦)[٢].

وأما عن حياة هذا القديس فينقل أنّه **«ولد في سنة ٣٥ ميلادي في أنطاكية ويحتمل أنه من أصل سوري يوناني، ويُقال إنّه قبل الإيمان على يد الرسل مباشرة في أثناء إقامة بعضهم في أنطاكية، ونُصب أسقفاً لكنيسة أنطاكية سنة ٦٩ أو ٧٠ ميلادي»**[٣]، **«واتخذ لنفسه لقب (ثيوفوروس) يعني حامل الإله تيمناً وتبركاً»**[٤].

وفي ظل الاضطهادات التي شنها الإمبراطور الروماني في القرن الثاني بسبب التهمة العظمى التي وجّهت للمسيحيين بأنّهم يتعبّدون لإله يدعى يسوع، أي أنّهم يخضعون لسلطة أخرى غير الإمبراطور، استجوب حاكم سوريا اغناطيوس عن

(١) موسوعة الأديان في العالم / المسيحية: ٢٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدّس: ١٢٥.

(٣) تأريخ الفكر المسيحي ١: ٤١٥.

(٤) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١: ٥٠.

إيمانه بالمسيح ﷺ ، فلم ينكر المسيح بل اعترف بإيمانه به جهاراً أمـام الجـميع، فأوثقه الحاكم الروماني بالأغلال وأرسله إلى روما للمحاكمة هناك، وفي طريقه إلى روما استطاع أن يكتب عدداً من الرسائل ويرسلها إلى بعض الكنائس، ولم يبق من كتاباته إلاّ سبع رسائل كتبها إلى:

١ ـ كنيسة أفسس.

٢ ـ كنيسة مغنيزيا.

٣ ـ كنيسة فيلادلفيا.

٤ ـ كنيسة سميرنا.

٥ ـ كنيسة ترالس.

٦ ـ أسقف كنيسة سميرنا **«بوليكاربوس»**.

٧ ـ كنيسة روما.

وأهم هذه الرسائل هي رسالته إلى كنيسة روما.

وعندما وصل إلى روما في سنة ١٠٧ وفي احتفال بمناسبة النصر للامبراطـور الروماني على أعدائه، اُلقي عدد كبير من الأسرى والمجرمين ومن بينهم القديس أغناطيوس للوحوش الضارية المفترسة ، ويقال إنّ الأخوة المسيحيين في رومـا جمعوا عظامه وأرسلوها إلى أنطاكية فدفنت هناك[١].

والحقيقة أنّ أغناطيوس لم يكن ذلك اللاهوتي النظري، فلم يتعرض للبحث في الثالوث الأقدس أو في اتحاد الطبيعتين، إذ أنه اعتنى بالتعاليم المسيحية التأريخية، ولكن يمكن من خلال مطالعة رسائله الوقوف على بعض التعليمات حول شخصية المسيح ﷺ [٢].

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٤١٦.

(٢) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى: ٥٢.

فقد رفض في رسائله عقيدة الإبيونيين التي لا تعترف بلاهوت المسيح، كما رفض أيضاً عقيدة الغنوسيين التي ترفض ناسوت المسيح، ويقول البعض أنّ اغناطيوس استطاع التكلم عن لاهوت المسيح وناسوته من دون أن يمزجهما مزجاً كلياً أو أن يفصلهما فصلا تاماً الواحد عن الآخر.

ويقف أغناطيوس أيضاً في تعاليمه عند عقيدة التجسد والاتحاد بين الجسد (الساركس) وبين الكلمة (اللوغوس)، (الكلمة صار جسداً) فهذا الاتحاد الذي تم في المسيح بين اللوغوس والساركس (الكلمة والجسد) كان واضحاً في تصرفات المسيح، فهو كان يتعب ويأكل ويشرب لأنّه كان إنساناً، وكان يعمل المعجزات لأنّه الله.

ففي رسالته إلى سميرنا (٤ : ٢) يؤكد على أنّ اللاهوت والناسوت كانا متحدين وعلى صلة مستمرة الواحد مع الآخر، وأنه يوجد اتحاد وانسجام لا انفصال[١].

وأما في شرحه لكيفية المصدر الإلهي البشري في المسيح، فيقول بأنّه أصبح مخلوقاً بالتجسد وغير مخلوق باللاهوت، فإنّ الجسد الذي ولد من مريم العذراء يربط يسوع بالبشرية، ولكن الكلمة التي صارت جسداً أي اللوغوس، هو من الله بل الله نفسه، وهو الذي يربط المسيح بالله[٢].

ونعتقد أنّه يصعب الوقوف على حقيقة هذه التعاليم، وهل هي عقيدة أغناطيوس نفسه أم لا؟ فقد ظلت هذه الرسائل مدة من الزمن موضع جدل بين علماء الكنيسة وبين العلماء الانجيليين، فزعم هؤلاء أنها مزورة وقال أولئك بصحتها، وخصوصاً لو أخذنا بالرأي القائل بأنّ هذه الرسائل قد حرّفت وأضيف إليها الكثير في القرن

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٤١٨.

(٢) نفس المصدر ١ : ٤١٨.

الرابع الميلادي[١].

ثانياً: أكلميندوس الروماني:

وهو أسقف روما، ولا يُعلم أين ومتى ولد، ولكن يعتقد البعض أنّه ثالث أسقف لروما بعد القديس بطرس وصي المسيح عليه السلام، وقد جلس على كرسي الأسقفية الرومانية سنة ٩٢ ميلادي إلى سنة ١٠١ ميلادي[٢].

وقد كتب اكلميندوس رسالة إلى أهل كورنثوس تعتبر من أقدم الكتابات المسيحية بعد العهد الجديد، وهي تعطي صورة عن معتقدات الكنيسة وحياتها بعد موت الرسل، وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وجزئين رئيسيين يتعرض فيهما الكاتب إلى مشاكل الكنيسة وكيفية معالجتها إضافة إلى تعاليم لاهوتية.

ويحتمل أنّ الرسالة كتبت بين سنة ٩٦ ـ ١٠٠ ميلادي وعنوانها هو **«كنيسة الله في روما»** وهي موجودة حالياً في المتحف البريطاني[٣].

والحقيقة أنّ أكلميندوس لم يوضح عقيدته في شخصية المسيح عليه السلام بشكل صريح، فهو يصف تواضع المسيح وعبوديته، ويصفه أيضاً بالسيد، وتارة بأنّه رئيس الكهنة، ومع هذا فإنّ الكنيسة تعتقد بأنّه كان يرى المسيح إنساناً وإلهاً وهو ما لم يصرح به في رسالته هذه.

ثالثاً: بوليكاربوس:

ولد بوليكاربوس سنة ٦٩ ميلادي في مدينة سميرنا، ويقال إنه كان تلميذ يوحنا

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول هذه الرسائل السبع يمكن مراجعة كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، دكتور أسد رستم ١: ٥٢.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١: ٤٢٠.

(٣) نفس المصدر ١: ٤٢٣.

الرسول أو يوحنا الشيخ، وقد كان أسقفاً لمدينة سميرنا عندما مرّ بها أغناطيوس الأنطاكي في طريقه إلى روما، وقد حُكم عليه بالموت في سنة ١٥٦ ميلادي، ويقال ١٧١ ميلادي، وكان حينئذاك شيخاً كبيراً.

ويقول ايريناوس أنّ بوليكاربوس أرسل عدة رسائل إلى الكنائس المحيطة بسميرنا، ولم يبق من هذه الرسائل إلاّ رسالته إلى أهل فيلبي[١].

ويعتقد البعض أنّ بوليكاربوس سار على خطى معلمه يوحنا، وأنه قد واجه العقائد التي كانت منتشرة في هذا الزمان حول شخصية المسيح في الكنيسة الناشئة، من إنكار لاهوته أو ناسوته، ودافع هو عن لاهوته وناسوته، ولكن لا يمكن الجزم حول آراءه الكرستولوجية من خلال رسالته، وقد جاء في رسالته: **«من لا يعترف بأنّ يسوع المسيح قد جاء بالجسد فهو ضد المسيح، ومن لا يعترف بالمسيح فهو من الشيطان، وكل من يحول أقوال الرب إلى رغباته الشخصية، وكل من ينكر القيامة والدينونة فهو بكر إبليس»**، (رسالته إلى أهل فيلبي ٧: ١)[٢].

والحقيقة أنّ القرن الأول الميلادي كان حافلا بالتعاليم المختلفة المتنوعة المختصة بحقيقة المسيحعليه السلام، وقد انتشرت انتشاراً كبيراً في الكنائس المسيحية، والسبب الأساسي لهذه المشكلة حسب اعتقادي هو عدم وجود مصدر أصلي يمكن الاعتماد عليه في معرفة تعاليم المسيح، فالأناجيل الأربعة لم تكن منتشرة بشكلها الحالي حتّى القرن الثالث أو الرابع كما ذكرنا، بل إنّ إنجيل يوحنا لم يكتب إلى نهاية القرن الأول، وتعاليم المنقولة عن الرسل مختلفة اختلافاً كبيراً حول حقيقة المسيح، وأيضاً دخول اليهود والوثنيين إلى المسيحية قد زاد في الطنبور نغمة كما يقال، ولذلك نجد أنّ الرسل وآباء الكنيسة أنفسهم لم يكونوا ليصرحوا بالنظام

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٤٢٨.

(٢) نفس المصدر: ٤٢٩.

اللاهوتي للمسيحية كما هو عليه في القرنين الثالث والرابع، إذ أصبح الكثير من آباء الكنيسة والأساقفة كتّاباً، فأنشأوا الدراسات اللاهوتية والتي أصبحت أساس علم اللاهوت المسيحي، ودافعوا عن الاعتقاد الذي سلّمه الرسل حسب اعتقادهم مع تناقضه الظاهري، فكيف يمكن أن يكون الله واحداً وفي الوقت نفسه أباً وابناً؟ وكيف يتسنّى لإنسان يولد ويحيا ويموت أن يكون إلهاً، في حين لا يجري على الله أي تغيير؟

ولذلك ولد علم اللاهوت المسيحي، فشطح هذا التفكير اللاهوتي في اتجاهات متباينة، وغالباً ما كانت تؤدي هذه الاختلافات إلى مصادمات عنيفة، ومشاجرات دموية، وإبعاد إلى المنفى والسجن والموت.

وأصبحت النقاشات اللاهوتية تأخذ منحىً آخر، ففي القرن الثاني والثالث ظهرت فرق وآراء لاهوتية جديدة تختلف في خصوص الجنبة اللاهوتية للمسيح عليه السلام، وطرحت هناك أسئلة جديدة حول حقيقة المسيح الإله الإنسان، هل له طبيعة واحدة أو طبيعتان؟ وهل امتزجت هاتين الطبيعتين أم لا؟ وهل له مشيئة واحدة أم مشيئتان؟ وغيرها من الأسئلة اللاهوتية الشائكة والتي زائدت في الطين بلّة، فاتجهت كل كنيسة إلى عقيدة واتجاه ورأي وفسّرت هذه المسائل وفق رؤيتها وفهمها للنصوص المعتمدة عليها، وهذا ما سنشير إليه في خصوص تعاليم آباء الكنيسة حول شخصية المسيح في القرنين الثاني والثالث الميلادي.

وقد حاول آباء الكنيسة وبعد العصر الرسولي في إعطاء تعليم الإيمان المسيحي شكلا علمياً دون المساس بمضمونه، للإجابة على الإشكالات حول العقيدة المسيحية التي طرحها الوثنيون الذين اعتنقوا المسيحية، وكذلك النزاع القائم مع العقائد الغنوسية الأخرى التي استطاع أتباعها أن يضعوا حلولا عقلية لجميع المسائل الدينية على أسس علمية، كل هذا دفع بالكتّاب والآباء إلى أن يجعلوا

لتعليم الإيمان المسيحي شكلا علمياً.

وظهر اتجاهان مهمان في هذه الفترة الزمنية:

الأول: الاتجاه الذي حاول شرح تعاليم وعقائد الكنيسة على مبادى الكتاب المقدّس والتقليد المقدّس، ورفض مقابلة الحقائق الموحاة مع النظريات الفلسفية، وبالإجمال ابتعدوا عن الاستنتاجات الفلسفية في إثبات العقائد والقضايا الإيمانية.

الثاني: الاتجاه الذي استفاد من النظريات الفلسفية والعقلية كواسطة مساعدة لأجل إدراك تعليم الإيمان المسيحي إدراكاً حقيقياً وشرح تعاليم الكنيسة وعقائدها.

فالاتجاه الأول أنكر صلاحية العقل ـ بالمعنى الفلسفي ـ أن يشترك في أمر الإيمان، والثاني أقرّ له بهذه الصلاحية ولكن ضمن حدود معينة[١].

والبحث عن آراء الآباء في القرنين الثاني والثالث حول شخصية المسيح بشكل مفصل غير متيسر لمثل هكذا دراسة، ولكننا سنشير إلى أهم الآباء في هذه الفترة وأهم آرائهم اللاهوتية ، وكذلك إلى بعض العقائد المخالفة لتعليم الكنيسة حول لاهوت المسيح وزمان ظهورها، وهي التي تسمى في المسيحية الهرطقات والبدع.

---

(١) تأريخ الكنيسة المسيحية، سمير نوف: ١١٢.

المبحث السادس: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الثالث

أولا: ايريناوس (ايرانيوس) :Saint irenee

يعتبر (ايريناوس) باكورة الزعماء اللاهوتيين في الكنيسة الجامعة (الكاثوليكية)، وقد ولد بين سنة (١٢٠ ـ ١٥٠) ميلادي، ولد وترعرع في سميرنا (أزمير)، وقد انتقل من هناك إلى مدينة ليون الفرنسية، وهناك أصبح شيخاً في الكنيسة، وبعد الاضطهاد العنيف في ليون سنة ١٧٧ ميلادي ومقتل أسقف ليون آنذاك بوثينوس، رسم ايريناوس أسقفاً في ليون[١].

وقد مات في بداية القرن الثالث الميلادي،ولكن تاريخ وفاته مجهول تقريباً، ويذكر التقليد المسيحي أنّ ايريناوس كان له عدة مؤلفات، ومن أهمها كتابه **«ضد الهرطقات (البدع)»** وله اسم آخر هو **«تفنيد ودحض المعرفة الكاذبة»** ويفند فيه العقائد الغنوسية، ويتعرض لها من الناحيتين التأريخية والعقائدية، وله كتاب ثان يدعى **«شرح تعليم الرسل»** يحاول أن يشرح فيه محتويات الإيمان المسيحي[٢].

وقد وجّه ايريناوس كل فكره اللاهوتي ليدور حول موضوع **«الجمع تحت رأس واحد»** الذي استقاه من فكر القديس بولس (أف ١ / ١٠)، فإنّ حياة البشرية هي تقدم بطي بقيادة **«الكلمة»** الإلهي، وعندما تجسد **«الكلمة»** في يسوع الإنسان، فإنّه قد جمع تحت رأس واحد كل الإنسان وكل تاريخ الكون، وذلك قوله الشهير: **«إنّ مجد**

---

(١) تأريخ المسيحية فجر المسيحية ١ : ١٣١.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٤٣٣.

الله هو الإنسان الحي وحياة الإنسان هي مشاهدة الله»[١].

لقد ركز ايريناوس على عقيدة الخلاص الذي تم في شخص المسيح يسوع، وذلك لأنّ عدداً من الغنوسيين كانوا يعلمون بأنّ المسيح هو واحد من العوالم (eone) أو الآلهة التي خرجت من الإله الأسمى ونزل لكي يخلص الإنسان، والخلاص لا يتم إلاّ عن طريق (الغنوس) أي المعرفة، والمسيح هو الذي يساعد الإنسان للوصول إلى هذه المعرفة، ولأنّ المسيح جاء من فوق لا يمكن له أن يلتصق بالمادة لأنّها شر وخطيئة، فهو إله فقط، وقد رفض بشدة هذه العقيدة، ويؤكد على أنّ المخلص لابدّ أن يكون إلهاً وإنساناً في نفس الوقت حتّى يستطيع أن يكون الوسيط الذي يصالح الإنسان مع الله، فهو يقول: «**إن لم يكن المسيح إنساناً حقاً وإلهاً حقاً لأصبح خلاصنا مستحيلا»**[٢].

ومن المواضيع اللاهوتية المهمة التي كتب فيها، هي مقارنته بين المسيح وآدم الأول، فكانت نظريته اللاهوتية في هذه المسألة هي: أنّ الله خلق آدم صالحاً وخالداً، ولكنه فقد الصلاح والخلود بسقوطه وعصيانه، وما أضاعه آدم قد أعاده المسيح الكلمة (logos) المتجسد الذي يكمل الآن كل الأشياء الناقصة، وقد خلف لعلم اللاهوت فكرته المأثورة: «**نحن نتبع المعلم الأوحد كلمة الله ـ ربنا يسوع المسيح الذي صار من فرط محبته المنزهة مثلنا لكي يرفعنا إلى ما كان عليه»**[٣].

وكما أعلن في فكره اللاهوتي أنّ المسيح هو آدم الثاني، كذلك قال إنّ العذراء هي حواء الثانية، وإنّ عقدة عصيان «**حواء الأولى**» قد حلّتها طاعة مريم، وذلك لأنّ حواء «**المعقدة**» التي ربطتها الخطيئة بأحكام وقيود عصيانها وسقوطها، قد فكت

(١) دليل إلى قراءة تأريخ الكنيسة / الأب جان كُمبي ١ : ٨٨.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٤٣٥.

(٣) تأريخ المسيحية / فجر المسيحية ١ : ١٣٢.

رباطها «العذراء مريم» بالإيمان[١].

وهذه المقارنة توضح لنا بأنّ ايريناوس اتبع تعاليم بولس الكتابية، فالمسيح هو آدم الأخير وهو صورة الله الكاملة الحقيقية، ولكن يوجد اختلاف بين مفهوم بولس ومفهوم ايريناوس لعقيدة الخطيئة والفداء، ولقد كتب أحد الأساتذة وهو (الأستاذ لودز lods) بخصوص هذا الاختلاف، إذ يقول: «**يوجد اختلاف هام بين مفهوم بولس ومفهوم إيريناوس، يرجع أصله إلى مفهوم بولس للخطيئة، ثم للفداء، فبولس يرى أنّ المسيح لم يصلح غلطة آدم فقط، بل عمل ما لم يستطع آدم أن يقوم بعمله بسبب طبيعته الجسدية وبسبب خطورة عصيانه، فهناك انفصال وفرق عظيم بين آدم ويسوع، فالفداء ليس رجوع إلى الوراء إلى خليقة مجددة، ولكن الفداء هو خليقة جديدة لتأسيس ملكوت الله، ولهذا السبب فالمسيح هو السابق المتفوق على آدم.**

أما ايريناوس فيعتقد بأنّ الخطيئة هي غلطة (معصية) أدبية، وأنّ آدم تصرف عن جهل، فغلطة آدم نتجت عن جهل وعدم نضوج، فكان من الضروري أن يقوّم هذا الجهل وأن تصلح هذه الغلطة، وهنا تبدأ عملية آدم الأخير، أي إصلاح ما أفسده آدم الأول»[٢].

وهنا نرى المسيح المتجسّد في طبيعته الإلهية والبشرية يقوم بعملية الفداء والمصالحة، فالإله المتجسد هو الذي يجذب البشرية إلى الأب لكي تعرفه، وفي نفس الوقت فابن الله هو الذي يعلن الله للبشرية، ولقد كتب يقول: فيه (في المسيح) نزل الله إلى الإنسان، وهو أيضاً رفع الإنسان إلى الله»[٣].

وقد كان ايريناوس ممثلا للاتجاه الذي يرفض اشتراك العقل في أمر الإيمان بكل معنى الكلمة، ولكنه لم ينظر إلى استنتاجات العقل بقسوة كما نظر إليها منكروا

---

(١) نفس المصدر.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٤٣٨.

(٣) نفس المصدر ١ : ٤٣٩.

صلاحية العقل في اشتراكه في أمر الإيمان مثل ترتوليان[١].

وبخصوص عقيدته في علاقة الأب بالابن أو عملية الانبثاق ـ أي ولادة الأب للابن ـ فهو يعترف بأنّ هذا الأمر سر عظيم ولا يستطيع أن يشرحه، وعليه فيجب قبول هذا السر بالإيمان، ولكنه مع ذلك يقول موضحاً لهذا الانبثاق بقوله: **«إنّ الله كائن وهو الذي ظهر عن طريق الابن الذي هو في الأب والذي فيه الأب»**[٢].

ومع كل هذه الآراء اللاهوتية وعقليته الجبارة في فهم وشرح اللاهوت المسيحي، لكنه لم يعتبر لاهوتياً خلاّقاً أو مجدداً لأفكار جديدة، بل كان متبعاً للتقليد الرسولي،وعلى أساسه دافع عن التعليم المسيحي.

ثانياً: اكليمندس الاسكندري (clement dalexandrie)

وهو يتطس فلافيوس أكليمندس الاسكندري، ولد سنة (١٥٠) ميلادي تقريباً من أبوين وثنيين، ثم اهتدى إلى المسيحية، ويمكن القول بأنّه أول **«عالم مسيحي»**، فبالإضافة إلى معرفته بالكتاب المقدّس، كان ضليعاً بالفلسفة اليونانية وآدابها، وقد سافر من أثينا مسقط رأسه إلى الاسكندرية، المدينة التي كانت تعتبر في ذلك الوقت مركزاً علمياً وملتقىً لحضارات مختلفة، ولذلك فقد كثرت فيها المدارس الفلسفية والدينية، ولذلك أصبحت مركزاً لكل الديانات والمذاهب الفلسفية حتّى قال بعض المؤرخين عنها: **«إنّ كل الديانات وكل الفلسفات القديمة،وكل التعاليم الكاذبة وكل التعاليم الصحيحة (انتشرت فيها) وكأنها على موعد في هذه المدينة، إذ أنّ كل المدارس كانت ممثلة فيها»**[٣].

---

(١) تأريخ الكنيسة المسيحية / سمير نوف: ١١٣.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٤٤٠.

(٣) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٥٠١.

وكطالب للعلم والمعرفة التحق بالمدرسة اللاهوتية التي كانت تدعى «**مدرسة التعليم المسيحي**» التي قام بتأسيسها وإدارتها بانتيوس (patene) وذلك سنة ١٧٩، وأصبح أكليمندس التلميذ الأول في المدرسة ومساعد بانتيوس، الذي ترك إدارة المدرسة لتلميذه اكليمندس وذهب للبشارة بالإنجيل في الهند، وذلك في سنة ١٩٠ أو ٢٠٠ ميلادي، وبقي هناك إلى سنة ٢٠٢ عندها غادر الاسكندرية بسبب الاضطهادات وسكن أورشليم،وقد توفي سنة ٢٢٠ ميلادي وغير معلوم هل رجع إلى الاسكندرية أم لا؟[١]

وقد كان اكليمندس من الشخصيات اللامعة، إذ كان ملماً بعلوم الفلسفة والشعر والآداب إضافة إلى معرفته الواسعة بكتب الوحي كالعهد القديم والجديد، ولذلك فقد علّم وكتب في علاقة الوحي بكل انتاجات العقل ولا سيما الفلسفة، إذ أنه كان يرى في كل فلسفة قبساً من الوحي الإلهي، ولكنها تجد كمالها وإكليلها في المسيحية، فكما أنّ موسى هيّأ طريق المسيح أمام العبرانيين، كذلك الفلسفة هيّأت المسيحية أمام الوثنيين[٢].

ومن هنا يظهر أنّ اكليمندس وعلى العكس من بعض آباء الكنيسة ومعلميها الذين ابتعدوا عن الفلسفة والعلم باعتبارها نتاج العالم الوثني، اعتبر «**الفلسفة والعلم مفيدين للكنيسة بمقدار ما يهذبان العقل البشري ويساعدانه على فهم تعليم الإيمان المسيحي من كل وجه وبكل عمق**»[٣].

وكان يعتقد أنّ فهم تعليم الوحي في أسسه بطريقة علمية هو المعرفة الحقيقية، والذين يحرزون هذه المعرفة هم أهل المعرفة الحقيقيون، عكس معرفة الفلاسفة

---

(١) تأريخ الكنيسة المسيحية / سمير نوف: ١١٧.

(٢) دليل إلى قراءة تأريخ الكنيسة ١ : ٨٩.

(٣) تأريخ الكنيسة المسيحية: ١١٧.

الوثنيين فهي معرفة ناقصة كاذبة.

ولذلك يمكن القول بأنّه أول عالم لاهوتي بادر في دفع الكنيسة إلى دراسة العلوم غير المسيحية كالفلسفة واستخدامها استخداماً حسناً في فهم ومعرفة الوحي، ولذلك فقد استحق لقب «**رائد العلوم المسيحية**»[١].

وقد كتب عدة تأليفات لم يبق منها إلاّ القليل، ومنها:

١ ـ تحريض الأمم: وذلك للرجوع عن الوثنية إلى المسيحية.

٢ ـ المعلم (المرشد، المربي): يقدم فيه النصائح إلى حديثي الإيمان بالمسيحية.

٣ ـ المتنوعات: وهي مجموعة دراسات كتابية وفلسفية يبين فيها توافق الفلسفة والوحي ويدحض فيها بعض تعاليم الغنوسيين[٢].

ومن أهم تعاليمه الكرستولوجية هو شرحه لعقيدة «**اللوغوس**»، ويعتقد هذا اللاهوتي بأنّ اللوغوس الذي ظهر بطرق عديدة في العهد القديم والذي ظهر في نهاية الزمان في يسوع المسيح هو نفسه الذي كان يرشد الفلاسفة بنفس الطريقة التي كان يرشد بها أنبياء العهد القديم تقريباً[٣].

وأما بداية هذا اللوغوس، وبمعنى آخر هل يعني هذا أنّ اللوغوس وجد مع ظهور المسيح وتجسده أم أنه قديم؟ يجيب اكليمندس: أنّ اللوغوس هو الذي خلق العالم، وكل ما يوجد في الكون به وله قد وجد، فلا الظهورات في العهد القديم ولا عملية التجسد كانت بداية وجود اللوغوس، بل إنه كان موجوداً مع الأب قبل أن توجد كل هذه الكائنات[٤].

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٥٠٤.

(٢) دليل إلى قراءة تأريخ الكنيسة ١ : ٨٩.

(٣) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٥٠٨.

(٤) نفس المصدر: ٥٠٨.

والمطالع لكتابات اكليمندس يمكنه أن يلاحظ بوضوح أنه قد شدد كثيراً على لاهوت المسيح، حتّى اتهمه البعض بأنّه دسوتي[١] غنوسي، إذ نجد من خلال كتاباته تعابير يُشم منها رائحة الغنوسية مثلا: «**أنّ المسيح لم يكن محتاجاً لعملية هضم الطعام ولا لعملية التبرز، وكذلك في شرحه لآلام المسيح، إذ أنه كان يعتقد بأن المسيح هو فوق كل المؤثرات الحسية، فلم يكن للعطش أو للجوع أو للآلام أي سلطان عليه، لأن القوة الإلهية قد حلّت فيه محلّ هذه الحواس، ولكن يقال إنّ معلم الاسكندرية بالرغم من تشديده على لاهوت المسيح فإنّه لم يهمل الكلام عن ناسوته، فهو يؤمن بأنّ اللوغوس المتجسد هو إله وإنسان في نفس الوقت**»[٢].

ثالثاً: ترتوليانوس:

واسمه الكامل باللاتينية هو: كنتينوس فلورنتوس ترتليانوس، ويعتبر من أبرز الشخصيات وأعجبها في الكنيسة القديمة، وقد ولد حوالي سنة ١٥٥ ميلادي من أسرة وثنية غنية في مدينة قرطاجة بشمال افريقيا، وقد درس القانون، ومارس مهنته في رومية، وكان واسع الاطلاع في الفلسفة والتاريخ، وفي نهاية القرن الثاني (١٩٥) ميلادي اعتنق المسيحية في رومية، وبعد ذلك عاد إلى قرطاجة مسقط رأسه، وهناك انتخب شيخاً وقد بقي في هذه الوظيفة إلى نهاية حياته سنة ٢٢٥ تقريباً[٣].

ويعتبر ترتوليان «**أول كاتب من رجال الدين يكتب باللاتينية، وذلك لأنّ قادة الكنيسة الرومانية ومفكريها كانوا يكتبون باليونانية إلى ما بعد عهده، وتُعد مؤلفاته من أهم المؤلفات**

---

(١) الدسوتي: هو الشخص الذي يؤمن بلاهوت المسيح وينكر حقيقة ناسوته.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٥١١.

(٣) تأريخ المسيحية، فجر المسيحية ١ : ١٣٢.

باللاتينية بعد مؤلفات أوغسطين، وهي مؤلفات جدلية»[١] .

وكان أسلوبه رائقاً، واضحاً، سهلا، بارعاً، ومع أنّ البعض يعتقد بأنّه «**لم يكن من علماء اللاهوت، لأنّ أفكاره استمدها من المدافعين وغيرهم، إلاّ أنّ الأثر العميق الذي تركته مؤلفاته جعله يستحق لقب «أبي علم اللاهوت اللاتيني»**[٢] .

وله مؤلفات عديدة أهمها:

١ ـ كتابه الدفاعي بإسم «**الأمم**».

٢ ـ أهم كتبه على الإطلاق ويسمى «**الدفاع**» وقد دافع فيه عن المسيحيين وعقائدهم وسلوكهم.

٣ ـ كتابه ضد (ماركيون) (adversus marcionem) ويعد هذا الكتاب أضخم ما كتبه ترتوليان من ناحية الحجم، وهو يعتبر وثيقة تاريخية لمعرفة هرطقة ماركيون، ويحتوي هذا الكتاب على خمسة مجلدات، وغيرها من المؤلفات الكثيرة الأخرى[٣] .

أما أفكاره الكرستولوجية فإنّ أهم تلك التعليمات هي وصفه لعقيدة الكلمة (اللوغوس) ومتى وكيف ظهر، فقد استعمل كلمة (حكمة sagesse) عند التكلم عن الكلمة، والحكمة والكلمة صفتان يوصف بهما الاقنوم الثاني، إلاّ أنّه يميز بين الميلاد الأول لهذا الاقنوم (الحكمة) الذي كان قبل الخليقة، وبين الميلاد الكامل في لحظة الخليقة عندما نطق الله هذا اللوغوس وأصبح الكلمة، «**فاللوغوس كان ساكناً في الله كحكمة وكفكر، ولكن عند عملية الخلق خرج هذا اللوغوس (الحكمة) وظهر وانبثق من الله لكي يعمل معه في خلق العالم، وبعملية الخروج أو الانبثاق أصبح الله أباً وأصبح**

---

(١) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ١ : ٥٥.

(٢) تأريخ المسيحية ١ : ١٣٣.

(٣) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٥٢١.

اللوغوس المنبثق منه ابناً، فهو الابن البكر لأنّه ولد قبل كل الخليقة، بل إنّه الابن الوحيد، لأنّه الوحيد الذي ولد من الله»[١].

وهو يؤمن ويدافع عن مسألة التابعية أو أولوية الأب على الابن، وتعتبر الكنيسة هذا النوع من التعاليم المسماة بالتابعية (subordinatianisme) شرك، إذ أنّه يقول بأنّ **«خروج الابن من الأب يشبه تماماً خروج شعاع الشمس من الشمس، فالشعاع هو ابن الشمس، والمصدر هو الأب لما ولد منه، وبما أنّ الابن خارج من الأب ومولود منه فهو خاضع له، وهو جزء من الأب ولكن دون أن يتجزأ الأب، فالجوهر للاهوت هو الله، والابن خارج من هذا الجوهر»**[٢].

ويعتبر ترتوليان أول من استعمل في الحديث عن الله لفظي **«الثالوث»** و **«الأقنوم»** في اللغة اللاتينية[٣]، وفي معرض شرحه لمفهوم الوحدة في الثالوث، يقول: **«إنّ الله الأب يظل سيداً للكون ويحتفظ بهذا السلطان، ومع احتفاظه بهذا السلطان فقد منحه للابن لكي ينفذ به ما يريده الأب عن طريق روح القدس، وبذلك فقد أعطى المكانة الأولى في التثليث للأب والثانية للابن والثالثة للروح القدس»**[٤].

وهو يؤكد أيضاً على أنّ للمسيح طبيعتين، طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، وقد اتحدتا دون خلط وامتزاج كلي، والحقيقة أنّ ترتوليان هو أول من وضع المصطلحات لشرح الذات الإلهية كالتثليث والأقنوم والتي أصبحت الأساس في المجمع النيقاوي بعد ذلك.

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٥٢٩.

(٢) نفس المصدر: ٥٣٠.

(٣) دليل إلى قراءة تأريخ الكنيسة: ١ : ٩٠

(٤) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٥٣٠.

رابعاً: العلاّمة أوريجانوس (origene) [١]

يعتبر أوريجانوس شخصية لعبت في تاريخ الفكر المسيحي دوراً هاماً جداً، بل دوراً حاسماً ومصيرياً بالنسبة للتعاليم اللاهوتية التي كانت في طور التكوين والتطوير في ذلك الوقت.

فهو تلميذ أكليمندس وقد ترأس مدرسة الاسكندرية اللاهوتية وهو لا يزال شاباً يافعاً، حتّى أصبح لغزاً في تأريخ الفكر الكنسي لغزارة انتاجه في شتى المجالات والعلوم[٢].

وقد خصص المؤرخ الكنسي افسابيوس القيصري الذي عاش في بداية القرن الرابع كتابه السادس كله من مجلّد التاريخ الكنسي لحياة أوريجانوس وتعاليمه وتأليفاته.

ولد أوريجانوس حوالي سنة ١٨٥ ميلادي في كنف عائلة مسيحية، وكان والده ليونيداس أول معلم له، وقد حفظ منذ نعومة أظفاره مقاطع من الكتاب المقدّس، وعندما عصفت موجة الاضطهادات ضد المسيحيين في عهد الامبراطور سفريوس سنة (٢٠٢) أودع والده السجن واستشهد فيه، فدبت رغبة الاستشهاد في عروقه وهو فتىً آنذاك.

وقد كان يميل جداً إلى التصوف وحياة الزهد، حتّى أدى به اندفاعه إلى تطبيق الآية التالية بحرفيتها «**يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل الملكوت**»[٣] فأقبل على

---

(١) هناك تحفّظاً في الكنيسة الارثوذكسية بالنسبة لأوريجانس فهي لا تعده من آبائها بل ولا من فئة الكتّاب الكنسيين، إلاّ أننا لا نستطيع أن نتجاهله نظراً لأهميته وضخامة مؤلفاته وتأثيره على آباء القرن الرابع. عن كتاب الأقمار الثلاثة: ٤٣.

(٢) دليل إلى قراءة تأريخ الكنيسة ١ : ٨٩.

(٣) متى ١٩ : ١٢.

هذا العمل الذي كلفه الكثير فيما بعد[١]، ولم يكن يملك إلاّ ثوباً واحداً لم يكن كافياً لوقايته من برد الشتاء القارس، وكان يمشي حافي القدمين، وينام في أكثر الأحيان على الأرض الصلبة[٢].

ولما بلغ الثامنة عشرة من العمر عينه الأسقف **«ديمتريوس»** مدرساً في مدرسة الاسكندرية إذ كان يعطي الدروس للأطفال، وبعد ذلك أصبح مديراً للمدرسة الاسكندرية ومعلماً أيضاً، فكان يقوم بتدريس اللاهوت والكتب المقدسة والفلسفة اليونانية والطبيعية والحساب والهندسة والفلك وغيرها[٣].

وفي سنة ٢١٥ قرر الامبراطور الروماني **«كاراسالا»** طرد كل معلمي الفلسفة من مدينة الاسكندرية، فهرب إلى فلسطين، فرحب به الأساقفة هناك وطلبوا منه أن يقوم بالوعظ والتعليم في كنائسهم، وكان ما يزال **«علمانيا»** غير مرتسم، ولما علم أسقف الاسكندرية ذلك انهال باللوم على الأساقفة في قيصرية فلسطين، فأمره بالعودة إلى الاسكندرية، وقبل ذلك أوريجانوس ورجع إلى الاسكندرية لاستئناف عمله.

وفي سنة ٢٣٠ م وبمساعدة أساقفة أورشليم وقيصرية فلسطين رسم شيخاً (كاهناً) ليكون حراً في الوعظ والتعليم، وعندما علم **«ديمتريوس»** أسقف الاسكندرية ذلك غضب جداً واعتبر هذه السيامة باطلة، وعلل ذلك بأنّ أوريجانوس لا تتوفر فيه الشروط التي يجب أن تتوفر في الكاهن لأنّه قد خصي نفسه، وعقد مجمعاً قرر فيه نفي أوريجانوس من الاسكندرية وتجريده من

---

(١) الأقمار الثلاثة وآباء القرون الأربعة الأولى ٤٦.

(٢) تأريخ المسيحية / فجر المسيحية ١ : ١٣٩.

(٣) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٥٤٢.

خدمته[١].

تابع أوريجانس عمله الفكري فأخذ يكتب ويؤلف بغزارة في مجالات متنوعة، ولذلك يعتبر من أخصب الكتّاب القدامى، بل قال عنه بعض المؤرخين: **«أنّ مؤلفاته الدينية اللاهوتية تعتبر أعظم الانجازات العقلية في الكنيسة قبل مجمع نيقية»**[٢].

ويمكن تقسيم مصنفاته إلى قسمين: فئة تتناول الكتاب المقدّس، وفئة أخرى تتناول المواضع اللاهوتية والعقائدية والصوفية، وسنشير هنا باختصار إلى بعض مؤلفاته وهي:

١ ـ أهم كتاب له في ضبط نصوص الكتاب المقدّس ويدعى (السداسي) أو الكتاب المقدّس ذو الأعمدة الستة (bible sextuple)، فلقد وضع العهد القديم كله في أعمدة ستة متوازية وهي:

«النص العبري، النص العبري بالحروف اليونانية، نص لترجمة يونانية منسوبة إلى مترجم يدعى «أكويلة» (أوائل القرن الثاني)، نص لترجمة يونانية أخرى، نص خامس وهو الترجمة اليونانية السبعينية، والنص السادس هو أيضاً ترجمة يونانية حصلت سنة ١٨٠م»[٣].

٢ ـ تفسير كل الكتاب المقدّس وبلغ المئات من الكتب ولكن معظمها قد فُقد ولم يبق منها إلاّ نزراً يسيراً.

٣ ـ كتابه الدفاعي الذي يدعى **«الرد على كلسوس أو سلس»** الفيلسوف.

٤ ـ المبادى الأولية: وهو الكتاب الأول من نوعه ويحتوي على أربعة مجلدات، يشرح فيه العقيدة اللاهوتية بطريقة نظامية ومسلسلة، وهو ذات طابع فلسفي[٤].

---

(١) تأريخ المسيحية / فجر المسيحية ١ : ١٣٩.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ / ٥٤٣.

(٣) الأقمار الثلاثة وآباء القرون الأربعة الأولى: ٥٠.

(٤) كان أوريجانوس فيلسوفاً لامعاً فقد درس الفلسفة على يد أحد أشهر الفلاسفة في عصره «أمونيوس

إضافة إلى مؤلفات صوفية ومنها شرح للصلاة الربانية، وأيضاً رسائل عديدة أشهرها رسالته إلى تلميذه غريغوريوس العجائبي.

وأما وفاته فينقل أنّه في فترة اضطهاد الامبراطور **«دليسيوس»** سنة ٢٥٠ م ألقي في السجن في زنزانة قذرة كريهة، وقيدت يداه ورجلاه بقيود من حديد، وسيم أصنافاً وألواناً من العذاب حتّى عاجلته المنية سنة ٢٥٣ وكان قد بلغ التاسعة والستين[١].

أما تعاليمه الكرستولوجية فيجدر بنا أن نلقي نظرة سريعة على مفهوم أوريجانوس للروح، لأنّ ذلك يساعدنا على فهم عقيدته حول التجسد واللوغوس.

فقد كان أوريجانوس يعتقد أنّ كل شيء يرجع إلى الله لا إلى اللوغوس، وشدد على حقيقة أنّ الله هو الأول وهو الخالق الذي عن طريق الكلمة خلق كل الأشياء، وعملية الخلق كما يراها هي أنّ الموجودات خلقها الله عن طريق كلمته أي **«اللوغوس»** وقد خلق الله في البداية عنصرين هامين ساهما في تكوين العالم، ومنهما تكوين العالم الذي نحن فيه وهما:

الأول: الأرواح وهي تتمتع بحرية كاملة، ولقد دعى هذه الأرواح للاتحاد مع كلمته اللوغوس، وعن طريق اتحادها مع اللوغوس تتحد أيضاً مع الله، وكانت هذه الأرواح من جوهر إلهي، لكن كان ينقصها شيء واحد وهو عمل الخير، ومن خلال حريتهم الكاملة جعلهم أحراراً لاختيار الخير أي الاتصال بالله والحياة معه أو اختيار الشر والحياة بعيداً عنه.

الثاني: المادة، فهي من مخلوقات الله، ولكن لا هذه المادة الثقيلة الكثيفة، بل

← ساكاس» الذي كان يعلم الفلسفة في المدرسة الشهيرة التي سيؤسس فيها أفلوطين الفيلسوف فيما بعد مذهبه الذي عرف بـ«الافلوطينية الحديثة» واعتبرت هذه نقطة ضعف عنده. نفس المصدر السابق: ٥٤.

(١) تأريخ المسيحية / فجر المسيحية ١ : ١٤٠.

المادة الخفيفة المنيرة اللامعة الشفافة، ومن خلال سكون الروح في هذه المادة وبعد اختيارهما للخير أو الشر انقسم الأرواح إلى ثلاثة أقسام وهي:

ـ الأرواح التي اختارت بحريتها الاتحاد بالله باللوغوس وتدعى الملائكة، وهي في الطبقة المنيرة السماوية.

ـ الأرواح التي ثارت على الله وعصت أوامره وانفصلت عنه، بل وأعلنت حرباً شعواء ضده وهم الشياطين الذين هم في المناطق المظلمة والنجسة.

ـ الأرواح التي اتخذت موقفاً وسطاً، فهي لم تتحد بالله كما فعلت الملائكة، ولم تعلن حرباً على الله كما فعلت الشياطين وهي الجماعة البشرية، ونتيجة عدم اتحادها بالله فقط سقطت هذه الأرواح في جسد العالم الأرضي[١].

ومن هذه المقدمة ننتقل إلى فكرة التجسد عند أوريجانوس، فهو يعتقد بأنّه من المستحيل أن تتحد الطبيعة الإلهية بجسد بشري، ولكنه يستعمل الاصطلاح **«الله الإنسان»**، ويرى أنّه لابدّ من وجود وسيط لتتم عملية الاتحاد الإلهي البشري، والوسيط هو الروح البشري، لأنّ لها المكانة الوسطى، ولهذا فهي تستطيع أن تتحد بالله، وكذلك تستطيع أن تتحد بالجسد، ولم يوجد بين كل هذه الأرواح الوسطى إلاّ روح واحدة قد التصقت باللوغوس التصاقاً لا يقبل الانفصام، ولأنّها التصقت باللوغوس فهي لم تسقط إلى العالم الأرضي كما سقطت بقية الأرواح، بل بقيت في السماء ومتحدة باللوغوس، وعندما أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة صارت تلك الروح روحاً للإنسان يسوع بعد التجسد، وهذه الروح تشبه تماماً أرواحنا ولكنها طاهرة قبل وبعد اتحادها بجسد المسيح ﷺ، وكان اللوغوس يرفع ويؤله تدريجياً الروح التي اتحد بها، ويستعمل أوريجانوس مثل الحديد والنار لكي يشرح عملية اتحاد اللاهوت بالناسوت، فإنّ الحديد لا يجمر ولا يتحول إلى النار إلاّ بفعل النار،

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٥٥٢.

وكذلك فإنّ روح وجسد المسيح لم تتأله إلاّ بفضل اللوغوس الذي سكن فيهما ورفعهما إلى درجة الألوهية[١].

ولهذا اعتبر البعض تعاليم أوريجانوس بأنّها منحرفة لأنّ في الكثير من كتاباته ذهب إلى تأليه جسد المسيح أيضاً بالإضافة إلى روحه، ولذلك قالوا بأنّ أوريجانوس في تعاليمه سعى إلى إضفاء الناسوت أو إعطائه صبغة التأله.

وأما علاقة اللوغوس بالله، فهو يعتقد بأنّ اللوغوس انبثق من الأب، وهذا الانبثاق لا يعد تقسيماً في ذات الله، بل هي عملية روحية بحتة، والابن لاتحاده باللوغوس فهو صورة الله غير المنظورة، وهو أزلي لا بداية له، ولأنّ اللوغوس والابن انبثقا من الله ومولدان من جوهر إلهي فهما الله، وهو أول من صاغ الاصطلاح «**(أموزيوس omoousios) والذي يعني أنّ طبيعة الابن من طبيعة الأب، ولكن الابن هو إله ثان أو ثانوي (deuteros theos)، ولذلك اتهمه البعض بهرطقة التابعية، أي أنّ الابن أقل من الأب درجة وتابع له، ومع قوله بالتثليث ولكنه كان يؤمن بأنّ الابن والروح القدس مع أنّهما يفوقان كل الأشياء المخلوقة في العظمة والسمو، فانّ الأب يفوقهما في العظمة والسمو بدرجة سموهما وتفوقهما على كل الخلائق الأخرى»**[٢].

ومن هنا ينتج أنّ أوريجانس قد أوصل التمييز بين أقانيم الثالوث حتّى أنكر مساواتهم مع بعضهم، فوضع أقنوماً واحداً أعلى والآخر أوطأ مخضعاً الواحد للآخر، ومع هذا فإنّه يعتقد بأنّه لا يمكن بلغة البشر التعبير عن فهم العلاقة المتبادلة بين أقانيم الثالوث، ويؤكد البعض أنّ آراءه وتعابيره الموضوعة للثالوث كانت فيما بعد أحد الأسباب لنمو هرطقة كاملة في الكنيسة[٣].

---

(١) نفس المصدر: ٥٥٥.

(٢) نفس المصدر: ٥٦٠.

(٣) تأريخ الكنيسة المسيحية / سمير نوف: ١٢٣.

ولذلك يعتقد بعض آباء الكنيسة الاسكندرية بأنّ ما كتبه أوريجان المخالف فهو مرذول من الله وليس في كتبه شيء مكتوب بالروح القدس[١] ولكن بالرغم من هذا فقد كان لأوريجانوس تأثير عميق على كنيسة القرون الأولى، فبعد موته قامت جماعات لاهوتية تؤيد آراءه، وأخرى رفضتها، وبين هاتين الجماعتين قامت المجادلات[٢].

ونحن نكتفي بهذا المقدار من البحث في التعاليم اللاهوتية لآباء القرن الثالث تفصيلا، ولكن سنشير باختصار إلى البعض الآخر من الآباء الذين كان لهم دور هام في تأريخ الفكر المسيحي ومنهم:

▫ **بولس السميساطي**: وهو أسقف أنطاكية بين سنة (٢٦٠ ـ ٢٦٨) وذلك في زمان الملكة زينب التدمرية، وكان بولس يؤكد على وحدانية الله، واللوغوس والحكمة هما عبارة عن صفتين وليسا أقنومين، ويعتقد بأنّ الروح القدس هو الذي كان يعمل في الأنبياء ويرشدهم، وهو الذي كان يعمل في المسيح أيضاً، فيسوع المسيح نبي كباقي الأنبياء، ومع كونه أعظم منهم ولكنه إنسان، ومريم العذراء لم تحمل اللوغوس في أحشائها بل يسوع البشري، فقد أنكر لاهوت المسيح وأعلن قوله بصراحة من أنّ المسيح «**مخلوق**» صالح حمل في أحشائه روح الله[٣].

▫ **غريغوريوس العجائبي**: ولد في قيصرية في آسيا الصغرى حوالي سنة ٢١٣م، وفي سنة ٢٣١ زار قيصرية والتقى بأوريجانوس وشغف به حتّى اعتنق المسيحية، وبإرشاده اشتغل بدرس اللاهوت، وفي سنة ٢٤٤ أقيم أسقفاً على قيصرية الجديدة، ويعتبر من أهم تلاميذ أوريجانوس ولكنه اختلف معه في بعض العقائد وانفصل عنه

---

(١) تأريخ بطاركة الكنيسة المصرية / المجلد الأول: ٣٦.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٥٦٢.

(٣) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ١٢٢.

أخيراً.

ومن أهم تآليفه على الإطلاق هو كتابه «**دستور الإيمان**» والذي يعتقد البعض بأنّه أعلن له بطريقة عجيبة وهو: «**يوجد إله واحد أبو الكلمة الحي، حكمته المستمرة وقدرته وصورته الدائمة: والد كامل لمولود كامل وأبو الابن الوحيد، ويوجد سيد واحد، واحد من واحد، إله من إله، صورة الإله ومثاله وكلمته القدير وحكمته، واعي جميع الأمور وخالق كل المخلوقات، ابن حقيقي من أب حقيقي، غير منظور من غير منظور، وغير فاسد من غير فاسد، حي من حي وخالد من خالد.**

ويوجد روح قدس واحد مستمد من الله ظاهر بالابن ليعلم الخليقة، صورة الابن، صورة كاملة لكامل، هو الحياة وسبب وجود الأحياء، ينبوع مقدّس، قداسة تعطي القداسة وتقود إليها، فيه يتجلى الأب الذي هو فوق الجميع وفي الجميع، وفيه يتجلى الله الابن الذي في الجميع، ثالوث كامل في المجد والخلود والسيادة غير منقسم أو منفصل»[1].

وله أيضاً رسائل قانونية (١٢ قانون) ثم خطبته في مديح أستاذه أوريجانس، وقد توفي سنة ٢٧٠ م[2].

---

(١) آباء الكنيسة / أسد رستم: ١٤٣.

(٢) تأريخ الكنيسة المسيحية: ١٢٥.

المبحث السابع: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الرابع

يعتبر القرن الرابع الميلادي بحق قرن انتصار المسيحية، فلقد كان المسيحيون في الامبراطورية الرومانية موضوع اضطهادات عنيفة وقاسية في أوقات كثيرة وأماكن مختلفة، إلى أن جاء الامبراطور قسطنطين الروماني[1]، فقد أصدر قراره المأثور في التأريخ، الذي أذاعه في رومية سنة ٣١٣م، وقرر به التسامح الديني في كل أنحاء الامبراطورية شرقاً وغرباً، ووضعت المسيحية على قدم المساواة مع الوثنية كعقيدة شخصية، وأصبح كل إنسان حراً ليختار ما يشاء من عقيدة، وبذلك مُنح المسيحيون حرية تامة في أداء فرائض دينهم[2].

وكان قسطنطين امبراطوراً في الغرب، وأما في شرق الامبراطورية الرومانية فقد كان ليكنيوس امبراطور الشرق وهو وثني غير مسيحي، وقد فعل الشي نفسه مع المسيحيين وأغدق عليهم ليكسب ودهم، ولكن الأمر تغير في سنة ٣٢٠ عندما شب الخلاف بين الامبراطورين، فلجأ ليكنيوس إلى التضييق على المسيحيين وأمر بإبعاد المسيحيين عن البلاط والوظائف الكبرى فدمرت بعض الكنائس وصادروا

---

(١) ولد قسطنطين سنة ٢٨٠ م في «سيس» كرواتيا وصربيا حالياً، وهو ابن قسطنيوس كلورس، وكان امبراطوراً متسامحاً وكانت أمه هيلانة المسيحية، ويقال إنّه اعتنق المسيحية سنة ٣١٢، أما ظروف اهتدائه فليست واضحة حتّى اليوم، ولكنه بالواقع لم ينل سر العماد إلاّ على فراش الموت سنة ٣٣٧، وقد ارتكب في حياته جرائم كثيرة تدل على أخلاق بعيدة عن الروح المسيحية: دليل إلى قراءة تأريخ الكنيسة: ٩٤.

(٢) تأريخ المسيحية ١ : ١٤١.

الأموال وساقوا المؤمنين للعمل في المناجم بل وحكم على بعضهم بالإعدام[١].

وفي سنة ٣٢٣ أعلن قسطنطين حرباً شعواء ضد ليكنيوس والوثنية، وقد انتصر قسطنطين واستتب الأمر له وحده في الشرق والغرب وذلك سنة ٣٢٤، فأعاد الأموال المصادرة وأعتق العاملين في المناجم، وأعدّ الامبراطور معونات للكنائس من الأموال العامة للدولة، فقد أنشأ على نفقة الدولة كنائس متعددة في القسطنطينية وأنطاكية وأورشليم وبيت لحم والخليل[٢].

وهنا بدأت الكنيسة تتنفس الصعداء وتشعر بالحرية، بل أصبحت فيما بعد كنيسة الدولة، وحسب تعبير البعض، ففي هذه الفترة الزمنية، اتحدت القوتان العظيمتان: القوة الروحية والقوة الزمنية الله وقيصر[٣].

ويعتبر القرن الرابع الميلادي بداية الانطلاقة نحو عقائد لاهوتية ملزمة لجميع المسيحيين، وقد ظهر في هذا القرن الكثير من العلماء اللاهوتيين في المسيحية والذين أصبحوا فيما بعد نبراس اللاهوت في المسيحية ومنهم:

أولا: آريوس الليبي والآريوسية:

ولد آريوس سنة ٢٥٦ م وهو ليبي المولد والمنشأ، وكل ما يعرف عنه أنّه كان تلميذ لوقيانوس المعلم الأنطاكي، فقد درس اللاهوت على يديه في مدرسة أنطاكيا، ثم سافر إلى الاسكندرية وتعلم فيها فرسم هناك كاهناً وشيخاً، وكان هذا الشاب عالماً زاهداً متقشفاً يجيد الوعظ والإرشاد، فاستطاع أن يجذب حوله جماعة من المؤمنين من أهل الاسكندرية، وبالأخص عذارى الاسكندرية،

---

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ١٨٥.

(٢) نفس المصدر: ١٨٧.

(٣) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ١٩٣.

الراهبات اللواتي أنذرن أنفسهن للعمل الصالح، وكـذلك عـدد كـبير مـن رجـال الاكليروس الذين وجدوا في وعظه غذاء للنفوس فآثروا الإصغاء إليه بالرغم من مخالفة تعاليمه لتعاليم الأسقف رئيس الكنيسة[١].

وسعى آريوس إلى صون امتيازات الله الواحد الوحيد الذي لا ابتداء له، فأكد على وحدانية الأب وتخفيض منزلة الابـن والروح القـدس، فأعـلن جـهاراً بأنّ المسيح لم يكن إلهاً، بل هو كائن وسط بين الله والإنسان، خلق منذ البدء ولكنه ليس من جوهر الله، ولم يكن أزلياً، وقد نظّم آريوس آراءه في قصائد شعرية، وأناشيد وأغان رائعة، يوضح فيها العلاقة بين الأب والابن، ويمكن تلخيص تعاليم آريوس بالنقاط التالية:

١ ـ أنّ الله إله واحد غير مولود، أزلي، أما الابن فهو ليس أزلياً، إذ أنه وجد وقت ما لم يكن الابن موجوداً فيه، ومع أنّ وجود الابن سبق خلق العالم، ولكـنه ليس أزلياً.

٢ ـ إنّ هذا الابن غير الأزلي وغير المولود من جوهر الأب خرج من العدم مثل كل الخلائق الأخرى بحسب قصد الله ومشيئته.

٣ ـ أنّ المسيح ليس إلهاً ولا يملك الصفات الإلهية: كلي العلم، كلي القدرة، عديم التغير... الخ.

٤ ـ أنّ معرفة الابن محدودة وليست مطلقة، ولا يسـتطيع أن يـعلن لنـا الأب بطريقة كاملة (أي الإعلان وكشف حقيقة ذات الله).

٥ ـ الابن مخلوق مثل كل الخلائق، متغير، غير أزلي، وقد كان حـراً أن يـظل صالحاً كما خرج من بين يدي الله أو أن يرتد إلى الشر مثل الشيطان، على أنّ الله قد قرر بأن يسلك الابن في طريق الصلاح، ولهذا فقد منحه مجداً إلهياً، وهذا المـجد

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ١٩٢.

الإلهي ما هو إلاّ هبة من الله، وعن طريق هذا المجد الممنوح ارتفع الابن فوق كل الخلائق[١].

٢وكان الكنسدروس أسقف الاسكندرية في ذلك الوقت، وعندما سمع بتعاليم آريوس استدعاه وناقش معه هذه الآراء، وعندما أصر آريوس على آراءه، طلب الكنسدروس عقد مجمع (سنودس) حوالي سنة ٣٢٠ أو ٣٢١ م وقد حضره ما يقارب مائة أسقف مصري وليبي، فأوضح آريوس رأيه في الأب والابن والروح القدس المتقدمة، واستمسك الأساقفة الآخرون بولادة الابن من الأب قبل كل الدهور، وبمساواة الابن للأب في الجوهر، وأصغى الكنسدروس إلى ما قاله الطرفان، فقال برأي الأكثرية المخالف لتعاليم آريوس، وأمر آريوس باتباع هذه التعاليم، إلاّ أنّه رفض هذه التعاليم وبقي مشدداً على رأيه، ولذلك صدر قرار الحرمان بحقه وبحق الأساقفة والقساوسة الذين اتبعوه في تعاليمه[٢].

وقد كان الكثير من أتباع لوقيانوس الأنطاكي الذي أخذ عنه آريوس آراءه وتعاليمه هذه يميلون إلى تعاليم آريوس وعقائده أمثال أسابيوس أسقف نيقوميدية وأسابيوس مؤرخ الكنيسة العظيم أسقف قيصرية فلسطين، وغريغوريوس أسقف بيروت وثيودوتوس أسقف اللاذقية وآخرون غيرهم، فجاء آريوس إلى قيصرية فلسطين وشرح للمؤرخ الكبير أسابيوس عقائده وتعاليمه الذي كان يميل إلى نفس هذه التعاليم ولكن دون المجاهرة بها، وبعد ذلك ذهب إلى مقابلة آوسابيوس أسقف نيقوميدية الموافق لنفس هذه التعاليم، فكتب هو بدوره إلى عدد كبير جداً من الأساقفة حاضاً إياهم على الوقوف بجانب آريوس الكاهن واتباعه، وكتب إلى أسقف الاسكندرية برفع الحرمان عن آريوس، ولكنه رفض هذا القرار وبذلك

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٦٢٠.

(٢) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ١٩٤.

انفصل آريوس عن كنيسة الاسكندرية[١].

وصنف آريوس في هذه الفترة كتابه المعروف **«الثالية thalia»** والذي يتضمن آراءه في الثالوث، وقد راج هذا الكتاب في بعض الأوساط رواجاً ملموساً، وقد نظم بعض الترانيم العقائدية بصورة قصائد شعرية، وأناشيد وأغان رائعة، فانتشرت بين جميع طبقات المجتمع المصري، بل إنّ شهرته امتدت إلى بلاد كثيرة في الشرق وأصبح أتباعه كثيرين، فشجر نزاع عنيف بين الآريوسين وبين مخالفيهم، وانتقل النزاع من مصر إلى غيرها من الأمصار[٢].

لقد أدّت النزاعات الكلامية واللاهوتية في الكنيسة إلى ظهور الاضطرابات والانقسامات بصورة كبيرة، فأصبحت كحرب بين جيشين، وقد شعر الامبراطور قسطنطين الذي عانى الأمرّين في سعيه للوصول إلى العرش وفي توحيد الامبراطورية، بأنّ الانقسامات والمعارك اللاهوتية الآخذة بالاتساع عاملا خطيراً وهدّاماً لوحدة الامبراطورية الرومانية، فاستشار صديقه الأسقف هوسيوس (hossius) أسقف قرطبة الأسبانية، واتفق الاثنان على أن يكتب الامبراطور شخصياً إلى كل من الكسندروس أسقف الاسكندرية وإلى آريوس داعياً إياهما إلى ترك المجادلات الكلامية اللاهوتية والمشادات، وأنّ الواجب يقضي بتساهل الطرفين للوصول إلى الصلح والسلام.

وحمل هذه الرسالة الأسقف هوسيوس نفسه، وقد التقى ببعض أطراف النزاع أمثال الكسندروس أسقف الاسكندرية وآريوس وأيضاً أسقف نيقوميدية، وظهر هنا اقتراح عقد مجمع مسكوني[٣] في نيقية للبت في الأمر.

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٦٢٢.

(٢) تأريخ المسيحية / فجر المسيحية ١ : ١٤٨.

(٣) إنّ المجمع المسكوني يمكن تحديده هكذا: «أنه مجمع حازت تحديداته وقوانينه القبول في المسكونة

ثانياً: مجمع نيقية (٣٢٥):

قد تضاربت الآراء حول من هو الذي دعا لعقد هذا المجمع، فالبعض يعتقد أنّه هو الأسقف هوسيوس، والبعض الآخر يظن بأنّه أسقف الاسكندرية الكسندروس، وذهب أسابيوس المؤرخ الكنسي أنّ الذي دعا لهذا الاجتماع هو الامبراطور قسطنطين نفسه[١].

وقد اختلفت الآراء التأريخية حول مسائل كثيرة في هذا المجمع منها: من هو رئيس المجمع؟ فظن البعض أنّه فستاثيوس أسقف أنطاكية، واعتقد البعض الآخر بأنّه الأسقف صديق الامبراطور هوسيوس وخصوصاً أنّ اسمه جاء في طليعة الموقعين، ورأى آخرون في أسابيوس المؤرخ الكنسي رئيساً لهذا المجمع، ولا يعلم إلى الآن بالضبط من رئيس هذا المجمع[٢].

واختلفت المراجع أيضاً في عدد الأساقفة المجتمعين، فذهب أفستاثيوس أسقف أنطاكية إلى أنّ عددهم كان مائتين وسبعين، وقال أثناسيوس الاسكندري إنّ عددهم كان ٣٠٠ أسقف، وبعد السنة (٣٦٠) جعل عددهم ثلاثمائة وثماني عشرة، وذهب البعض الآخر إلى القول بأنّ عدد الأساقفة كان يتراوح بين ٣٠٠ ـ ٥٢٠، وقد احتلت الكنائس الشرقية الأغلبية الساحقة من أعضاء المجمع، ولم يأت من الغرب إلاّ أربعة أو خمسة أشخاص[٣].

← كلها» وقد كان هذا التحديد مقبولا حتّى عهد الانشقاق الكبير بين الشرق والغرب، فأمّا الشرق فقد حافظ عليه حتّى بعد الانشقاق ولم يدع بعد ذلك عقد مجمع مسكوني، في حين أنّ كنيسة روما (الغرب) توسعت في التحديد وعقدت عدة مجامع أضفت عليها لقب المجامع المسكونية، ويرى الكتاب الرومانيون المتأخرون: «أنّ المجامع المسكونية هي التي يدعى إليها الأساقفة ومن لهم حق التصويت من كل أنحاء العالم، والتي تعقد برئاسة البابا أو أحد مندوبيه ويجيز مراسيمها، فيتحتم على المسيحيين لذلك وجوب التقيد بأوامرها»: مجموعة الشرع الكنسي: ١٠.

(١) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٦٢٥.

(٢) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ٢٠١.

(٣) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٦٢٧.

واجتمع الأساقفة في ١٩ أو ٢٠ من آيار سنة ٣٢٥ في بهو كبير في البلاط وجلسوا في الأماكن المخصصة لهم في انتظار وصول الامبراطور قسطنطين، ودخل قسطنطين بالارجوان والذهب ووراءه بعض أفراد الحاشية من المسيحيين، فتبدل وتغير كل شيء في صالح المسيحية والمسيحيين، فبعد الاضطهاد والقمع والتنكيل، فإذا هم الآن معززون مكرمون، بل أنّ الامبراطور نفسه حاضر معهم يأمر جيشه بحراستهم والعناية بهم، حتّى يُنقل أنّ الامبراطور لما وصل إلى المكان الذي أُعدّ له شاء ألاّ يجلس قبل جلوس الأساقفة، وأمرهم بذلك فامتثلوا[١].

ويمكن تقسيم المجتمعين في هذا المجمع إلى ثلاثة أحزاب:

١ ـ الحزب المصري وعلى رأسه الأسقف الكسندروس وأثناسيوس الشماس.

٢ ـ حزب آريوس اللوقيانوسيون (أتباع لوقيانوس) وعلى رأسه الأسقف أسابيوس النوقوميدي والبعض من أعضاء المجمع المتحمسين.

٣ ـ الحزب المحايد وعلى رأسهم أسابيوس القيصري مؤرخ الكنيسة الذي كان يميل إلى آراء لوقيانوس ولكنه لم يكن متحمساً كالحزب الثاني.

وينقل عن بعض المؤرخين قولهم بأنّ أغلبية الأساقفة الذين كانوا يمثلون الكنائس في هذا المجمع، كانوا على درجة متوسطة من العلم[٢].

وبدأ المجمع عمله وعرضت أمام الأساقفة المجتمعين عقائد وتعاليم آريوس التي نادى بها، وذلك من خلال قراءة فصول من كتابه «الثاليا»، وبعد ذلك قام الحزب الموالي لآريوس وعقيدته وعلى رأسهم أفسابيوس أسقف نيقوميدية وغيره بالدفاع عن الكاهن الليبي، وبعد نقاش وجدل طويل وعنيف اقترح أسقف نيقوميدية وحزبه نصاً لقانون الإيمان يحتوي على الكثير من تعاليم آريوس، لكن

---

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ٢٠٠.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٦٢٧.

المجمع رفض قانون الإيمان المقترح، فانتهز أسابيوس القيصري المؤرخ الشهير وأسقف قيصرية فلسطين هذه الفرصة، فعرض قانون إيمان كان يُتلى في كنيسته عند ممارسة سر المعمودية، فلاقى قبولا مع بعض التحفظات، فأدخلت عليه بعض العبارات والتوضيحات والتعديلات، وأهم هذه العبارات المضافة اصطلاح (**هوموسيوس** homoousios)(١)، فأوجبوا القول بأنّ ابن الله مولود من جوهر الأب وأنّه إله حق من إله حق مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، ويعتقد البعض أنّ هوسيوس مستشار قسطنطين هو الذي أدخل الاصطلاح «**هومسيوس**» وعبارة «**مساو للأب في الجوهر**» ولأنّه كان مقرباً من قسطنطين فقد وافقه على هذه الإضافة(٢)، ولكن أتباع آريوس اعترضوا على هذه العبارة «**مساو للأب في الجوهر**» وقالوا: إنّ هذه العبارة لا توجد في الكتاب المقدّس، بل هي غريبة عليه وبناء على ذلك يجب رفضها، ولكن أثناسيوس وأتباع الحزب المصري قالوا بأنّه صحيح إنّ هذا الاصطلاح غير موجود حرفياً في الكتاب المقدّس، لكنه معنوياً مأخوذ منه(٣).

وبعد نقاشات طويلة استقر الرأي على قانون إيمان قدمه الكسندروس وأثناسيوس الذين أدخلا التعديلات والعبارات التي يُفهم منها التساوي بين جوهر الأب والابن وبشكل صريح لا يقبل أي تأويل، فجاء نص قانون الإيمان النيقاوي وهو:

«نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق كل ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح

(١) وهي كلمة يونانية ومعناها «جوهر» وقد حاولوا من خلال هذه اللفظة على إثبات أنّ جوهر الابن (المسيح) هو من جوهر الله (الأب). كتاب تأريخ المسيحية / فجر المسيحية ١ : ١٥١.

(٢) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ٢٠٢.

(٣) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٦٣٠.

ابن الله المولود من الأب، المولود الوحيد، أي من جوهر الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء في السماء وما على الأرض، الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل وتجسّد وتأنس وتألم، وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وسيجي ليدين الأحياء والأموات وبالروح القدس». وألحق الآباء بهذا القانون العبارات التالية:

«أما أولئك الذين يقولون إنّه كان زمن لم يكن فيه، وإنّه لم يكن قبل أن يولد، وإنّه صار من العدم، أو من أقنوم آخر أو جوهر آخر، أو إنّ ابن الله مخلوق أو متغيّر أو متحوّل فهؤلاء جميعهم تلعنهم (تحرمهم، تفرزهم) الكنيسة»[١].

وعندما تلي قانون الإيمان هذا أمر قسطنطين أن يوقعه الجميع، فوقعه كثيرون، ووقعه أيضاً أنصار آريوس خوفاً من غضب قسطنطين، ولكن رفض توقيعه بحزم ثيونا أسقف وسكوندا وكذلك آريوس، ولهذا فصلتهم الكنيسة وأرسلهم الامبراطور إلى المنفى، وقد أمر قسطنطين في الرسالة التي وجهها بعد المجمع إلى جميع الأساقفة والشعوب أن تحرق كتب وتأليفات آريوس ويهدد بالموت كل من يخفيها[٢].

إنّ مجمع نيقية يعتبر من أهم الأحداث التاريخية في تأريخ العقيدة المسيحية، لأنّه لأول مرة يقرر مجمعاً مسكونياً وبصراحة **«أنّ الابن مساو للأب في الجوهر»**، وأيضاً فإنّ هذا المجمع قد وضع اللبنة الأولى لحرمان الآباء والأساقفة المخالفين لعقيدة الكنيسة ونفيهم بل وقتلهم إذا اقتضى الأمر، وذلك عندما صرحوا بالقول أنّ من يخالف هذا القانون يجب حرمانه ولعنه، وأصبحت سنّة اتّبعها الآباء في المجامع

---

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ٢٠٣.

(٢) تأريخ الكنيسة المسيحية / سمير نوف: ٢٢٨.

المسكونية اللاحقة كما سنرى.

ولم يكن هذا نهاية المطاف بالنسبة للآريوسية، التي يعتبرها البعض أخطر الهرطقات، لأنّها المحاولة الأولى لإحلال الفلسفة العقلية المنطقية محل الإيمان المسيحي الذي لا يخضع للفلسفة والعقل، لأنّ سر طبيعة المسيح مع القول بمساواته بجوهر الأب يبقى سراً عميقاً بعيد المنال، فإنّ الإله الذي يدركه العقل البشري ويحيط به إحاطة تامة يبطل أن يكون إلهاً!(١).

وقد عاد الأساقفة والآباء الذين وقعوا على مسودة نيقية خوفاً من بطش الامبراطور، وبدأوا من جديد بنشر تعاليم آريوس في كنائسهم، مما أدى إلى بروز اضطرابات كرستولوجية طال أمرها حتّى نهاية القرن الخامس الميلادي، حيث أثيرت إشكالات كثيرة حول طبيعة المسيح وذاته، فقد أصبح سر لاهوته المشكلة الأولى والعظمى أمام العقل المسيحي المثقف، وكثرت في ذلك الآراء والمذاهب.

وقد استطاع بعض الأساقفة المقرّبين إلى قسطنطين ـ من اتباع تعاليم آريوس ـ بإقناع الامبراطور في العفو عن آريوس، ويعتقد البعض أنّ أم الامبراطور هيلانة وأخته قسطنطينة اللتان كانتا آريوسيتي المعتقد استطاعتا إرجاع أسابيوس أسقف نيقوميدية والصديق المخلص لآريوس إلى ابريشيته سنة ٣٢٨ ميلادي، وكذلك إحضار آريوس للاعتراف مجدداً أمام الامبراطور، فقبل الامبراطور ذلك فحضر وقدم للامبراطور إيمانه وتعاليمه، فأرجعه من المنفى في سنة ٣٢٨ ميلادي أيضاً، فاستطاع الآريوسيون من البروز مجدداً، وتمكنوا من تنصيب بعض الأساقفة من حزبهم بدلا من آخرين مخالفين لتعاليمهم، واشتد الصراع بين آريوس وأتباعه وأثناسيوس (الذي انتخب أسقفاً للاسكندرية خلفاً للاكسندروس سنة ٣٢٨م)

---

(١) تأريخ المسيحية / فجر المسيحية ١ / ١٥٣.

وأتباعه من جهة أخرى.

وتوفي آريوس سنة (٣٣٦) ميلادي وهو شيخ في الثمانية والثمانين من عمره، بعد إرجاعه من منفاه وتنصيبه رسمياً أسقفاً على مدينة أورشليم، وقد تضاربت الآراء في سبب موته، فقد اتهم أتباعه أعداءه «بسمه»، ورأى أعداؤه في هذا الموت المفاجي السريع[١] قضاء إلهياً عادلا[٢].

ثالثاً: أثناسيوس الاسكندري (athanase)

ولد سنة (٢٩٦ ومات سنة ٣٧٣) ويعتبر البعض أثناسيوس بطل مجمع نيقية، ويقال إنّه نصب أسقفاً للاسكندرية خلفاً لاكسندروس وذلك سنة ٣٢٦ أو ٣٢٨، وكان يتمتع بثقافة واسعة ومعرفة بالكتاب المقدّس، وعندما أصدر الامبراطور قسطنطين أمره بإرجاع آريوس إلى كنيسة الاسكندرية طالباً من أسقفها إعادته إلى منصبه، رفض اثناسيوس هذا الطلب الامبراطوري، وعندما سمع الامبراطور بجواب اثناسيوس أمر بعقد مجمع في صور وذلك في سنة (٣٣٥) للنظر في أمر أثناسيوس وآريوس، وقد اتهم أثناسيوس في هذا المجمع بتهم عديدة، مثل أنّه أمر بكسر كأس الأفخارستيا الذي كان يستعمله الكاهن المعارض له أسخيراس، وأيضاً اتهموه بأنّه على علاقة غير شريفة بامرأة سيئة الأخلاق وغيرها[٣]، وعندما سمع سكان مدينة صور بذلك توافدوا على قاعات المجمع مطالبين بإنزال أشد العقوبات على أثناسيوس، فأيقن أثناسيوس بأنّه سوف يدان في هذا المجمع،

---

(١) ينقل أنّ آريوس وبعد تنصيبه في أورشليم، ذهب إلى القسطنطينية ودخلها مع جماعة من أتباعه في موكب انتصاري ضخم، وبينما كان يسير في شوارع مدينة القسطنطينية مع أتباعه، شعر بألم شديد في بطنه، فترك أصدقاءه ودخل إلى مكان لقضاء حاجته، فاندلعت أحشاؤه ومات في الحال.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٦٥٠.

(٣) نفس المصدر: ٦٤٨.

ولذلك هرب خفية من صور إلى قسطنطينية، فأصدر عليه مجمع صور حكماً غيابياً قضى بعزله من منصبه، وقد التقى أثناسيوس بـالامبراطـور ورفـع شكـوى ضـد المجمع، فأرسل قسطنطين إلى رؤساء الأساقفة المجتمعين في صور وعرضوا عليه بعض التهم الموجهة إلى أثناسيوس، فصدق الامبراطور حكم المجمع وأمر بإبعاده فنفي إلى تريف (treves) وهي إحدى مدن ألمانيا حالياً[١].

وبذلك قرّب الامبراطور قسطنطين الذي توفي سنة (٣٣٧) وخلفائه على العرش آريوس وأتباعه والمؤمنين بـتعاليمه، وعـلى العكس بـدأ الاضـطهاد فـي حـق أثناسيوس وأتباعه أنصار قانون مجمع نيقية، فطرد أثناسيوس إلى المنفى خمس مرات، وكثيراً ما كان طريداً متخفياً في أديرة صحراء مصر، يتنقل من مكـان إلى آخر متخفياً، وقد هجر الكثير من أتباعه تعاليمه واتبعوا عقيدة آريوس[٢].

وقد عقدت في هذه الفترة مجامع كثيرة أهمهما مجمع أنقرة في سنة ٣٥٨ وقد سيطر عليه جماعة ترفض آراء أثناسيوس وآريوس، فهم يؤمنون بأنّ الابن مشابه لجوهر الأب، ويرفضون القول بأنّ الابن من نفس جـوهر الأب، وقـد اسـتبدلوا الاصطلاح الذي قبله مجمع نيقية وهو **«مساو للأب في الجوهر»** باصطلاح **«مشابه للأب في الجوهر»**، فهم يرفضون القول بأنّ الابن خلق من العدم، وكذلك يرفضون مساواته بالأب، ولكنهم يقولون بأنّ الابن مولود من الأب قبل كل الدهور حسب إرادة الله ومشيئته، فالابن يحتل مكاناً وسطاً بين الله والخلق[٣].

وأيضاً عقد مجمع في الشرق في سلفكية (في تركيا) سنة ٣٥٩ ومجمع في نفس السنة في ريمينية (في إيطاليا)،وقد أصدر المجمع الغربي دستوراً عرف فيما بـعد

---

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ٢١٤.

(٢) تأريخ فجر المسيحية ١ : ١٥٢.

(٣) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٦٥٨.

(بالدستور المؤرخ) لأنّ الأسقف مرقس بدأ قبل الإشارة إلى نص القانون بذكر موافقة الامبراطور عليه،ثم أشار إلى السنة والشهر واليوم الذي تمت فيه هذه الموافقة، وقد نصّ هذا القانون على مشابهة الابن لجوهر الأب (homoiousion) بعبارات غامضة، ويتميز أيضاً بالإشارة الواردة فيه لأول مرة إلى نزول السيد المسيح إلى الجحيم(١).

وقد وقع أغلب الأساقفة على هذا القانون الجديد الذي هدّم تعاليم قانون مجمع نيقية ولو بصورة مؤقتة، وقد هدد الامبراطور كل من لا يوافق على هذا القانون بالحرمان والتبعيد.

وبلغت الاختلافات اللاهوتية أشدها في هذه الحقبة الزمنية، حتّى أنّ الجدال حول طبيعة المسيح وذاته لم يقتصر بين الأساقفة والآباء في المجامع، بل انتشر في الساحات والأماكن العامة، مما دفع بالامبراطور ثيوديوس الذي اعتلى عرش الامبراطورية سنة (٣٧٩ـ٣٩٥) للدعوة إلى انعقاد مجمع جديد في قسطنطينية وذلك سنة ٣٨١ ميلادي.

رابعاً: مجمع قسطنطينية ٣٨١:

انعقد هذا المجمع في مدينة القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادي بأمر من الامبراطور ثيودوسيوس لمناقشة العقائد والتعاليم المسيحية التي شغلت أذهان الكثيرين وجعلتهم شيعاً ومذاهباً مختلفة ومتناقضة، فبعد انتشار تعاليم آريوس في أوساط الكنائس المسيحية بشكل واسع ظهرت بجانب تعاليم آريوس تعاليم أبوليناري(٢)

---

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ٢٣٠.

(٢) أبولوناري: apollin - aire كان أسقفاً للاذقية وصديقاً حميماً لأثناسيوس، ومع أنه كان يقبل تعاليم ←

ومكدوني[1] والمرتبطة نوعاً ما بتعاليم آريوس.

وقد اجتمع في هذا المجمع الذي يعتبر المسكوني الثاني حوالي مائة وخمسين أسقفاً، وترأسه أولا ملاتيوس الأنطاكي ولكنه توفي قبل انتهاء أعماله، فتولى الرئاسة بعده غريغوريوس اللاهوتي (النزينزي) أسقف القسطنطينية، وقد كان البحث حول المكدونية (تعاليم مكدوني) وبالخصوص حول الروح القدس والتي كانت على رأس المسائل، وقد حضر ستة وثلاثون أسقفاً من أتباع (مكدوني)، وعندما اصرّ بعض آباء الكنيسة على مساواة الروح القدس في الجوهر للأب

← تعاليم مجمع نيقية، لكنه ومن أجل إيجاد حل للمشكلة اللاهوتية حول حقيقة المسيح وطبيعته أبرز نظرية جديدة مفادها: تقسيم الإنسان حسب التقسيم الأفلاطوني،فقال إنّ الإنسان يتكون من ثلاثة أقسام هي: ١ ـ الروح أو العقل. ٢ ـ نفس غير عاقلة. ٣ ـ جسد، ومن خلال هذه العقيدة فسر التجسد فقال: إنّ ابن الله (المسيح) كانت له نفس غير عاقلة وجسداً بشرياً، واللوغوس (الكلمة) كان عوضاً عن الروح والعقل البشري، فهو يرفض وجود روح عاقلة في المسيح، واستدل على ذلك من الكتاب المقدس بقول يوحنا الإنجيلي: «والكلمة صار جسداً» معلقاً بأنّ الرسول لا يقول: الكلمة صار روحاً، بل صار جسداً،وهو يعتقد بأنّه من الضروري أن يجرّد المسيح من روح بشرية عاقلة، وذلك لأنّه لو كان للمسيح روح بشرية مثل كل البشر، لما كان ممكن له أن يصل إلى درجة القداسة الكاملة، لأنّ الخطيئة (حسب تفسيرهم للخطيئة الجماعية) مرتبطة وعالقة بالروح البشرية بسبب معصية آدم أبي البشر، وهذا ما يميز المسيح عن باقي البشر، والذي أهله لأن يكون طاهراً مقدساً لا عيب ولا نقص ولا خطيئة فيه هو أنّ اللوغوس (الكلمة) حل محلّ الروح فيه، ولأنّ الروح البشرية هي التي تتّحد بالجسد وتديره، كذلك فإنّ اللوغوس الذي اتّحد مع جسد المسيح هو الذي كان يعمل في الجسد ويسيطر عليه: تأريخ الفكر المسيحي: ١ : ٦٧٠.

(١) كان مكدونيوس أسقفاً على القسطنطينية بعد أسابيوس القيصري نحو سنة ٣٤٢ ميلادي، وتعتبر تعاليمه حول الروح القدس نابعة من تعاليم آريوس فهي ابنة صريحة للآريوسية، فإنّ آريوس شدد على أنّ ابن الله مخلوق وجوهره شبيه لجوهر الأب غير مساو له، وكذلك قال مكدوني بأنّ الابن يشبه الله الأب، وهو مخلوق، وبالنتيجة فإنّ الروح القدس أيضاً مخلوق، وهو بمهمة خادم، وليس له أي مساهمة لا من قريب ولا من بعيد في جوهر الألوهية، بل وحتّى هو أدنى من الابن، وقد اتبع الكثير مكدونيوس في تعاليمه ولا سيما من الآريوسيين، وقد دعي أتباع مكدونيوس باسم «محاربي الروح»: تأريخ الكنيسة المسيحية / سمير نوف: ٢٤٠.

والابن، رفض هؤلاء بشدة هذه العقيدة وغادروا المجمع، ولأنّ التعليم عن الروح القدس في قانون الإيمان لمجمع نيقية لم يكن واضحاً، إذ قيل فيه: وبالروح القدس (أي نؤمن)،فأضاف هذا المجمع بعد تشبثه بقانون الإيمان النيقاوي تعليمه عن الروح القدس فأضاف: **«وبالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الأب، الذي يسجد له ويُمجد مع الأب والابن، الناطق بالأنبياء»**[1] .

وبهذه الإضافة أثبت المساواة في الجوهر بين الأب والابن (مجمع نيقية) وبين الروح القدس (مجمع قسطنطينية)،ويعتبر قانون الإيمان القسطنطيني المكمل لقانون الإيمان النيقاوي هو الساري والمقبول في الكنيسة إلى وقتنا الحاضر حسب شكله الذي رتبه آباء المجمع القسطنطيني، ولكن يجدر الإشارة إلى أنّ مجمع **«توليدو»** الذي عقد في أسبانيا سنة ٥٨٩ الذي قبل هذا القانون أضاف إليه الجملة الآتية: **«وأومن بالروح القدس المحيي المنبثق من الأب والابن»** أي أنّ الروح القدس لم ينبثق من الأب وحده، بل انبثق من الابن أيضاً، وقد قبلت كل الكنائس الغربية (الكاثوليك) والكنائس الإنجيلية (البروتستانت) فيما بعد هذه الإضافة عن انبثاق الروح القدس من الأب والابن، ورفضته الكنيسة اليونانية الآرثوذكسية[2] .

---

(١) تأريخ الكنيسة المسيحية ، سمير نوف: ٢٤٢.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ١ : ٦٦٦.

المبحث الثامن: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الخامس

كما اتّضح آنفاً فإنّ الكنيسة وحتّى نهاية القرن الرابع الميلادي استطاعت من تثبيت التعاليم والعقائد الخاصة في حقيقة يسوع المسيح، أي كونه إلهاً وإنساناً في آن واحد، ولكن مع نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي ظهرت مشاكل عقائدية كرستولوجية جديدة في تأريخ الفكر المسيحي، مثل مشكلة الاتحاد، فما أن قُبلت المساواة بين الأب والابن والروح القدس حتّى بدأ التساؤل: كيف يمكن فهم الاتحاد بين لاهوت الكلمة وناسوت يسوع. فكلمة الله أبدية، في حين أنّ يسوع وُلد وتألم ومات؟.

فإنّ الأساقفة وآباء الكنيسة لم يتنازعوا على مشكلة وجود اللاهوت في الناسوت في هذه الفترة، بل أنّ النزاع العقائدي الكرستولوجي بدأ يدور حول كيفية فهم عملية اتحاد الطبيعتين في يسوع المسيح، فكيف يمكن أن يكون ابن الله وابن الإنسان في آن واحد؟ وكيف تمت عملية الاتحاد؟ والسؤال الأهم: هل توجد طبيعتان أم طبيعة واحدة في شخص المسيح؟

ولعل السبب في هذه المشكلة يعود إلى أنّ الكنيسة والمجامع الكنسية لم تعين بعبارات محددة وواضحة وجه العلاقة بين الطبيعتين الإلهية والبشرية، وكذلك وجه الاتحاد بين اللاهوت والناسوت.

وللإجابة على هذه التساؤلات الصعبة في حقيقة شخصية المسيح وقعت مشاجرات كثيرة،وظهرت مذاهب وآراء مختلفة مما أدى إلى انقسام الكنيسة

بسبب تلك الاختلافات إلى يومنا هذا، ولا سيما التعاليم الخاصة حول وجود طبيعة واحدة أو طبيعتين في المسيح.

وقبل الدخول في البحث يجدر الإشارة إلى أنّه ظهر في القرن الرابع الميلادي اتجاهان أو تياران عقائديان في غاية الأهمية، وقد أسهما فيما بعد في بلورة كل التعاليم والتيارات الكرستولوجية، والتيار الأول أو الاتجاه العقائدي الأول هو ما يسمى في الفكر المسيحي عقيدة (الكلمة ـ الجسد) أو (اللوغوس ـ الجسد) (logos - arx)، والتيار العقائدي الثاني يدعونه (الكلمة ـ إنسان) أو (اللوغوس ـ إنسان) أو (الكلمة ـ بشر) (logos - verbe) أو (logose worde) (anthropos).

ويشمل الاتجاه العقائدي الأول ثلاث مجموعات هامة هي:

المجموعة الأولى: وهي مجموعة الآريوسيين: فإنّ الآريوسيين علّموا بأنّ الكلمة قد حل في جسد بدون روح بشرية، فالمسيح هو الكلمة والجسد بدون روح بشرية عاقلة.

المجموعة الثانية: جماعة أبولوناريوس: فهو يعتقد كما أشرنا سابقاً إلى أنّ المسيح مكوّن من الكلمة (اللوغوس) ثم الجسد، والكلمة حلّت محل الروح البشرية في الجسد، وعلّل ذلك بقوله إنّ وجود الروح البشرية في المسيح يسبب صراعاً داخلياً في المسيح ويقلل من لاهوته.

المجموعة الثالثة: وهم معلمو الاسكندرية، أو المدرسة الاسكندرية، وهي لم تنادِ بوضوح وصراحة بعدم وجود روح بشرية في المسيح، بل أهملت الحديث عن الروح البشرية للمسيح، واتخذت الصمت فيما يتعلّق بذلك، واكتفوا بالقول إنّ للمسيح جسد، ولكن لا يمكن وضع كنيسة الاسكندرية وتعاليمها في مصاف تعاليم الآريوسية والأبولونارسية التي صرحت في نفي وجود الروح البشرية في

المسيح[١].

أما الاتجاه والتيار العقائدي الثاني والذي يدعى (الكلمة ـ إنسان) فقد تزعمته كنيسة أنطاكية، وقد علّم أتباع هذه المدرسة بأنّ اللوغوس أو الكلمة تجسد في الإنسان يسوع الناصري، يعني في إنسان كامل التكوين: إنسان مكون من روح بشرية[٢].

وقد تزعّمت التيار الأول كنيسة الاسكندرية، التي قادت الفكر المسيحي مدة من الزمن كما هو واضح من خلال البحث السابق، وقد شاطرتها أنطاكية هذه الزعامة، وقالت المدرسة الاسكندرية بطبيعة واحدة متجسدة، أي أنّ هناك اتحاداً حقيقياً بين لاهوت الكلمة وناسوته، وأنّ الإله المتأنس شخص واحد وليس اثنين، وبمعنى آخر أنّه لا يوجد في المسيح إلاّ اللوغوس العامل والجسد المجرد من الروح البشرية، والاثنان يكونان وحدة واحدة، وينفي البعض هذا القول عن الكنيسة الاسكندرية، ويقولون صحيح أنّ آباء الكنيسة الاسكندرية تحدثوا عن لاهوت المسيح أكثر من كلامهم في ناسوته، حتّى أنّهم سمّوا السيدة العذراء مريم **«والدة الإله»** وأنّها ولدت إلهاً وأنّ الإله ولد وتألّم وصلب، إلاّ أنّهم لا ينكرون الطبيعتين[٣].

وأما التيار الثاني فقد تزعمته مدرسة أنطاكية التي ميزت بين لاهوت المسيح وناسوته، وقد ذهب أتباع هذه المدرسة إلى القول بأنّ الكلمة أو اللوغوس تجسد في الإنسان يسوع الناصري، أي إنسان كامل التكوين مكوّن من روح بشرية عاقلة وجسد كامل.

---

(١) نفس المصدر: ٦٠.

(٢) نفس المصدر: ٦٢.

(٣) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى: ٣١٠.

ومن خلال هذين الاتجاهين نشأت السجالات الكرستولوجية حول طبيعة المسيح، وهل له طبيعة واحدة أم طبيعتان، وأسفرت هذه الاختلافات عن حدوث انشقاق دام قرابة خمسة عشر قرناً، أي منذ مجمع خليقدونية عام ٤٥١ وإلى النصف الأخير من القرن العشرين حيث أمكن التوفيق بفضل لغة الحوار اللاهوتي بين أصحاب الطبيعة الواحدة والطبيعتين[١].

والآن سنشير إلى التعاليم الخاصة حول حقيقة طبيعة المسيح التي انقسم أتباعها إلى مذهبين ومدرستين وهما:

أولا: عقيدة الطبيعة الواحدة:

لقد اتّبعت كنيسة الاسكندرية تعليم الطبيعة الواحدة (christologie unitaire)، وبحسب مفهوم المدرسة الاسكندرية فإنّه ليس في المسيح إلاّ طبيعة واحدة وأقنوم واحد، طبيعة الابن المتجسد[٢].

ولكي نقف على حقيقة ما تقوله كنيسة الاسكندرية حول الطبيعة الواحدة للمسيح، نذكر ما كتبه البابا شنودة الثالث باب الاسكندرية في وقتنا الحاضر حول هذه المسألة المهمة جداً في كتابه «**طبيعة المسيح**» إذ يقول البابا:

«السيد المسيح هو الإله الكلمة المتجسد، له لاهوت كامل، وناسوت كامل، ولاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير اتحاداً كاملاً اقنومياً جوهرياً تعجز اللغة أن تعبر عنه.

وهذا الاتحاد دائم لا ينفصل مطلقاً ولا يفترق، نقول عنه في القداس الإلهي «إنّ لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين»[٣].

---

(١) المسيحية عبر تأريخها في المشرق: ١٩٣.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ٢: ٦٥.

(٣) طبيعة المسيح الباب شنودة الثالث: ٧.

ويضيف البابا عن كيفية هذا الاتحاد بقوله: «**الطبيعة اللاهوتية (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة (اللوغوس) من العذراء مريم بعمل الروح القدس، فالروح القدس طهر وقدّس مستودع العذراء طهارة كاملة حتّى لا يرث المولود منها شيئاً من الخطيئة الأصلية، وكون من دمائها جسداً اتحد به ابن الله الوحيد، وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدّس في رحم السيدة العذراء.**

وباتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء تكونت منهما طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسد»[١].

وأما عن تعبير أصحاب الطبيعة الواحدة (monophysites) فيقول:

بعد الشقاق الذي حدث سنة ٤٥١ م حيث رفضنا مجمع خلقيدونية وتحديداته اللاهوتية، عُرفنا بأصحاب الطبيعة الواحدة (monophysites) الذي أسي فهمه عن قصد أو غير قصد خلال فترات التأريخ، فاضطهدت هذه الكنيسة اضطهادات مروعة بسبب اعتقادها.

وعبارة «**الطبيعة الواحدة**» المتصود بها ليس الطبيعة اللاهوتية وحدها، ولا الطبيعة البشرية وحدها، إنّما اتحاد هاتين الطبيعتين في طبيعة واحدة هي «**طبيعة الكلمة المتجسد**»[٢].

ولكن يبقى السؤال المهم هنا وهو: ما هي طبيعة هذا الاتحاد بين اللاهوت والناسوت؟ وكيف يمكن أن تتحد الطبيعتان فتصبح واحدة مع مغايرة طبيعة اللاهوت لطبيعة الناسوت؟

ويجيب البابا شنودة عن ذلك بقوله:

---

(١) نفس المصدر: ٧.

(٢) نفس المصدر: ٩.

«المقصود (من طبيعة الاتحاد) أنّ وحدة الطبيعة هي وحدة حقيقية، فهي ليست اختلاطاً مثل اختلاط القمح بالشعير، ولا امتزاجاً مثل مزج الخمر بالماء، كما لم يحدث تغيير (في الطبيعتين) مثل الذي يحدث في المركبات، فمثلا ثاني أوكسيد الكربون فيه كربون وأوكسجين، وقد تغير طبع كل منهما في هذا الاتحاد وفقد خاصيته التي كانت تميزه قبل الاتحاد، بينما لم يحدث تغيير في اللاهوت ولا في الناسوت باتحادهما، وكذلك تمت الوحدة بين الطبيعتين بغير استحالة، فما استحال اللاهوت إلى الناسوت، ولا استحال الناسوت إلى لاهوت»[١].

ويضرب بعض الأمثلة حول هذا النوع من الاتحاد فيقول: مثال اتحاد الحديد والنار، ففي حالة الحديد المحمى بالنار، لا نقول هناك طبيعتان: حديد ونار، إنّما نقول حديد محمى بالنار، فلا توجد هناك استحالة، فلا الحديد يستحيل إلى النار، ولا النار تستحيل إلى حديد، ولكنهما يتحدان معاً بغير اختلاط ولا امتزاج، كذلك نقول عن طبيعة السيد المسيح، إله متأنس، أو إله متجسد، ولا نقول إنه اثنان إله وإنسان، وهي طبيعة واحدة (طبيعة الكلمة المتجسدة) ولها كل خواص اللاهوت وخواص الناسوت.

وأيضاً هناك مثال اتحاد النفس والجسد فيقول: **«في هذا المثال تتحد طبيعة النفس الروحانية، بطبيعة الجسد المادية الترابية، ويتكون من هذا الاتحاد طبيعة واحدة هي الطبيعة البشرية، وهذه الطبيعة ليست الجسد وحده، ولا النفس وحدها، وإنما هما الاثنان معاً متحدين بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا استحالة، فما استحالت النفس إلى جسد، ولا الجسد إلى نفس، ومع ذلك صار الاثنان واحداً في الجوهر وفي الطبيعة، فإن كنا نقبل مثال اتحاد النفس والجسد في طبيعة واحدة، فلماذا لا نقبل اتحاد اللاهوت والناسوت في طبيعة واحدة؟!»**[٢].

---

(١) نفس المصدر: ١١.

(٢) طبيعة المسيح: ١٣.

وأما بخصوص مسألة المغايرة بين الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية والاتحاد بينهما فيقول: «**إنّ طبيعة النفس هي كذلك مغايرة لطبيعة الجسد، وقد اتحدت معه في طبيعة واحدة هي الطبيعة الإنسانية، ومع أنّ الإنسان تكون من هاتين الطبيعتين، إلاّ أنّنا لا نقول عنه مطلقاً أنه اثنان، بل إنسان واحد، وكل أعماله ننسبها إلى هذه الطبيعة الواحدة، كذلك نقول عن الطبيعة اللاهوتية والناسوتية، وكل ما كان يفعله المسيح كان ينسب إليه كله، وليس إلى لاهوته وحده أو إلى ناسوته وحده**»[١].

ويبقى هناك سؤال أخير بالغ الأهمية موجه إلى القائلين بالتجسد عامة، سواء قالوا بالطبيعة الواحدة أو الطبيعتين وهو: هل يمكن اتحاد الإله اللامتناهي مع موجود متناهي أم هو أمر مستحيل؟

وللإجابة على هذا السؤال يقول البابا شنودة: «**إنّ هذه الوحدة بين الطبيعة الإلهية والطبيعة الناسوتية أمر ممكن، وإلاّ ما كان ممكن أن تتم (!!) أنها أمر كان في علم الله منذ الأزل**» ويضيف قائلا: «**إنّ أحد الآباء فيما تأمل في قول الكتاب ما لم تره عين ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه**» (اكو ٢ : ٩) وهي عبارة تقال عن النعيم الابدي... هذا الأب قال: هذا الذي لم يخطر على قلب بشر، أن يصير الله إنساناً ويصلب ويموت لأجلنا، لكي يفتدينا ويشترينا بدمه.

وقال أب آخر: «**إنّ حضور الله في خليقته يكون بثلاثة أنواع: إما حضور عام بحكم وجوده الإلهي في كل مكان، أو حضور بنعمته في قديسيه، أما النوع الثالث الفريد الذي لم يحدث سوى مرة واحدة، فهو وحدته باقنومه في المسيح، حينما اتحدت طبيعته الإلهية بطبيعة بشرية في رحم العذراء**»[٢].

فهذه هي تعاليم الطبيعة الواحدة الخاصة بالمسيح، وسنشير إليها لاحقاً عند

---

(١) نفس المصدر: ١٤.

(٢) طبيعة المسيح: ١٨.

الحديث عن المواجهة بين الأسقفين الخصمين: كيرلس الاسكندري (القائل بالطبيعة الواحدة) ونسطور القسطنطيني (القائل بالطبيعتين) وانعقاد مجمع افسس سنة ٤٣١ ميلادي.

ثانياً: عقيدة الطبيعتين (christologie dualiste)

قد تزعمت ـ كما ذكرنا ـ كنيسة أنطاكية هذا التعليم الكرستولوجي، وقد اتبع معلمو هذه المدرسة التيار العقائدي الذي يدعى (اللوغوس ـ انثروبوس، أي اللوغوس ـ إنسان) (logos - anthropos)، إذ أنّ المدرسة الأنطاكية ترى في شخص المسيح إنساناً كاملا، فهو جسد وروح بشريان ثم اللوغوس، وقد شدد آباء الكنيسة في أنطاكية على وجود طبيعتين للمسيح، الطبيعة البشرية (الناسوت) والطبيعة الإلهية (اللاهوت)، فالتجسد هو تجسد الله في إنسان كامل التكوين وهو المسيح،وهاتان الطبيعتان متميزتان الواحدة عن الأخرى، فالمسيح هو ابن الله وابن الإنسان، فالذي كان يعمل المعجزات والآيات هو الله، والذي كان يتألم ويجوع ويعطش ويموت هو الإنسان يسوع الناصري، ولذلك فقد رفض بعض معلمي أنطاكية القول **«أنّ الله وُلِدَ من مريم العذراء أو كان طفلا أو تألم أو مات، بل قالوا بأنّ مريم هي أم يسوع الإنسان، فالذي كان طفلا أو تألم أو مات هو يسوع وليس الله»**[١].

ويعتبر البعض أنّ الذي دفع بالكنيسة الأنطاكية إلى اتخاذ هذا النوع من التعليم هو رغبتها في مقاومة تعاليم الاسكندرية القائلة بوجود طبيعة واحدة للمسيح، وخشيت أن يؤدي هذا القول إلى إنكار الطبيعة الإنسانية البشرية في المسيح، ولا سيما تعاليم أبوليناريوس التي كانت تنادي بعدم وجود روح بشرية في المسيح، وقد كان لكل من التيارين أتباع وأنصار، فالتيار الأول كان أتباعه هم معلمو

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ٢ : ٦٦.

المدرسة الاسكندرية، والتيار الثاني أنصاره آباء مدرسة أنطاكية، ولكن الذي قاد الاتجاهين في بداية القرن الخامس هما: كيرلس الاسكندري، ونسطور القسطنطيني، وقد اشتد النزاع بينهما مما دفع الامبراطور ثيودوسيوس الثاني إلى طلب انعقاد مجمع تكون كل الكنائس والأقاليم ممثلة فيه، فكان مجمع أفسس سنة ٤٣١ ميلادي، وقبل الإشارة إلى هذا المجمع يجدر بنا أن نتحدّث باختصار عن بعض الآباء الذين وقفوا ضد تعاليم أبولوناريوس، ونخص بالذكر منهم ديودوريوس الطرسوسي وثيودورس المصِّيصي.

ثالثاً: ديودورس الطرسوسي (diodore of tarsus)

أصبح أسقفاً على مدينة طرسوس سنة ٣٧٨ م، وقد حضر المجمع المسكوني الثاني سنة ٣٨١ م،لقب فيه بلقب بطل الإيمان، ولكن بعد ظهور النسطورية ومعارضة كيرلس لها، اعتقد هذا الأخير بأنّ جذور النسطورية ترجع إلى ديودوريوس الطرسوسي، وقد أصدر مجمع القسطنطينية سنة ٤٩٩ كلمات ضد تعاليمه[١].

ويعتقد ديودورس أنّ اللاهوت سوف يُنتقص إذا كوّن الكلمة والجسد اتحاداً جوهرياً (substial) أو أقنومياً مشابهاً لذاك الذي ينتج عن اتحاد الجسد والنفس العاقلة في الإنسان، ولذلك رفض هذا النوع من الاتحاد، وقد دفعه هذا الرفض لهذه الفكرة إلى الفصل بين اللاهوت والناسوت، وهذا الفصل بدوره أوصله إلى التمييز بين ابن الله وابن داود، وقال: «**إنّ الكتب المقدسة تضع حداً فاصلا بين أفعال الابنين، فلماذا يحصل من يجدفون على ابن الإنسان على الغفران، بينما من يجدفون على الروح**

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ٢ : ٧٤.

(الروح القدس) لا يحصلون على الغفران؟»[١].

وعلى أساس هذا الفصل والتمييز بين ابن الله وابن داود، فإنّه رفض بشدة أن يقال عن مريم أم يسوع بأنّها (والدة الله أو الكلمة اللوغوس) فهي لم تلد إلاّ الإنسان المسيح بن داود، ولمحاربته الهرطقة الابولونارسية عن الطبيعة الواحدة، قال: إنّ عملية التجسد هي اتحاد ابن الله مع ابن داود، ولكن على أن يبقى كل واحد من هذين الابنين محتفظاً بخواصه ومميزاته[٢].

رابعاً: ثيودوريوس (المصّيصي): (theodore of mopsueste)

ولد سنة ٣٥٠ م في أنطاكية مثل معلمه الأسقف ديودورس الطرسوسيي، وقد نُصب أسقفاً لمدينة موبسيوست سنة ٣٩٢ م،وبقي لمدة ٣٦ سنة أسقفاً في هذه المدينة إلى وفاته سنة ٤٢٨ م، وهو الآخر كان في حياته يحظى بسلطان واحترام عظيم، ولكن بعد وفاته وتحديداً سنة ٥٥٣ في مجمع قسطنطينية الثالث أصدر حكماً ضد تعاليمه وحرمانه[٣].

وقد فصل هو الآخر بطريقة واضحة وصريحة بين اللاهوت والناسوت، فالمسيح إله كامل وإنسان كامل، ويعتقد (أنّ الله اتخذ إنساناً كاملا تاماً يستخدمه كأداة لخلاص البشرية، والله قد سكن في هذا الإنسان بالإرادة الصالحة، وقد اتحد به اتحاداً خارجياً فقط، وقد استخدم عبارة اتصال (conjoining) بدلا من كلمة اتحاد (union)، وبهذا فقد جعل في المسيح شخصين أحدهما إلهي والآخر إنساني، وقد كوّنا معاً شخصاً واحداً هو شخص الاتحاد (الاتحاد الخارجي) مشبهاً إياها

---

(١) المسيحية عبر تاريخها في المشرق: ١٩٥.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ٢ : ٨٦.

(٣) نفس المصدر: ٩١.

باتحاد الرجل بالمرأة»[١].

فهذا باختصار تعاليم ديودورس وثيودورس حول طبيعة المسيح والتي ستتجلى بشكل أوضح وأتمّ في تعاليم تلميذهم نسطوريوس كما سنرى.

خامساً: نسطوريوس: (nestorius)

ولد في الربع الأخير من القرن الرابع، ويقال من أبوين سوريين أو فارسيين، وقد درس العلوم ومبادئها في مسقط رأسه (مرعش)،ثم انتقل إلى أنطاكية حيث أخذ العلوم الدينية عن ثيودوروس الموبسوستي، والتحق بدير أبربيوس (euprepius) في ضواحي أنطاكية، ثم نصّب كاهناً وفي سنة ٤٢٨ اختير رئيس أساقفة القسطنطينية، وقد خاطب الامبراطور في يوم تتويجه قائلا: **«أعطني بلاداً خالية من الهرطقة أقدم لك السموات بديلة، واستأصل الهراطقة لنا نستأصل الفرس معك»**[٢].

وقد كان نسطوريوس مندفعاً في الإيمان فأصدر أمراً بإغلاق كنيسة الآريوسيين في القسطنطينية في الأسبوع الأول من رئاسته في محاولة منه لاستئصال جذور الانحراف في الكنيسة.

وقد ظهر في رئاسته مشكلة عقائدية جديدة لم تكن مطروحة إلى ذلك الوقت بصورة واسعة وجدية، وهي عقيدة **«والدة الإله»** أي أم الله وهو لقب للعذراء مريم، والمؤرخون المسيحيون يرون أنّ نسطوريوس عندما جاء إلى القسطنطينية أحضر معه شماساً يدعى **«أناستاسيوس»** وكلفه بمهمة الوعظ والتعليم، بل اعتبره المستشار الشخصي له في كثير من الأمور، وفي يوم من الأيام قام أناستاسيوس بإلقاء عظة

---

(١) المسيحية عبر تأريخها في المشرق: ١٩٦.

(٢) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١: ٣٠٨.

عن أمومة العذراء مريم لله، وقال: «**لا يجب أن ندعو مريم أماً له (ثيوتوكوس theotokos) لأنّها بشر، ومن المستحيل أن يولد الله من مخلوق بشري**»[1].

وقد أيّد نسطور هذه الفكرة بل ودافع عنها، وكان يعتقد أنّ هذا الاصطلاح «**والدة الله**» لم يرد في الأسفار المقدسة وأنّ الآباء لم يستعملوه في نيقية، وظهر هنا حزبان: حزب يرفض آراء أناستاسيوس وقد أصرّوا على اللقب «**والدة الإله**» للعذراء مريم، وآخر رفض هذا اللقب وقال بأنّها مجرد «**والدة إنسان**»، وعرضت المشكلة على نسطور، فرأى في الاصطلاح «**والدة الإله**» خلطاً بين اللاهوت والناسوت، فاقترح عبارة ولقب يرضي الطرفين، فقال بلقب «**والدة المسيح**»، معتقداً بأنّ هذا اللقب سوف يحل هذه المشكلة المعقدة، وقد ألقى الكثير من العظات شارحاً لهذه العقيدة المريمية، ففي إحدى خطبه قال: «**إنّهم يسألون إن كان من الممكن أن تدعى مريم والدة الإله، لكن هل لله أم إذاً؟ في هذه الحالة يجب أن نعذر الوثنية التي تكلمت عن أمّهات للآلهة، لكن بولس لم يكن كاذباً حين قال عن لاهوت المسيح (عب٧:٣) أنه بلا أب، بلا أم، بلا نسب.**

لا يا أصدقائي، لم تحمل مريم الله... المخلوق لم يحمل الخالق، إنّما حملت الإنسان الذي هو أداة اللاهوت، لم يضع الروح القدس الكلمة، لكنه أمدّه من العذراء المطوبة، بهيكل حتّى يمكنه سكناه... أنا أكرّم هذه الحلة التي استفاد منها، من أجل ذاك الذي احتجب في داخلها ولم ينفصل عنها... أنا أفرّق الطبائع وأوحد التوقير.

تبصر في هذا الكلام، فإنّ ذاك الذي تشكل في رحم مريم لم يكن الله نفسه لكن الله اتخذه...»[2].

ومنذ ظهور تعاليم نسطور بدأ الصراع بينه وبين كيرلس رئيس أساقفة الاسكندرية، وقد يبدو للوهلة الأولى أنّ الصراع العقائدي بين نسطور ومعارضيه

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ٢: ١٦١.

(٢) المسيحية عبر تأريخها في المشرق: ١٩٧.

كان بسبب رفضه لقب «**والدة الإله**»، ولكن الحقيقة أنّ هذه المسألة لم تكن إلاّ واحدة من المشاكل العقائدية الكرستولوجية المعقدة، فقد ذهب نسطور إلى القول بوجود طبيعتين في شخص المسيح، وهما طبيعتان متميزتان الواحدة عن الأخرى، الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، ويضيف بأنّ الكتاب عندما يتحدث عن الميلاد، أو الآلام والموت، أو العطش والجوع فهو يشير إلى ناسوت المسيح وطبيعته البشرية، وعندما يتحدث عن المعجزات والقيامة وغيرها فإنّه يشير إلى لاهوت المسيح وطبيعته الإلهية.

ومن الكلمات التي أثارت غضب أسقف الاسكندرية كيرلس وأعلن ثورته العلنية المعارضة لتعاليم نسطور هذه الجملة «**إنّ مريم لم تلد اللاهوت... ولا يمكن أن أعبد إلهاً قد مات ودفن**»[1].

فهو يرفض اتحاد اللاهوت والناسوت في شخص المسيح، ويعتقد أنّ اللاهوت حلَّ فقط في الناسوت، أي أنّ الكلمة (اللوغوس) حلّ في الإنسان يسوع المسيح واتحد به اتحاداً مشابهاً لحلول الروح القدس في المؤمن، ولذلك لا يمتاز المسيح عن الذين حلّ فيهم روح الله إلاّ في كونه قد حصل على كمال اللاهوت الذي حلّ فيه، فشخصية المسيح بشرية محضة تحت تسلط اللاهوت الذي له منزلة شخصية أخرى مستقلة[2].

والظاهر أنّ نسطور يؤمن بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت في شخص المسيح، ولكن هذا الاتحاد هو اتحاد خارجي فقط في الصورة، لا اتحاد حقيقي، وهناك نصوص منسوبة إلى نسطور في كتاب منسوب إليه باسم (بازار هيراقليدس bazar

(١) تأريخ الفكر المسيحي ٢: ١٨٧.

(٢) نظام التعليم في علم اللاهوت القويم ١: ٢٠٤.

(of heracleides)[١] تبين بوضوح اعتقاده في المسيح وطبيعته وكيفية الاتحاد ومنها:

١ ـ هما شخصان (الكلمة والإنسان): (two prosopa) شخص ذاك الذي ألبَس وشخص (الآخر) الذي لَبس.

٢ ـ لذلك فإنّ صورة الله هي التعبير التام عن الله في الإنسان، فصورة الله المفهومة من هذا المنطلق يمكن أن نظنها الشخص الإلهي، الله سكن في المسيح وكشف ذاته للبشر من خلاله، من أنّ الشخصين هما في الحقيقة (صورة واحدة) لله.

٣ ـ يجب أن لا ننسى أنّ الطبيعتين تستلزمان أقنومين وشخصين متّحدين فيه بفرض بسيط (simple loan).

سادساً: المواجهة بين كيرلس ونسطور:

كان كيرلّس أسقفاً للاسكندرية من سنة ٤١٢ ميلادي، وقد أحس بخطر تعاليم نسطور على العقيدة المسيحية، ولا سيما أنّ تعاليم نسطور بدأت تنتشر سريعاً في مختلف المناطق حتّى وصلت إلى رهبان مصر (الاسكندرية)، ولهذا فقد أرسل كيرلّس خطاباً عقائدياً إلى هؤلاء الرهبان، وقد فنّد فيها تعاليم نسطور من دون ذكر اسمه مكتفياً باقتباس بعض فقرات عظاته التي نشرها، وقد انتشرت هذه الرسالة مع أنّها كتبت إلى رهبان مصر في خارج مصر،حتّى وصلت إلى نسطور نفسه، فغضب وانزعج نسطور من هذه التعاليم المخالفة لتعاليمه، ويقال إنّ عظته رقم (١٠) كانت عبارة عن ردّ عنيف على الرسالة العقائدية التي بعثها كيرلس لرهبانه في مصر، وقد استخدم فيها بعض العبارات العنيفة والجارحة لأسقف الاسكندرية[٢].

---

(١) المسيحية عبر تأريخها في المشرق: ١٩٩.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ٢: ٢٠٤.

ولم ينتهِ الأمر إلى هذا الحد فقد كتب كيرلّس رسالة أخرى في سنة ٤٢٩ إلى نسطور مباشرة، ولكن نسطور لم يعلق بشي على هذه الرسالة إلاّ بعبارة قصيرة تفهم كيرلّس بأنّه قد تلقى رسالته، واعتبر كيرلّس هذا الصمت وعدم الرد إهانة له[١].

وقد بعث كيرلس برسالة ثانية إلى نسطور وهي مشهورة في تاريخ العقائد، ويقال إنّه كتبها سنة ٤٣٠ يحدد فيها العقيدة المسيحية الصحيحة حول شخصية المسيح فيقول بعد مقدمة طويلة: **«الكلمة لم تصر جسداً بطريقة تجعل طبيعة الله تتغير أو تتحول، بل إنّ اللوغوس اتحد اقنومياً مع الجسد المتحرك بالنفس العاقلة، وهكذا صار إنساناً بطريقة يتعذر تفسيرها.**

إنّ الطبيعتين المتميزتين قد اتحدتا في اتحاد حقيقي، ولكنه لم يخفِ (يلاشيء) الاختلاف في الطبيعتين، فاللوغوس اتحد مع الطبيعة البشرية في رحم مريم، وهكذا ولد بعد أن أخذ جسداً، وهكذا أيضاً تألم، وحيث إنّ اللوغوس في نفسه غير قابل للألم، فقد احتمل هذا في الجسد الذي اتخذه»[٢].

وقد رفض نسطور هذه التعاليم، ولكنه هذه المرة أجاب على رسالة كيرلس برسالة وضّح فيها تعاليمه حول شخصية المسيح فقال: **«ينبغي ألاّ نقول إنّ الله وُلد وتألم، أو أنّ مريم كانت والدة الإله، لأن ذلك يعتبر تعليماً وثنياً، فعندما يتكلم الإنجيل عن موت المسيح لا يقصد به موت اللاهوت أو الله، لأنّ لفظ المسيح يعني اللاهوت والناسوت، فهو إذن قابل للموت وغير قابل للموت، فلاهوته غير قابل للموت، ولكن ناسوته قابل للآلام والموت، وعندما يتكلم الإنجيل عن التجسد، فإنّه ينسب الميلاد للناسوت دون اللاهوت، ولذا يجب أن ندعو العذراء مريم القديسة أم المسيح لا أم الله»**[٣].

---

(١) نفس المصدر: ٢٠٥.

(٢) المسيحية عبر تأريخها في المشرق: ٢٠٠.

(٣) تأريخ الفكر المسيحي ٢ : ٢٠٧.

سابعاً: مجمع روما (٤٣٠):

عندما كتب كيرلّس رسالة إلى بابا روما كيلستين يوضح فيها هرطقة نسطور، وكتب نسطور أيضاً إلى البابا رسالته توضح تعاليمه ويثبت فيها براءته، قرر البابا عقد مجمع في روما وذلك سنة ٤٣٠ ميلادي، وقد حكم المجمع على تعاليم نسطور وطلب منه تحت التهديد أن يبدّل عقيدته وينكر أفكاره، ومنح مدة عشرة أيام للرجوع عن انحرافاته وذلك باعتراف مكتوب، وكانت هذه الرسالة التي أرسلت إلى نسطور شديدة اللهجة لاذعة النقد، وقد أرسل البابا تفويضاً لكيرلّس في إصدار حكم علني ضد نسطور، وقد فرح كيرلّس أسقف الاسكندرية بهذا الحكم، وقد جمع أساقفة الاسكندرية في مجمع سنة (٤٣٠) للنظر في قرارات مجمع روما، وقد اقترح على المجتمعين اثني عشر حرماناً ضد نسطور وتعاليمه، وعندما أرسل كيرلّس رأي بابا روما حول تعاليمه أضاف إليها رسالة عقائدية طويلة وختمها باثني عشرة حرماناً (هي تلخيص لتلك الرسالة العقائدية) وطلب من نسطور التوقيع على هذه الحرمانات[١].

لقد رفض نسطور بشدة هذه العقائد والحرمانات، وكتب للإجابة عليها هو الآخر اثنا عشر حرماناً يوضح فيها تعاليمه وعقائده (يعتقد البعض أنّ الكاتب لهذه الحرمانات لم يكن نسطور بل هو أحد تلامذته) ويتهم فيها كيرلّس بالهرطقة.

وتعتبر هذه البنود الاثنى عشر ملخص لكل التعاليم الكرستولوجية حول حقيقة المسيح إلى ذلك الوقت، بل الأساس للعقيدة المسيحية إلى يومنا هذا، ولأهميتها الكبيرة سنذكرها باختصار حسب ما جاء في كتاب «**مجموعة الشرع الكنسي**» وهي:

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ٢: ٢٢٠.

ابسالات (تحريمات) كيرلّس:

١ ـ ليكن مبسلا كل من لا يعترف أنّ عمانوئيل هو إله حق، وأنّ العذراء القديسة هي لذلك والدة الإله لأنّها بحسب الجسد، ولدت كلمة الله الذي صار جسداً كما كتب «والكلمة صار جسداً»، (يوحنا: ١ : ١٤).

٢ ـ ليكن مبسلا كل من لا يعترف أنّ كلمة الله الأب متحد أقنوميا بالجسد، وأنه بذلك الجسد خاصته هو نفسه المسيح الواحد الإله والإنسان معاً في الوقت نفسه.

٣ ـ ليكن مبسلا كل من يقسّم الطبيعتين في المسيح بعد اتحادهما، ويجعل اتحادهما ارتباطاً لا غير من جهة الاستحقاق أو السلطة أو القوة لا اتحاداً طبيعياً.

ابسالات (تحريمات) نسطوريوس:

١ ـ ليكن مبسلا كل من يقول أنّ عمانوئيل هو إله حق وليس (الله معنا) فحسب، أعني أنه وحّد بين ذاته وطبيعة مشابهة لطبيعتنا وهي التي اتخذها من العذراء مريم وسكن فيها وكل من يدعو مريم والدة الإله الكلمة وليس والدة الذي هو عمانوئيل، أو كل من يدعي أنّ الله الكلمة قد غيّر نفسه إلى جسد وهو الذي اتخذه ليجعل لاهوته منظوراً على شكل إنسان أو شبهه.

٢ ـ فليكن مبسلا كل من يؤكد أنه في اتحاد الكلمة بالجسد انتقل الجوهر الإلهي من مكان إلى آخر، أو يقول أنّ الجسد يمكن أن يقبل الطبيعة الإلهية، وأنها اتحدت اتحاداً جزئياً بالجسد، وكل من ينسب إلى الجسد بقبول الله امتداداً إلى غير المحدود وغير المحصور، ويقول إنّ الله والإنسان هما واحد من طبيعة واحدة.

٣ ـ ليكن مبسلا كل من يقول إنّ المسيح الذي هو عمانوئيل هو واحد ليس بالارتباط فحسب بل بالطبع أيضاً، وكل من لا يعترف أن اجتماع الطبيعتين: طبيعة.

٤ ـ ليكن مبسلا كل من يفرّق بين الشخصين أو الجوهرين في العبارات الواردة في الكتابات الإنجيلية والرسولية أو في أقوال القديسين فيما يختص بالمسيح أو في أقواله هو نفسه فيعزون بعضها إليه كأنه إنسان منفصل عن كلمة الله وينسبون بعضها الآخر إلى كلمة الله الأب باعتبار أنّها لا تليق إلاّ بالله.

٥ ـ ليكن مبسلا كل من يتجاسر فيقول إنّ المسيح هو إنسان متوشح بالله وليس هو الله حقاً حسب كونه الابن الوحيد بالطبيعة، لأنّ الكلمة صار جسداً واشترك مثلنا باللحم والدم.

٦ ـ ليكن مبسلا كل من يتجاسر فيقول إنّ كلمة الله الأب هو إله المسيح أو رب المسيح ويأبى أن يعترف به أنه هو نفسه إله وإنسان معاً حسب ما جاء في الكتاب المقدّس: «الكلمة صار جسداً».

٧ ـ ليكن مبسلا كل من يقول إن يسوع كإنسان إنّما يستمد القوة والحركة من كلمة الله وإن مجد الابن الوحيد ـ وإن نسب إليه ـ الكلمة وطبيعة الناسوت في الابن الواحد لا يزال اجتماعاً بدون امتزاج.

٤ ـ ليكن مبسلا كل من ينسب العبارات الواردة في الأناجيل ورسائل الرسل المشيرة إلى طبيعتي المسيح إلى إحدى هاتين الطبيعتين فقط، وكل من ينسب الألم إلى الكلمة الإلهي في الجسد واللاهوت معاً.

٥ ـ ليكن مبسلا كل من يجترى قائلا أنّه ليس هناك ـ حتّى بعد اتخاذ الطبيعة البشرية ـ إلاّ ابن واحد لله، أعني الذي هو هكذا بالطبيعة، الكلمة، في حين إنه منذ اتخاذه جسداً هو في الحقيقة عمانوئيل.

٦ ـ ليكن مبسلا كل من يجسر بعد التجسد أن يدعو أحداً آخر غير المسيح الكلمة، وكل من يتجاسر فيقول إنّ الخادم مساو لكلمة الله لا ابتداء له وهو غير مخلوق، ولا يقول إنّه قد أبدعه ربه وخالقه وإلهه الذي وعد بأن يقيمه من الموت بهذه الكلمات: «اهدموا هذا الهيكل فأبنيه في ثلاثة أيام».

٧ ـ ليكن مبسلا كل من يقول إنّ الإنسان الذي ولدته العذراء هو الابن الوحيد الذي ولد في حضن الأب «قبل كوكب الصبح ليس هو من خواصه».

٨ ـ ليكن مبسلا كل من يتجاسر فيقول إنّ الجسد المتخذ يجب أن يُعبد مع الله الكلمة ويُمجّد معه ويُعتبر وإياه معاً أنه الله ومع ذلك فهما شيئان يختلف أحدهما عن الآخر، ولا يقدم عبادة واحدة وتمجيداً واحداً لعمانوئيل إذ قد كتب «الكلمة صار جسداً».

٩ ـ ليكن مبسلا كل من يقول إنّ الرب الواحد يسوع المسيح قد تمجد بالروح القدس بحيث إنّه اتخذ منه قوة لم تكن قوته الخاصة واستخدمها ضد الأرواح النجسة وصنع بها العجائب أمام الناس ولا يعترف أنه بروحه الخاصة اجترح هذه الآيات الإلهية.

١٠ ـ ليكن مبسلا كل من يقول إنّه ليس الكلمة الإلهية نفسه الذي تجسد وصار إنساناً على شبهنا بل هو ذلك الإنسان الآخر المولود من امرأة، ولكنه يختلف عن باقي الناس وقد صار رئيس كهنتنا العظيم ورسولنا، وكل من يقول بأنّه قدم نفسه ولدتك» (مز ١٠٩ : ٣) ولا يعترف بأنه اتخذ هذا اللقب «الابن الوحيد» لعلاقته مع الذي هو بحسب الطبع «ابن الله الوحيد» وكل من يدعوه باسم آخر غير المسيح عمانوئيل.

٨ ـ ليكن مبسلا كل من يقول إنّ شكل الخادم يجب له، لذاته أي بحسب طبيعته الخاصة السجود، وأنه سيد كل الكائنات

وأن ذلك ليس لمجرد علاقته بالقدوس الذي هو بحد نفسه طبيعة الابن الوحيد السائد على كل الكائنات ويجب له السجود.

٩ ـ ليكن مبسلا كل من يقول إنّ شكل الخادم هو من طبيعة مشابهة لطبيعة الروح القدس، وأنه ليس مديناً بالأحرى لوساطته في اتحاده منذ الحبل بالكلمة وأنه به يجترح عجائب الشفاء بين الناس ويحصل على قوة لطرد الشياطين.

١٠ ـ ليكن مبسلا كل من يدّعي أنّ الكلمة الذي صار منذ البدء رئيس كهنة ورسول إيماننا وقدم نفسه لأجلنا ولا يقول بالأحرى أنّ عمل عمانوئيل هو أن يكون رسولا، وكل من بمثل هذه الطريقة يقسم الذبيحة بين الذي اتحد (الكلمة) والذي ضحية عن نفسه أيضاً لا ضحية عنا وحدنا لأنّه وهو بدون خطيئة لم يكن بحاجة إلى تقدمة أو ذبيحة.

١١ ـ ليكن مبسلا كل من لا يعترف أن جسد الرب يعطي الحياة وأنه يخص كلمة الله الأب، بل يدّعي أنّ هذا الجسد هو لشخص آخر متحد معه (أي مع الكلمة) بالكرامة فحسب، وأنه قد اتخذ مسكناً للاهوت ولا يعترف بالأخرى كما نعترف نحن أنّ الجسد يعطي الحياة لأنّه جسد الكلمة الذي يعطي الحياة للكل.

١٢ ـ ليكن مبسلا كل من لا يعترف أنّ كلمة الله تألم بالجسد، وصلب بالجسد، وبالجسد نفسه على هذه الصورة ذاق الموت وصار باكورة الناهضين من الأموات، لأنّه هو إله، هو الحياة وهو المحيي.

أُتّحد به (الناسوت) مشيراً بذلك إلى بنوّة عامة أعني أنه لا يعطي لله ما هو لله وللإنسان ما هو للإنسان.

١١ ـ ليكن مبسلا كل من يقول بأنّ الجسد المتحد مع الله الكلمة هو بقوة طبيعته الخاصة يعطي الحياة في حين أنّ الرب نفسه يقول: «إنّ الروح هو الذي يحيي وأما اللحم فلا يفيد شيئاً»، (يوحنا ٦: ٦٤) إضافة «الله روح» (يو ٤ : ٢٤) فإذن فليكن مبسلا كل من يقول إن الله الكلمة بطريقة بشرية صار بجوهره جسداً ويصرّ على هذا القول بالنسبة إلى الرب المسيح، وهو نفسه قال لتلاميذه بعد قيامته «جسوني وانظروا لأنّ الروح لا لحم له ولا عظم كما ترون لي»، (لو ٢٤: ٣٩).

١٢ ـ ليكن مبسلا كل من يعترف بآلام الجسد وينسب هذه الآلام إلى كلمة الله كأنّه ينسبها إلى الجسد الذي ظهر فيه وهكذا لا يميز بين كرامة كل من الطبيعتين[١].

(١) مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة: ٣٠٠ ـ ٣٢١.

ثامناً: مجمع أفسس(٤٣١) :

وهو المجمع المسكوني الثالث وقد عقد بأمر من الامبراطور ثيودوسيوس الثاني، وقد حدد تاريخ انعقاد هذا المجمع يوم ٧ يونيو (حزيران) سنة ٤٣١ ميلادي في مدينة أفسس[1]، وقد حضر كيرلّس إلى أفسس عاقداً النية على إزاحة خصمه نسطوريوس، وقد اصطحب معه تقريباً خمسين من الأساقفة المصريين المؤيدين له، وقد وصل نسطور وأتباعه أيضاً إلى أفسس، وذلك قبل افتتاح المجمع، وقد قُفلت أبواب الكنائس في وجه نسطوريوس وأتباعه، وفتحت على مصراعيها أمام كيرلّس وأتباعه، وقد تأخر وفد أنطاكية وروما.

وبالرغم من غياب الكثيرين من الأساقفة الذين دعاهم الامبراطور للحضور إلى هذا المجمع فقد أصرّ كيرلّس في افتتاح المجمع بالرغم من احتجاج نحو ستين من الأساقفة، بل ومندوبي الامبراطور، إلاّ أنّ كيرلّس افتتح المجمع وترأسه

في ٢٢ حزيران (يونيو) ٤٣١، وقد دعي نسطوريوس للحضور إلى المجمع فامتنع مع وجوده في مدينة أفسس، فدعي ثانية وثالثة فلم يحضر، فحكم عليه ثم تليت رسائل كيرلّس وبنوده الاثنا عشر ورسالة البابا كليستنيوس إلى نسطوريوس

---

(١) كانت تشتهر هذه المدينة بإكرامها العظيم للقديسة مريم الذي وصل أحياناً إلى درجة العبادة، وقد شيدت فيها أماكن أثرية على اسم مريم، بل وقبرها كان مكرماً بجوار قبر يوحنا الرسول، ولذلك دعيت شفيعة مدينة أفسس، والكنيسة الكاثوليكية تعتقد أن مريم العذراء صعدت إلى السماء مثل المسيح بجسدها، وقد أعلن البابا بيوس الثاني عشر هذه العقيدة سنة ١٩٥٠ وحدد يوم ١٥ (آب) من كل عام للاحتفال بهذا العيد. تأريخ الفكر المسيحي ٢ : ٢٣١.

فصدّق المجمع على هذه الأمور كلها[١].

وعزل نسطور بوصفه يهوذا الجديد الهرطوقي بموافقة مائتي أسقف، وبعد أيام وصل يوحنا أسقف أنطاكية وعندما سمع بأخبار المجمع وعزل نسطور تأسف كثيراً واعتبر الحكم من ظواهر الرعونة والاستبداد، ثم عقد مجمعاً مؤلفاً من ثلاثة وأربعين أسقفاً، وكان بينهم العديد من أنصار نسطور، فأدانوا كيرلّس وأصحابه، فلم يعد أحد يعرف من لم تتمّ إدانته من الأساقفة، ورأى ممثل الامبراطور لحل المشكلة أن يصنع الوفاق بين الجميع بعزل نسطور وكيرلّس معاً، لكن أسقف الاسكندرية كيرلّس نجح في العودة منتصراً إلى الاسكندرية، في حين قضى نسطور بقية حياته منفياً في الواحات الخارجة غرب طيبة[٢].

ولكن هذا المجمع لم ينهِ الخلاف، بل ترك بعده كنيسة ممزقة ومنقسمة، واشتد العداء بين الاسكندرية وأنطاكية، وتحطمت أواصر الشراكة بين الطرفين، وقد سعى الامبراطور جاهداً لإعادة السلام والوئام بين الكنائس، وقد استطاع أخيراً في سنة ٤٣٣ ميلادي من إحلال الوفاق بين يوحنا الأنطاكي وكيرلّس الاسكندري، وقد أرسل يوحنا أسقف أنطاكية رسالة ووثيقة يعلن فيها إيمانه المطابق لإيمان كيرلّس، وقد فرح كيرلّس كثيراً بهذا الانتصار، وفي رسالته هذه اعترف يوحنا الأنطاكي بأنّه تم الاتحاد بين الطبيعتين في المسيح، وبسبب هذا الاتحاد نعترف بأنّ القديسة مريم هي والدة الله «**ثيوتوكوس**» لأنّ كلمة الله صار إنساناً، وقد ورد في نص الرسالة ما يلي:

«نعترف أنّ ربنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد، هو إله كامل وإنسان كامل ذو نفس عاقلة وجسم، وهو مولود من الأب قبل كل الدهور بحسب لاهوته، وأنّه هو نفسه في الأيام الأخيرة...

---

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى: ٣١٧.

(٢) دليل إلى قراءة تأريخ الكنيسة ١: ١٢٦.

ولد من مريم العذراء بحسب ناسوته... وقد حدث اتحاد بين الطبيعتين... وبحسب هذا الفهم للاتحاد بدون اختلاط نعترف بأنّ العذراء مريم هي «والدة الإله» لأنّ الله الكلمة قد تجسد وتأنس، ومنذ الحمل به اتّحد بالهيكل الذي أخذه منها...»[١] .

تاسعاً: مجمع خلقيدونية (٤٥١):

وهو المجمع المسكوني الرابع، وكانت أسباب انعقاده هي ظهور تعاليم كرستولوجية جديدة اعتبرت انحرافاً عن التعليم المسيحي القديم، فإنّ الوحدة التي تحققت في سنة ٤٣٣ ميلادي لم تنجح في تثبيت الاستقرار والوحدة الكاملة بين أتباع نسطور ويوحنا الأنطاكي وبين كيرلّس وأتباعه، فقد كانت هناك ردود فعل متباينة لدى بعض أنصار الفريقين، إذ قبله البعض ورفضه البعض الآخر، بل كان الخلاف والصراع في رفض أو قبول هذا الاتحاد وتعاليم الإيمان الجديدة عنيفاً قاسياً، فبرغم المعاهدة التي وقعت سنة ٤٣٣ م بقي بعض المتطرفين من الحزبين على تعاليمهم السابقة، بل دفعتهم إلى المبالغة في شرح وتفسير هذه التعاليم، والعمل على نشرها بكل الطرق والوسائل، فأتباع كيرلّس رأوا في هذه المعاهدة خيانة لتعاليم الطبيعة الواحدة التي دافعوا عنها، واعتبروها خيبة أمل وتراجع من كيرلّس عن التعليم المستقيم الذي قرر في مجمع أفسس والقائل بالطبيعة الواحدة للمسيح، وشكّلوا جبهة مقاومة ضد التعاليم النسطورية[٢] .

ومن جانب آخر فقد انتقد أنصار نسطوريوس المتطرفون يوحنا الأنطاكي ونسبوا إليه خيانة نسطور وتعاليمه، وقد شكّلوا هم أيضاً جبهة وحزباً قوياً في

---

(١) المسيحية عبر تأريخها في المشرق: ٢٠٤.

(٢) تأريخ الفكر المسيحي ٣: ١٨٢.

سوريا[١].

وكردّ فعل على النشاط النسطوري في الشرق ظهر تعليم متطرف في الدفاع عن عقيدة الطبيعة الواحدة المتجسدة، وذلك في شخص **«أوطيخا»** رئيس دير أيوب بالقسطنطينية، الذي كان يشرف على (٣٠٠) راهب لمدة تزيد عن الثلاثين عاماً[٢].

وقد حارب أوطيخا الراهب النسطورية بكل قوته، ولم يكن هدفه محو النسطورية والنساطرة فقط، بل تعدى الأمر إلى محاربة كل الذين وقّعوا معاهدة الوحدة والصلح سنة ٤٣٣ ميلادي، وذلك باستخدام نفوذه لدى الامبراطور، إلى أن أصدر البلاط الامبراطوري سنة ٤٤٨ قراراً مؤكداً على القرار السابق الذي أصدره سنة ٤٣٥ م الذي أمر بموجبه بحرق الكتب النسطورية أينما وجدت وتحريم تعاليمه[٣].

وقد انتشرت الهرطقة المعروفة باسمه، والنقطة الأساسية والجوهرية في تعاليمه هي إيمانه بوجود طبيعتين للمسيح قبل التجسد، وطبيعة واحدة بعد التجسد، فقد فهم عملية التجسد كما لو كانت عملية اختلاط وامتزاج بين الطبيعتين، فالطبيعتان الموجودتان المنفصلتان قبل التجسد صارتا طبيعة واحدة بعد التجسد[٤]. يعني أنّ الناسوت قد ذاب في اللاهوت، مثلما تذوب نقطة الخل في المحيط، أي أنّ الطبيعتين قد امتزجتا معاً في طبيعة واحدة، ومن هنا جاءت تسمية أوطيخا **«مونوفيزيتس»** لأنّ عبارة **«مونوفيزيتس»** تعني **«طبيعة وحيدة»** وليس **«طبيعة واحدة»**

---

(١) تأريخ الكنيسة المسيحية / سمير نوف: ٢٦١.

(٢) المسيحية عبر تأريخها في المشرق: ٢٠٩.

(٣) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ : ٣٢٣.

(٤) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ١ : ١٢٨.

أي **«ميافيزيس»**(١).

وقد عارض الكثير من الأساقفة تعاليم أوطيخا، وعلى رأسهم ثيودوريطس أسقف قورش في سوريا، وقد ألّف كتاباً بعنوان (**ايرانيست** eranisyes) أي **«الشحاذ»**، برهن فيه على هرطقة أوطيخا ومع أنه لم يستهدف شخصاً معيناً، ولكنه كان يقصد به **«أوطيخا»** وتعاليمه بلاشك، وقد راج هذا الكتاب في الأوساط الدينية(٢).

وقد عقد مجمع محلي في سنة ٤٤٨ م في قسطنطينية برئاسة فلابيانس أسقف القسطنطينية، أُدين فيه أوطيخا وعزل وحرم، وذلك بعد حضوره للمجمع ورفضه الإقرار بالإيمان بصيغة **«طبيعتين من بعد الاتحاد»** وهي الصيغة التي أقرّت لأول مرة في هذا المجمع(٣).

ولكن الراهب المتنفذ أوطيخا لم يقبل حكم هذا المجمع، فقدم شكوى ضد هذا المجمع إلى الامبراطور ثيودوسيوس الثاني صديقه والمقرّب لديه، فدعا الامبراطور إلى عقد مجمع يحضره أنصار أوطيخا وحدهم تقريباً، وذلك في سنة ٤٤٩ م في مدينة أفسس، وقد حضره (١٥٠) أسقفاً برئاسة الباب ديوسقورس الاسكندري الذي حضر مع جمع من الرهبان المتحمسين، وأثناء جلسة عاصفة وخلال البحث دخل جمهور الرهبان الكنيسة صاحئين: **«اشطروا إلى قسمين الذين يقسمون طبيعتي المسيح إلى اثنين»**(٤).

وقد عزل ديوسقورس فلابيانس أسقف القسطنطينية وكل الذين يقولون

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ٣: ١٩٣.

(٢) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١: ٣٢٩.

(٣) المسيحية عبر تأريخها في المشرق: ٢٠٩.

(٤) تأريخ الكنيسة المسيحية / سمير نوف: ٢٦٥.

بالطبيعتين، وأصيب فلابيانس في هذا المجمع بعد مشاجرة تدخل فيها البوليس، ومات بعدها بقليل[١].

وقد أمر ديوسقوروس بحرق مصنفات ثيودوريطس أسقف قورش ولاسيما كتابه «**الشحاذ**» واتهم بالنسطرة وخُلع من كرسي الأسقفية وتم إبعاده، وقد سمي هذا المجمع فيما بعد «**بالمجمع اللصوصي**»[٢].

وعندما تناهت أخبار هذا المجمع إلى أسماع البابا لاون الكبير بابا روما، رفض بشكل قاطع قرارات مجمع أفسس اللصوصي، فطلب عقد مجمع مسكوني، ورفض الامبراطور ثيودوسيوس هذا الطلب، ولكن الامبراطور في سنة ٤٥٠ م سقط عن ظهر حصانه ومات، ولم يكن له ولد فاستلمت أخته زمام الأمور وتزوجت من مركيانوس قائد الجيش الذي توج امبراطوراً، وقدوافق الامبراطور الجديد على عقد مجمع جديد في نيقية وذلك سنة (٤٥١) م، ولكنه أصدر أمراً بتغيير المكان من نيقية إلى خلقيدونية لقربها من العاصمة، وقد طلب الامبراطور من البابا لاون الأول أن يرأس المجمع، ولكنه اعتذر وأرسل أسقف روما نائباً عنه وترأس المجمع، وكانت المرة الأولى التي يرأس فيها أسقف روما مجمعاً مسكونياً، ولسوف يصبح هذا الأمر فيما بعد شرطاً أساسياً للاعتراف بمسكونية أي مجمع[٣].

وقد حضر هذا المجمع بين (٥٥٠ ـ ٦٣٠) أسقف، وقد فاق هذا العدد من الحضور كل المجامع التي اجتمعت في تاريخ المسيحية إلى ذلك الوقت، وقد أرسل الامبراطور وفداً من الأشراف والقضاة والحكام والمسؤولين للاشتراك في إدارة

---

(١) دليل إلى قراءة تأريخ الكنيسة ١: ١٢٨.

(٢) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١: ٣٢٣.

(٣) دليل إلى قراءة تأريخ الكنيسة ١: ١٢٨.

المجمع[١].

وقد أقر المجمع الخلقيدوني رسائل كيرلّس الاسكندري، وكذلك رسالة البابا لاون العقائدية، وحكم على أوطيخا مجدداً بإدانته وعزله، وإلغاء قرارات مجمع أفسس الثاني ٤٤٩، وأيضاً عزل ديوسقورس الاسكندري، ونشرت صيغة للإيمان استلهمت من المجامع المسكونية السابقة (نيقية قسطنطينية) وكذلك من رسائل كيرلّس والبابا لاون، وقد حرّم المجمع كل من **«يعتقد بطبيعتين قبل الاتحاد وطبيعة واحدة من بعد الاتحاد»** والمقصود من هذا التحريم هو أوطيخا القائل بعقيدة الامتزاج بين الطبيعتين[٢].

والقانون الإيماني لمجمع خلقيدونية حول طبيعة المسيح وحقيقته يمكن اختصاره بما يلي:

«ربنا يسوع المسيح، هو ذاته كامل في اللاهوت، وهو ذاته كامل في الناسوت، وهو ذاته الله حقاً وإنسان حقاً، صار إنساناً بنفس عاقلة وجسد، له وللأب ذات الجوهر بحسب اللاهوت، وله ذات جوهرنا بحسب الناسوت، شبيه لنا في كل شيء ما خلا الخطيئة... نعترف به قائماً بطبيعتين، بلا تشويش ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال، واختلاف الطبيعتين لم يُمحَ - على الإطلاق - بالاتحاد، بل بالعكس تبقى خواص الطبيعتين سالمة، وتلتقي في أقنوم واحد (الابن)»[٣].

وقد حضر الامبراطور نفسه إلى المجمع بعد قبول المجتمعين لقانون الإيمان الجديد، وهدد كل من يقدم تعليماً وإيماناً مخالفاً لهذا القانون الإيماني بالعقاب والقصاص، أياً كان منصبه»[٤].

---

(١) تأريخ الفكر المسيحي ٣: ٢٥٣.

(٢) المسيحية عبر تأريخها في المشرق: ٢١٢.

(٣) دليل إلى قراءة تأريخ الكنيسة ١: ١٣٠.

(٤) تأريخ الفكر المسيحي ٣: ٢٧٥.

ولكن بعض الكنائس لم تقبل هذا القانون الإيماني الخلقيدوني، ورفضته رفضاً قاطعاً باعتباره مغايراً لقانون الإيمان النيقاوي، ومن هنا كان الانشقاق الأول بين الكنيسة، وما زالت بعض الكنائس إلى يومنا هذا ترفض القرارات الكرستولوجية لهذا المجمع ومنها كنيسة الأقباط الأرثوذكس.

المبحث التاسع: بدعة المشيئة الواحدة
في المسيح المونوثيليت (Mono Thelisme)

تمهيد:

بعد الاعتراف بأن المسيح هو نفسه إله كامل وإنسان كامل، وله طبيعتان إلهية وناسوتية، وعليه تكون الخواص الطبيعية لكل من الطبيعتين، أي مشيئتين اثنتين، إلهية وإنسانية، وفعلين اثنين، إلهي وإنساني، وحريتين اثنتين إلهية وإنسانية، (فهو مساو لله الأب في الجوهر ويشاء ويفعل بحرية الله، وبما أنه مساو للإنسان في الجوهر، فهو يشاء ويفعل بحرية كالإنسان نفسه، فالعجائب عجائبه، والآلام آلامه)[1].

وقد رأى بطريرك القسطنطينية سرجيوس ضرورة توحيد المسيحيين بعد أن كانت الكنيسة منقسمة إلى شطرين حينما رفضت بعض الكنائس الشرقية قرارات مجمع خلقيدونية.

فاقترح البطريرك على الامبراطور هرقل عبارة لاهوتية جديدة ظن أنها تستطيع إعادة الوحدة بين الكنائس المختلفة، فمجمع أفسس حدد ضد النسطورية أن يسوع المسيح هو شخص واحد لا شخصان، ومجمع خلقيدونية حدد أن فيه طبيعتين، فالكنائس رفضت قرار خلقيدونية لأنها رأت فيه عودة إلى النسطورية.

فارتأى سرجيوس أن يعيد الوحدة، فاستعمل عبارة «**الفعل الواحد للمسيح**»، أو

---

(١) المائة مقالة في الإيمان الارثوذكسي للقديس يوحنا الدمشقي: ١٧٥.

تعبير آخر «**القوة الفاعلة الواحدة للمسيح**» لذلك أطلق على نظريته اسم (**بدعة الفعل الواحد** Monoenergisme)[١].

أولا: صيغة المشيئة الواحدة سنة (٦٣٣):

في سنة ٦٣١ عيّن الامبراطور الأسقف كيروس بطريركاً على الاسكندرية، فعقد الأخير فيها سنة (٦٣٣) مجمعاً محلياً تم الاتفاق فيه على صيغة تعيد الوحدة إلى الكنائس المنقسمة، وقد نصّ البند السابع من تلك الصيغة على أنه:

«يمكننا اعتبار المسيح بطبيعتين، إنما نعني بذلك أنه هو نفسه تام في الألوهية وتام في ٢البشرية».

ثم يضيف البند: «**أن المسيح الواحد نفسه قد عمل الأعمال الإلهية والأعمال الإنسانية بفعل واحد إلهي - إنساني**»[٢].

وأرسلت هذه الصيغة إلى سرجيوس على شكل سؤال بشأن التعليم عن الإرادة الواحدة، فأجاب جواباً متساهلا وقال: إنه لم يصر في المجامع حلّ هذا السؤال، ولكن سمع بعض الآباء يقولون بأنه في المسيح الإله الحق فعلا واحداً محيياً.

وأضاف سرجيوس: «**إذا وجد عند آباء آخرين تعليماً آخراً يثبت إرادتين وفعلين فيجب الموافقة على التعليم الآخر (الإرادة الواحدة)**» فيظهر ميل سرجيوس إلى هذا التعليم[٣].

---

(١) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ١ : ١٧٩.

(٢) نفس المصدر : ١٧٩.

(٣) تاريخ الكنيسة المسيحية : ٢٧٩.

ثانياً: صفرونيوس:

وصل خبر تلك المداولات إلى راهب يدعى صفرونيوس وله من العمر ثمانون سنة، فرأى فيها تعاليم مناقضة لمجمع خلقيدونية، وذلك لأن الفعل مرتبط بالطبيعة لا بالشخص، وكل كائن يعمل بحسب طبيعته، وبما أن للمسيح طبيعتين فلابد أن يكون له أيضاً قوتان يعمل بهما[١].

فسافر إلى الاسكندرية وارتجى كيروس أسقفها بالعدول عن رأيه، وأوضح أن التعليم عن الإرادة والمشيئة الواحدة هو في جوهره تعليم الطبيعة الواحدة، فلم يقبل كيروس عرضه ولم يقتنع، وكذلك فعل مع سرجيوس وعبثاً حاول إقناعه بالعدول عن هذا الرأي، ولكنه لم ينجح أيضاً.

وفي سنة ٦٣٤ انتخب هذا الراهب بطريركاً على أورشليم، فكتب رسالة أوجز فيها أسس التعليم الصحيح في الثالوث الأقدس والتجسد والإرادة وبعث بها إلى البطاركة الآخرين[٢].

وقد أوضح صفرونيوس: **«أن يسوع هو شخص واحد، وهو نفسه يقوم بالأعمال الإلهية والأعمال الإنسانية.**

ويضيف: كما أننا لا نرى تناقضاً بين كونه إلهاً وكونه هو نفسه إنساناً، كذلك يجب أن لا نرى تناقضاً بين أعماله الإلهية وأعماله الإنسانية، ويختم الرسالة بقوله: إن المسيح بطبيعتين لكل منهما فعلها الخاص الذي تعمل به الأعمال المناسبة لها، فالفعل الإلهي يعمل الأعمال الإلهية، والفعل الإنساني يعمل الأعمال الإنسانية، إلاّ أن ذلك يتم بانسجام في العمل، دون انقسام، وفي الوقت نفسه دون اختلاط، لأنّ المسيح شخص واحد، وهو نفسه يقوم بالأعمال الإلهية

(١) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ١ : ١٨٠.

(٢) تأريخ الكنيسة المسيحية : ٢٧٩.

والإنسانية»[١].

ثالثاً: تفاقم الأزمة:

في سنة ٦٣٨ علّق الامبراطور هرقل في كنيسة آجياصوفيا في القسطنطينية بياناً عقائدياً كتبه البطريرك سرجيوس، وقد أوجز فيه تعليم الإيمان في المسيح، وحظر فيه استعمال عبارتي **«الفعل الواحد»** و **«الفعلين»** في المسيح، فالقول بالفعل الواحد ينتج منه إنكار الطبيعتين، والقول بالفعلين يقود إلى الاعتقاد بوجود إرادتين متناقضتين في المسيح الواحد.

يقول البيان:

«نقرّ ونعترف بمشيئة واحدة في ربنا يسوع المسيح الإله الحقيقي، بحيث إنه لم يحدث مرة واحدة أن جسده الذي تحييه نفس عاقلة تبع ميله الطبيعي، وعمل ما يناقض رغبة الإله الكلمة الذي كان متحداً به اتحاداً جوهرياً، بل إنه عمل دوماً ما أراده الإله الكلمة نفسه ومتى أراده مثلما أراده»[٢].

في الحقيقة أراد سرجيوس أن يوحد الكنيسة فخلق أزمة جديدة أحدثت بلبلة دامت زهاء نصف قرن،أي حتّى المجمع المسكوني السادس الذي عقد في القسطنطينية سنة ٦٨١.

وقد مرت هذه الأزمة بمراحل نوجزها على سبيل الاختصار:

١ ـ سنة ٦٤٠ توفي البابا هونوريوس وخلفه يوحنا الرابع، فعقد مجمعاً في رومة وحرّم بدعة **«المشيئة الواحدة»**.

٢ ـ سنة ٦٤٧ أعلن بولس بطريرك القسطنطينية الجديد إيمانه بمشيئة واحدة في

---

(١) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ١ : ١٨٠.

(٢) نفس الصفحة: ١٨٠.

المسيح.

٣ ـ سنة ٦٤٨ أصدر الامبراطور قسطنديوس الثاني قراراً عقائدياً يحظر فيه التكلم عن هذا الموضوع مكتفياً بأقوال الكتاب المقدّس وقرارات المجامع المسكونية السابقة.

٤ ـ سنة ٦٤٩ عقد البابا مرتنيوس المنتخب حديثاً مجمعاً في رومة، غير آبه لقرار الامبراطور، حضره ١٠٥ أسقفاً، وترأسه البابا بنفسه وأعلن فيه أنه كما أن في المسيح طبيعتين كذلك فيه مشيئتان، مشيئة إلهية ومشيئة إنسانية، وفعلان: فعل إلهي، وفعل إنساني.

٥ ـ سنة ٦٥٣ أمر الامبراطور بتوقيف البابا، فقبض عليه ونفي إلى القسطنطينية ثم إلى بلاد القرم حيث توفي سنة ٦٥٥، وقبض أيضاً على الراهب اللاهوتي مكسيموس الذي دافع دفاعاً مستميتاً عن عقيدة المشيئتين في المسيح، ونفي إلى القفقاز فتوفي هناك سنة ٦٦٢.

٦ ـ سنة ٦٧٨ بعث الامبراطور الجديد قسطنطين الرابع برسالة إلى بابا رومة يطلب منه إرسال مندوبين من قبله إلى القسطنطينية للتداول في أمر المشيئتين.

وصلت الرسالة إلى رومة بعد انتخاب البابا أغاثوس سنة ٦٧٩، فأراد البابا استشارة أساقفة الغرب في الموضوع، فعقد سنة ٦٨٠ مجمعاً في روما اشترك فيه ١٢٥ أسقفاً، أعلنوا إيمانهم بالطبيعتين والمشيئتين والفعلين في المسيح الواحد[1].

رابعاً: المجمع المسكوني السادس (٦٨١):

وقد عقد هذا المجمع في القسطنطينية، وأعلن بشكل رسمي عقيدة المشيئتين في المسيح، وبدأت أعمال المجمع في تشرين الثاني سنة ٦٨٠ وانتهت في أيلول سنة

(١) مجموعة الشرع الكنسي: ٤٩٤.

٦٨١، وبلغ عدد الجلسات الرسمية ثماني عشرة جلسة[١].

وبعد مناقشات طويلة وافق المجمع على التعليم التالي:

«نصرّح أن في المسيح مشيئتين وطبيعتين وفعلين طبيعيين بلا انقسام أو تحول أو انفصال أو اختلاط، كما جاء في تعليم الآباء القديسين، وهاتان المشيئتان لا تعارض إحداهما الأخرى، كما يزعم بإصرار المبتدعون الجاحدون، فمشيئته البشرية تخضع بدون مقاومة أو تلكّؤ للمشيئة الإلهية الكلية القدرة... إننا نعترف بصدور العجائب والآلام عن الشخص الواحد نفسه، ولكننا نعترف بأنها إما لهذه الطبيعة وإما للطبيعة الأخرى، وهو كائن بكلتيهما، وإن اجتمعت الطبيعتان معاً، فكل طبيعة منهما تشاء وتعمل ما تختص به، بدون انقسام ولا اختلاط ولا امتزاج، ولذلك نعترف بمشيئتين وفعلين متفقين أحسن اتفاق لخلاص الجنس البشري»[٢].

ولكن هذا لا يعني أنه لم تكن هناك معارضة من قبل البعض، فقد رفض مكاريوس بطريرك أنطاكية هذا التعليم قائلا: إن القول بالمشيئتين يعرضهما إلى الاختلاف والتناقض، ولكن الامبراطور أصرّ عليه القبول بتعليم المشيئتين، فرفض البطريرك مفضلا الموت قطعاً على القبول بالفعلين والمشيئتين»[٣].

الخلاصة:

لقد استعرضنا في هذا القسم ـ ولا سيما في الفصل الرابع ـ من بحثنا العقائد التاريخية في شخص يسوع المسيح عبر الأجيال في المسيحية، ولقد رأينا كيف أن الكنيسة الأولى والآباء الرسوليين وآباء القرون التالية وكل كنيسة وجماعة وفرد حاولوا بطريقة أو بأخرى الإجابة على سؤال المسيح لتلاميذه في قيصرية فيلبس:

---

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ٢ : ٤٦.

(٢) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ١ : ١٨٢.

(٣) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ٢ : ٤٩.

«من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟».

وفي محاولتهم للإجابة على هذا السؤال قدموا لنا تحليلات ميتافيزيقية ونفسية وتاريخية عن شخص يسوع المسيح، وفي تقديمهم لهذه الدراسات وفي مناقشاتهم في المجامع المحلية والمسكونية اختلفوا في الرأي، ولم يتفقوا على عقيدة واحدة موحدة.

فكانت آراؤهم وأجوبتهم على سؤال المسيح متنوعة ومختلفة، فإن البعض منهم رأى في المسيح إنساناً وإنساناً فقط. فقال: **«أنت يسوع الناصري ابن يوسف ومريم (أو ابن مريم) النبي الذي جاء لكي يقود الناس إلى طريق الحق».**

والبعض الآخر ذهب إلى القول: **«أنت اللوغوس الذي نزل من السماء، أنت إله مترفع عن كل خطيئة وشر، غير مادي، ولا صلة لك بالماديات حتّى ولو كنت تظهر لنا في جسد يشبه الجسد المادي».**

أما البعض الآخر فقد رأى فيه نبياً، لا بل أعظم من نبي، عاش حياة القداسة والبر والطاعة الكاملة لله، ولذلك فقد رفعه الله إلى درجة اللاهوت، وأعلن أنه ابنه الوحيد، وأنزل عليه الروح عندما تعمد، ومن هذه اللحظة صار المسيح ابناً لله بالتبني.

والبعض الآخر اعتقد بأن المسيح هو الابن الحقيقي لله، بل هو الله المتجسد، نزل إلى البشرية بلباس الناسوت في أحشاء القديسة مريم العذراء.

وبسبب هذا الاختلاف حول شخصية المسيح ظهرت التعاليم العديدة والمذاهب الكثيرة في المسيحية،فكل مدرسة أو طائفة أو كل أب ومعلم عقائد كان يعتقد بصدق وإخلاص أنه قد أصاب الحقيقة، وأن تعاليمه هي الصحيحة والمستقيمة، متهماً كل من يخالفه الرأي والعقيدة والتعليم بالهرطقة والحرمان.

وقد لاحظنا أنه في أحيان كثيرة، عندما كان يظهر تعليم كرستولوجي يقدمه

معلم، كان يظهر معلم آخر لمقاومة هذا التعليم، لأنّه كان يرى في التعليم الأول أنه قد جانب الصواب وانحرف عن التعليم الحقيقي، وكثيراً ما كان يسقط هو في انحراف وهرطقة أخرى، وعندئذ يظهر معلم ثالث أو جماعة أخرى تؤيد التعليم الأول وتتمسك بتعاليمه وتنادي بها، فتتمسك كل جماعة وطائفة من هذه الطوائف بمفاهيمها العقائدية، ومن هذه الطوائف تخرج طوائف أخرى.

ولأجل هذا السبب ثارت النقاشات، فالاختلافات، فالصراع العنيف القاسي، عندئذ اجتمعت المجامع المحلية والمسكونية لحل هذه المشاكل العقائدية، ولكن هذه المجامع هي الأخرى زادت في الطين بلّة، ومن هنا تحوّلت الاختلافات العقائدية إلى انقسامات وانشقاقات مريرة وقاسية،أدت في أحيان كثيرة إلى قتل ونفي وتشريد الكثير من الآباء والمعلمين.

ولهذا يمكن القول بأن المسيحية هي دين تاريخي، بمعنى أن عقائده لم تنتظم ولم تتألف إلاّ في قرون متمادية طويلة، ولا سيما فيما يختص بحقيقة المسيح، أي التعاليم الكرستولوجية فقد استمرت منذ القرن الثاني أو الثالث إلى القرن السابع إلى أن خرجت بصورتها النهائية الحالية، ولكن مع ذلك تعتقد كل طائفة من الطوائف المسيحية الرئيسية الثلاث (الكاثوليك ـ الارثوذكس ـ البروتستانت) بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أنها فقط التي تملك الحق والحق كله.

القسم الثاني

▣ حقيقة المسيح في الاسلام

ويتضمن مايلي:

الفصل الأول: قصة عيسى وأمه في القرآن

الفصل الثاني: التوحيد ومراتبه في الإسلام

الفصل الثالث: المسيح وألوهيته في الإسلام

الخاتمة

الفصل الأول: قصة عيسى وأمّه في القرآن

ويتضمن المباحث التالية:

تمهيد

المبحث الأول: حياة المسيح في القرآن

أولاً: قصة مريم في القرآن

ثانياً: قصة ولادة المسيح

ثالثاً: طفولة المسيح وشبابه

رابعاً: بعثته

خامساً: موقف اليهود من دعوته

سادساً: خاتمة حياة المسيح

سابعاً: نزوله في آخر الزمان

المبحث الثاني: ألقاب وصفات المسيح في القرآن

أولاً: ألقابه

ثانياً: صفاته

الفصل الأول: قصة عيسى وأمه عليهما السلام في القرآن

تمهيد:

لقد اولى الاسلام اهتماماً خاصاً بالأنبياء السابقين، وهذا ما نجده جليّاً سواء في القرآن الكريم، أم في الأحاديث الشريفة للنبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله، ولانبالغ ان قلنا بأنّ الاسلام نزّه ساحة الأنبياء عليهم السلام عن كل عيب ونقص وأثم وخطيئة، تنزيهاً لانشاهده في الأديان الاخرى، واعتبرهم افضل الناس جميعاً، وكرّمهم ايّما تكريم، ونقل قصص بعضهم بشكل مفصل في كتاب الله العزيز، كقصص آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ولكن بالرغم من هذا نجد أن القرآن الكريم اولى عناية خاصة بقصة المسيح عليه السلام وامّه قد لانرى لها مثيلاً في قصص باقي الأنبياء العظام عليهم السلام.

ولكي نقف على ما ذُكر حول حياة هذا النبي العظيم في الاسلام يجدر بنا البحث في مصدرين أساسين من مصادر الدين الاسلامي وهما: القرآن الكريم، والسنّة الشريفة لتكتمل لنا الصورة الواضحة لا لحياة المسيح كما بيّنها الاسلام، وسنتطرق اولا الى حياته كما نقلها لنا القرآن.

المبحث الأول: حياة المسيح عليه السلام في القرآن الكريم

كما أشرت آنفاً فأن القرآن أشار الى قصة المسيح عليه السلام وحياته بشكل مفصل، اذ انه تابع قصته من زمان ولادة أُمه العذراء مريم، وكيفية تلك الولادة المباركة ومكانتها العظيمة عند الله سبحانه، ويكفيها فخراً أنها هي المرأة الوحيدة التي ذكرها القرآن باسمها الصريح، اذ لم يذكر القرآن اسم امرأة بشكل صريح سواها، وقد ذكرها في اربع وثلاثين موضعاً بكل اجلال،و جعلها من المصطفين.

ولذلك يجدر بنا اولا ذكر قصة أم المسيح عليه السلام أي مريم العذراء في القرآن،ومن بعد ذلك نذكر قصة حياة المسيح عليه السلام في القرآن الكريم.

أولاً: قصة مريم في القرآن:

تبدء قصة مريم عليها السلام في القرآن عند ذكر أُمها،وهي أمرأة النبي عمران واسمها «حنّة»، ولم يرزقا ولداً، وكانت «حنّة» تحنُّ الى الاولاد، فتوجهت الى الله تعالى بالدعاء، فلم تمض مدة طويلة حتّى حملت[1].

وظنّت أن الجنين الذي هو في بطنها ذكر، ولذلك فقد نذرت ما في بطنها محرراً،قد أشار القرآن الى هذا النذر في قوله تعالى: **﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾**[2].

---

(١) حياة السيد المسيح في القرآن الكريم: ٢٧.

(٢) سورة آل عمران: ٣٥.

و المحرّر من التحرير وهو التخلص والخلاص من الوثاق وجعل الإنسان حراً كتحرير العبد وخلاصه من الرقية، والمراد به هنا هو: تحرير الولد من التبعية لوالديه أو أي شيء أخر والتفرغ لخدمة بيت الله تعالى للعبادة والعمل الصالح. وقيل: هو أنه جعل ولده بحيث لا ينتفع به الانتفاع الدنيوي المذكور في قوله عزوجل: (بنين وحفدة)[١] بل جعله مخلصاً للعبادة[٢].

ولكن المفاجأة جاءت عند ولادة «حنّة» اذ أنها انجبت انثى لا ذكراً كما كانت تظن، ويشير القرآن الكريم الى هذه المفاجئة بقوله **«فلما وضعتها قالت ربّ اني وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»**[٣].

وكلمة **«مريم»** في لغتهم تعني العابدة والخادمة على ما قيل، وهو اسم علم امرأة باللغة السريانية.

وقال في المفردات اسم اعجمي[٤]، ومنه يعلم وجه مبادرتها إلى تسمية المولودة عند الوضع، ووجه ذكره تعالى لتسميتها بذلك، فانها لما يئست من كون الولد ذكراً محرراً للعبادة وخدمة الكنيسة بادرت إلى هذه التسمية وأعدتها بالتسمية للعبادة والخدمة[٥].

ولكن الله تعالى تقبّل هذا المولود بالرغم من كونه انثى فقال تعالى: **«فتقبلها ربّها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا»**[٦] والقبول إذا قيّد بالحسن كان بحسب

---

(١) النحل: ٧٢.

(٢) مفردات الفاظ القرآن مادة هو: ٢٢٥.

(٣) آل عمران: ٣٦.

(٤) مفردات الراغب: ٧٦٦.

(٥) تفسير الميزان ٣: ١٧٢.

(٦) آل عمران: ٣٧.

المعنى هو التقبّل الذي معناه القبول عن رضا وهو من التشريف البارز، ومن المعلوم انه لم يقبل قبلها انثى بهذا المستوى من القبول المذكور[١].

والظاهر في آيات القرآن الكريم، والصريح من الاحاديث تشير الى أن مريمعليها السلام ولدت وهي يتيمة الأب، فعن الامام محمد الباقرعليه السلام أنها: **«ايتمت في ابيها»**[٢].

فجاءت بها أُمها الى بيت المقدّس وقدّمتها لعلماء اليهود وقالت: دونكم النذيرة، فتنافس فيها الاحبار لأنّها كانت بنت نبيّهم، واخيراً اتفقوا على اجراء القرعة بينهم، فجاؤا إلى نهر وأحضروا اقلامهم التي كانوا يقترعون بها وألقوها في الماء - على قاعدة أن الذي يطفو قلمه على سطح الماء فهو الرابح - فرست اقلام الجميع الاّ زكرياعليه السلام فصارت مريم في كفالته، وقد أشار سبحانه في كتابه الى كفالة زكريا لمريم بقوله: **«وكفلها زكريا»** والى القرعة بقوله تعالى: **﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾**[٣].

و قد نشأت السيدة مريم العذراء برعاية الله وتربيته لها، فقد ترعرعت ونشأت على عين الله تعالى وفي جوّ يعبق بالايمان والاخلاص والعبادة بعيدة عن الرذائل الخلقية والمفاسد الروحية، وقد كانت كثيرة الاجتهاد في عبادة الله تعالى حتّى فاقت الاحبار، يُنقل عن ابن عباس انه قال: **«لما بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل و تبتلت حتّى غلبت الاحبار»**[٤].

---

(١) مجمع البيان٢: ٢١٩.

(٢) بحارالانوار١٤: ١٩٢.

(٣) آل عمران: ٤٤.

(٤) حياة السيد المسيح في القرآن الكريم: ٣٠.

و هذا أمر طبيعي جداً لإمرأة ستتحمل مسؤولية السر الالهي والمعجزة الكبرى ألا وهي الولادة العجائبية للمسيح عليه السلام ، فلتهيئة واعداد مثل هكذا امرأة يجب أن تكون في اعلى مراتب الانقطاع الى الله تعالى والاجتهاد في عبادته سبحانه.

و كانت العذراء مريم تقضي كل وقتها في محراب العبادة[١]، لا يدخل اليها احد الاّ النبي زكريا فقد كان يأتي اليها بالطعام والشراب .

و كان كلما جاءها زكريا وجد عندها رزقاً، والواناً من الطعام لايعرف مصدره، فاحتار عليه السلام في ذلك وسألها عن مصدر الرزق فقالت انه من عند الله، وقد ذكر القرآن الكريم هذه المعجزة لها في قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[٢].

قالوا: فلما ضمّ زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتاً واسترضع لها، وقيل ضمّها إلى خالتها أم يحيى، حتّى إذا بلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد، وجعل بابه في وسطها لا يرمى إليها إلاّ بسلّم مثل باب الكعبة، ولا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم، فكان يجد عندها فاكهة في غير أوانها: فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غضّاً طريّاً، وهذه تكرمة من الله لها[٣].

ثانياً: قصة ولادة المسيح عليه السلام:

يذكر القرآن الكريم قصة ولادة المسيح عليه السلام الاعجوبية بنوع من التفصيل، فبينما

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ٣: ١٧٤. والمحراب عند اهل الكتاب هو الذي يعبّر عنه بالمذبح، وهو مقصورة في مقدم المعبد، لها باب يصعد اليه بسلم ذي درجات قليلة، ويكون من فيه محجوباً عمّن في المعبد.

(٢) آل عمران: ٣٧.

(٣) العظيمان المباركان عيسى ومريم في القرآن والسنة: ٢٥.

كانت مريمعليها السلام تتعبد لله تعالى، واذا بملك وروح يظهر لها متمثلا بصورة بشرية، فذعرت مريم وخافت، فاستعاذت بالله لانقاذها، فقال لها الروح (و قيل انه جبرائيلعليه السلام) انما انا رسول من عند الله تعالى لأهب لك غلاماً زكياً، فاستغربت مريم كثيراً من هذا الكلام، لأنّها لم تقارب رجلا لا في الحلال (الزواج) ولا في الحرام والعياذ بالله (الزنا).

فقال لها الملاك حينئذ ان حمل امرأة من غير مقاربة مع رجل وإن كان امراً فوق العادة ولكنه هيّنٌ على الله تعالى، والحكمة في ذلك أن يكون هذا الطفل المعجزة آية للناس، وقد ذكر القرآن هذه المحاورة بين مريم والروح في قوله تعالى في سورة مريم: **﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً﴾**[1] .

و كذلك ذكر سبحانه وتعالى هذا الحوار في موضع اخر فى كتابه المنزل حيث قال: **﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾**[2] .

و اما كيفية الحمل فالقرآن الكريم يشير الى أن ذلك كان بالنفخ من روح الله عن طريق الفرج، قال تعالى: **﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن**

---

(١) مريم: ١٧ ـ ٢١.

(٢) آل عمران: ٤٥ ـ ٤٧.

رُوحِنَا﴾[١].

وقوله تعالى: **﴿وَٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَا ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**[٢].

والنفخ فيها من الروح كناية عن عدم استناد ولادة عيسى عليه السلام إلى العادة الجارية في كينونة الولد من تصور النطفة أولاً ثم نفخ الروح فيها، فإذا لم يكن هناك نطفة مصوّرة لم يبق إلاّ نفخ الروح فيها وهي الكلمة الالهية كما قال تعالى: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾**[٣] أي مثلهما واحد في استغناء خلقهما عن النطفة[٤].

و اما مدة الحمل فقد اختلف فيه، وقد يُستفاد من آيات القرآن الكريم وفي بعض الروايات أن الحمل بالمسيح عليه السلام لم يكن تسعة اشهر كما هو المتعارف بل كان وقتاً قصيراً مخالفاً للعادة[٥].

و قد ورد في الروايات أن حمل مريم بعيسى عليهما السلام كان تسع ساعات لا تسعة اشهر، فقد ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام: **«أن مريم حملت بعيسى تسع ساعات كل ساعة شهر»**[٦].

ثم ان في القرآن الكريم عطفاً بالحمل والولادة، قال تعالى: **﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾** مريم / ٢٢. ما يدل على السرعة في ذلك لاعلى البط والتراخي[٧].

---

(١) التحريم: ١٢.

(٢) الأنبياء: ١٩.

(٣) آل عمران: ٥٩.

(٤) تفسير الميزان ١٧: ٣١٣.

(٥) حياة السيد المسيح في القرآن الكريم: ٥٣.

(٦) بحارالانوار ١٤: ٢١٩.

(٧) حياة السيد المسيح في القرآن الكريم: ٥٦.

ولكن هناك بعض الروايات تؤكد أن مريم حملت بالمسيح عليه السلام فترة ستة اشهر، فقد ورد في اصول الكافي عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال: لم يولد لستة أشهر الاّ عيسى بن مريم والحسين بن علي[1].

و قيل ثمانية أشهر، وكان ذلك آية وذلك انه لم يعيش مولود وضع لثمانية أشهر غيره[2] ويعلق عبد الوهاب النجار على هذه الآراء بقوله: **«لأن أمره في الحمل لما كان عجيباً أرادوا أن يجعلوه في مدة الحمل أيضاً عجيباً، وليس في أيدينا ما يثبت العجيبة مدة الحمل، فالأليق أن يحمل على الأمر الطبيعي الذي جرت العادة بمثله»**[3].

وينقل انه لما ظهرت عليها آثار الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عبّاد بني اسرائيل يقال له يوسف النجار (خطيب مريم كما يعتقد المسيحيون)، وكان ابن خالها، فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حُبلى وليس لها زوج، فعرض لها ذات يوم في الكلام فقال: يا مريم هل يكون زرع من غير بذر؟ قالت: نعم، فمن خلق الزرع الأول. ثم قال: فهل يكون من غير ذكر؟ قالت: نعم، الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، ويروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سألها فأجابته بمثل هذا[4].

و اما مكان ولادته فلم يذكر القرآن الكريم ذلك، ولكنه أشار الى ذلك بقوله تعالى: **﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً﴾**[5].

و المكان القصي هو البعيد، وقد اختلفت الروايات كثيراً في ذكر هذا المكان القصي، فبعضها يذكر أن مريم عليها السلام ولدت المسيح في العراق، وتحديداً في الكوفة أو

---

(١) اصول الكافي ١: ٤٦٤.

(٢) بحارالانوار ١٤: ٢٢٤.

(٣) قصص الأنبياء: ٣٧٨.

(٤) قصص الأنبياء، ابن كثير: ٥٤٤.

(٥) مريم: ٢٢.

النجف.

و البعض الاخر يشير الى أن الولادة المباركة كانت في بغداد، وزعم البعض انه ولد في مصر، والمشهور انها كانت ببيت لحم في فلسطين وهو الاقرب الى الصحة[١].

و اما احداث الولادة فقد ذكر القرآن كيفيتها في سورة مريم في قوله تعالى: **﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنسِيّاً * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾**[٢].

أي حملت بالولد واعتزلت به مكاناً بعيداً من أهله، والمخاض والطلق وجع الولادة، والمعنى: أنها لما اعتزلت في قومها في مكان بعيد منهم، دفعها وألجأها الطلق إلى جذع نخلة كان هناك لوضع حملها، وقالت استحياء من الناس ياليتني متُّ من قبل هذا[٣].

هنا حسبت الصدّيقة مريم الف حساب وحساب لما هي قادمة عليه من لوم اللائمين من قومها واتهامهم اياها بالفحشاء، مع أنها كانت عندهم من العابدات الناسكات، فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال او كانت **﴿نَسْياً مَنسِيّاً﴾** أي لم تخلق بالكلية.

و هذا المنادي قيل هو جبريل، وقيل هو عيسى عليه السلام ناداها بأن لاتحزن فقد جعل لها تحتها سرِياً وهو النهر، وامرها بهز جذع النخلة (و قيل أنها كانت يا بسة) فتساقط عليها الرطب، فأكلت وشربت وقرّت عيناً.

---

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير: ٥٨٧.

(٢) مريم: ٢٢ ـ ٢٦.

(٣) تفسير الميزان ١٤: ٤٢.

ولكن هذا لم يكن آخر المطاف، بل علم الله الخبير بالهواجس التي تدور في نفس مريم وخوفها من مواجهة قومها بهذا المولود، ولذلك امرها أن تصوم عن الكلام ليتولى هذا المولود الجديد مهمة الدفاع عن امه القديسة وتبرئة ساحتها من كل أثم وخطيئة.

و بعد الولادة رجعت مريم الى قومها وهي حاملة المسيحؑ على صدرها، فلما رأوا طفلا حديث الولادة معها، أسرعوا الى اتهامها بالفحشاء والمنكر، وقالوا يا مريم لقد فعلت منكراً عظيماً، ﴿قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾[1].

و الفرية هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال[2].

و اضافوا: ﴿يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾. مريم: ٢٨.

و قد اختلف المفسرون في المراد من (هارون) في هذه الآية بعد التسليم بأنه لم يكن شقيقها في الأب والأم معاً، وهنا أربعة اقوال.

فقيل: انه كان رجلا صالحاً من بني اسرائيل ينسب اليه كل صالح، وعلى هذا فالمراد بالاخوة الشباهة ومعنى ﴿يَاأُخْتَ هَارُونَ﴾ يا شبيهة هارون.

و الثاني: ...انه كان أخاها لابيها لا من امها.

والثالث: ان المراد به هارون أخو موسى الكليم وعلى هذا فالمراد بالاخوة الانتساب كما يقال: أخو تميم.

والرابع: انه كان رجلا معروفاً بالعهر والفساد[3].

و قولهم: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾ أي لست من بيت هذا

---

(١) مريم: ٢٧.

(٢) قصص الأنبياء ابن كثير: ٥٨٩.

(٣) تفسير الميزان ١٤: ٤٥.

شيمته ولا سجيتهم، فكيف ارتكبت هذه الفاحشة العظيمة.

فلما ضاق بها الحال سكتت ولم تجب بشي، بل اشارت بيدها الى الطفل حتّى يجيبيهم ويكشف لهم عن حقيقة الامر، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ فأستغربوا من امرها وقالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً﴾ وعندها تكلم المعجزة عيسى عليه السلام ليبرء ساحة أُمّه القديسة من كل اتهام باطل وقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلاَةِ وَٱلزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَٱلسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾[1].

ولم يتعرض المسيح عليه السلام في جوابه هذا لمشكلة الولادة، وتهمة الزنا الذي اتهموا به مريم، لأن نطقه على صباه هو بحد ذاته آية ومعجزة عظيمة، وما أخبر به في الحقيقة لايدع ريباً لمرتاب في امره بأنّه والعياذ بالله ابن زنا.

ويستفاد من كلام المسيح عليه السلام هذا:

أولاً: ثلاث صفات أساسية لشخصية المسيح عليه السلام ، وهي:

أ – عبوديته لله تعالى.

ب – انه نبي من قبل الله تعالى.

ج – انه أوتي الكتاب من الله تعالى.

ثانياً: ثلاث قيّم لرسالته ودعوته، وهي:

أ – البركة.

ب – الصلاة.

ج – الزكاة.

---

(١) مريم: ٣٠ـ ٣٣.

ثالثاً: ثلاث سمات لسلوكه وأخلاقه، وهي:-

أ - البر بوالدته.

ب - عدم التجبّر.

ج - عدم الشقاء.

رابعاً: ثلاث نتائج، وهي:-

أ - السلام عليه يوم الولادة.

ب - السلام عليه يوم الموت.

ج - السلام عليه يوم القيامة[١].

فهذه هي قصة ولادة المسيح عليه السلام كما بينها سبحانه وتعالى في كتابه المنزل على نبيه الخاتم محمد صلى الله عليه وآله، وختم قصة ولادته وكلامه للناس بقوله سبحانه: **﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾**[٢]. وفيه نفي وإبطال لما قالت به النصارى من بنوة المسيح، وقوله: **﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾** حجة أقيمت على ذلك وقد عبّر بلفظ القضاء للدلالة على ملاك الاستحالة أن يكون لله ولد[٣].

ثالثاً: طفولة المسيح عليه السلام وشبابه:

أن القرآن الكريم لم يذكر شيئاً عن طفولة المسيح عليه السلام وشبابه، بل وحتّى الروايات سكتت عن هذه الفترة من حياة المسيح عليه السلام الاّ يسيراً، ويظهر في بعض الاخبار أن مريم عليها السلام حملت المسيح عليه السلام ومعها يوسف النجار على حمار حتّى وردا

---

(١) حياة السيد المسيح في القرآن الكريم: ٦٨.

(٢) مريم: ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) تفسير الميزان ١٤: ٤٨.

أرض مصر، فهي الربوة التي قال الله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[1].

وقد اختلف المفسرون في المراد بهذه الربوة التي ذكر الله في صفتها أنها ذات قرار ومعين، وهذه صفة غريبة الشكل، وهي أنها ربوة، وهو المكان المرتفع من الأرض الذي أعلاه مستو يقر عليه، وارتفاعه متسع، ومع علوه فيه عيون الماء المعين، وهو الجاري السارح على وجه الأرض، فقيل المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح وهو قرب نخلة بيت المقدّس، وقيل أنها أنهار دمشق، وقيل ذلك في مصر كما زعم البعض من أهل الكتاب[2].

فمكثت مريم أثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس، لا يطّلع عليه احد، وكانت مريم لا تأمن عليه ولا على معيشته أحداً، حتّى تم لعيسى ﷺ أثنتا عشرة سنة، فكان اول آية رآها الناس منه أنّ امّه كانت نازلة في دار دهقان من اهل مصر، فكان ذلك الدهقان قد سُرقت له خزانة، وكان لايسكن في داره الاّ المساكين فلم يتهمهم، فحزنت مريم لمصيبة الدهقان، فلما أن رأى عيسى حزن امه بمصيبة صاحب ضيافتها، قال لها:

يا أمه، أتحبين أن أدلّه على ماله؟

قالت: نعم يا بني، قال: قولي له يجمع لي مساكين داره، فقالت مريم للدهقان ذلك.

فجمع مساكين داره، فلما اجتمعوا عمد الى رجلين منهم: أحدهما أعمى والاخر مقعد، فحمل المقعد على عاتق الاعمى، ثم قال له: قم به، قال الاعمى: أنا اضعف من ذلك، قال عيسى ﷺ : فكيف قويت على ذلك البارحة؟

---

(١) المؤمنون: ٥٠.

(٢) قصص الأنبياء، ابن كثير: ٥٦٤.

فلما استقل قائماً حاملا، هوي المقعد الى كوة الخزانة.

قال عيسى عليه السلام : هكذا احتالا لمالك البارحة، فقال المقعد والاعمى صدق، فردّا على الدهقان ماله[١].

و ينقل أن المسيح عليه السلام عندما بلغ سبع سنين اسلمته امه الى الكتّاب، فجعل لايعلمه المعلم شيئاً الاّ بدره اليه، فعلمه ابجد، فقال عيسى: ما ابجد؟

فقال المعلم لا أدري، فقال عيسى: كيف تعلمني ما لا تدري، فقال المعلم ما ابجد؟ فقال عيسى عليه السلام : الالف آلاء الله، والباء بهاء الله، والجيم بهجة الله وجماله، فعجب المعلم في ذلك[٢].

رابعاً: بعثته عليه السلام:

لم يذكر القرآن متى كان ابتداء نبوة المسيح ولا كيف كان ذلك؟، والمشهور أن المسيح عليه السلام بُعث وقد بلغ الثلاثين من عمره الشريف، ورفع الى السماء بعد ثلاث سنين، يقول الطبري في تاريخه: فجاءه الوحي (عيسى عليه السلام) على ثلاثين سنة، وكانت نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله اليه[٣].

و قيل انه كان نبياً وهو طفل صغير، واستدلوا عليه بقوله تعالى: **﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾**[٤].

يقول العلامة الطباطبائي في تعليقه على الآية: **«و ظاهر الكلام انه كان أوتي الكتاب و النبوة، لا أن ذلك اخبار بما سيقع»**[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ١: ٣٥٢.

(٢) البداية والنهاية، ابن الكثير ٢: ٩١.

(٣) تاريخ الطبري ١: ٣٥٢.

(٤) مريم: ٣٠.

(٥) تفسير الميزان ١٤: ٤٧.

و هذا يعني انه كان نبياً وهو طفل صغير، فقد كان يومئذ نبياً فحسب، ثم اختاره الله للرسالة[١].

و قيل في الفرق بين النبي والرسول: أن الرسول من أوحي اليه وأمر بالتبليغ، أما النبي فهو من أوحي اليه سواء أمر بالتبليغ أم لا.

و قيل: أن الرسول هو من انزل معه كتاب وشريعة، أما النبي فهو من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر أن يدعو الناس الى شريعة من كان قبله من الرسل.

و عليه فصح أن يقال: انه عليه السلام كان نبياً في اول الامر كما قال ﴿**وَجَعَلَنِي نَبِيّاً**﴾ ثم صار رسولاً كما قال تعالى ﴿**وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[٢].

و يؤكد القرآن أن الله تعالى أرسل المسيح عليه السلام الى بني اسرائيل، قال تعالى: ﴿**وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ**﴾[٣].

والظاهر من الايات القرآنية أن كل خطابات المسيح عليه السلام كانت موجهة الى بني اسرائيل، الاّ أن ذلك لايعني انحصار الرسالة في بني اسرائيل، لأن المسيح عليه السلام من انبياء أولي العزم الذين بعثوا الى الناس كافة، كما ذهب إليه جمهور المتكلمين، وانما اختص بني اسرائيل بالذكر لان ابتداء الرسالة والدعوة كانت فيهم.

و يؤكد القرآن على نزول الانجيل على المسيح عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ ٱلإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٤].

و هذا يدل على أن الانجيل المذكور في الآية ومعناه البشارة -كان كتاباً نازلا

---

(١) نفس المصدر.

(٢) حياة السيد المسيح في القرآن الكريم: ١٣٠.

(٣) آل عمران: ٤٩.

(٤) المائدة: ٤٦.

على المسيح عليه السلام لا مجرد البشارة غير كتاب، غير أن الله سبحانه لم يفصّل القول في كلامه في كيفية نزوله على عيسى عليه السلام كما فصله في خصوص التوراة والقرآن.

فقد قال تعالى في حق التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[(١)] وأيضاً: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[(٢)].

و في خصوص القرآن قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[(٣)] وأيضاً ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[(٤)].

فالقرآن الكريم لم يذكر في تفصيل نزول الانجيل ومشخصاته شيئاً، لكن ذكر نزوله على عيسى عليه السلام محاذياً لذكر نزول التوراة على موسى عليه السلام ، ونزول القرآن على محمد صلى الله عليه وآله، يدل على كونه كتاباً في عرض الكتابين[(٥)].

و الظاهر أن الانجيل المنزل على المسيح عليه السلام كان يشتمل على بعض الاحكام الشرعية والمواعظ الاخلاقية والامثال التي تدعو الناس الى الاستقامة والعمل الصالح، فإن القرآن الكريم يذكر أن تعاليمه - لو طبقت - فهي كفيلة بسعادة الإنسان و المجتمع.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[(٦)].

---

(١) الاعراف: ١٤٥.

(٢) الاعراف: ١٥٤.

(٣) الشعراء: ١٩٥.

(٤) عبس: ١٦.

(٥) تفسير الميزان ٣: ٣٤٦.

(٦) المائدة: ٦٦.

و قد ذكر القرآن الكريم الكثير من المعجزات للمسيحعليه السلام في زمان بعثتهرسالته، فقد كان المسيحعليه السلام يحيي الموتى، ويخلق من الطين أشكالا تشبه الطيور،ثم ينفخ فيها فتتحول الى طيور حيّة، وكانعليه السلام يشفي المرضى كالاعمى والابرص، وكان يُخبر الناس بما يفعلونه في بيوتهم من الاكل والشرب وما شابه ذلك.

خامساً: موقف اليهود من دعوة المسيحعليه السلام:

كما ذكرنا آنفاً فان المسيحعليه السلام بعث الى بني اسرائيل، وقد انقسم اليهود تجاه دعوة المسيحعليه السلام الى قسمين:

قسم آمن بالمسيحعليه السلام وهم اقلية، وقسم كفر به وهم الاكثرية، وقد حاربت هذه الاكثرية المسيحعليه السلام ودعوته، فقد كذبوه واتهموه بالسحر، وقد أشار سبحانه الى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَاعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾[1].

و قد كان علماء اليهود وأحبارهم من أشد الناس عداوة للمسيحعليه السلام خوفاً على مراكزهم ومصالحهم، وذلك لان اليهود كانوا ينتظرون مسيحاً يعيد اليهم الملكالسلطان في الأرض، فلما جاءهم المسيح عيسى بن مريم يشيد بينهم مملكة الاخلاق والتقوى والسجايا الكريمة لم يكن هو المسيح الذي صوروه لانفسهم، فمكروابه وارادوا قتله، ولهذا ندرك صدور اللعن عليهم على لسان المسيحعليه السلام كما ينقل القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿ **لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ**

(١) المائدة: ١١٠.

وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[١].

و لذلك كان المسيح عليه السلام كثيراً ما يوبخهم ويندد بهم، ويحذر الناس من اتباعهم،قد نُقل عنه عليه السلام: **«ويلكم علماء السوء، الاجر تأخذون والعلم تضيّعون، يوشك رب العمل أن يطلب عمله، وتوشكون أن تخرجوا من الدنيا العريضة الى ظلمة القبر وضيقه»**[٢].

واما القلة المخلصة المؤمنة التي اتبعته على دعوته، فقد صدّقوه ونصروه بكل اخلاص واجتهاد، وهذه سنّة الأنبياء مع الناس على مر التاريخ، فلم يكن يؤمن بهم الاّ قلّة من الناس وغالباً ما كانت من الطبقة الفقيرة، ولم يكن المسيح خارجاً عن سنّة الأنبياء هذه.

و من افضل الذين آمنوا به **«الحواريون»** وحواري الإنسان من اختص به من الناس، وقيل اصله من الحور وهو شدة البياض، ولم يستعمل القرآن هذا اللفظ **«الحواريون»** الاّ في خواص عيسى من أصحابه[٣].

و قيل ايضاً أن الحواريين جمع حواري وأصل المادة تدل على البياض التخلص من كل سوء وعيب، وقد أطلق عليهم صفة الحواري لخلوصهم من العيب والذنب،اخلاصهم للمسيح عليه السلام ونقاء قلوبهم وصفاء بواطنهم[٤].

و قد وردت بعض الاخبار في هذا المعنى، فعن علي بن الحسن بن فضّال، عن ابيه قال: قلت للرضا عليه السلام لم سمي الحواريّون الحواريّين؟

قال: **«أمّا عند الناس فانهم سمّوا حواريّين لانهم كانوا قصّارين يخلّصون الثياب من الوسخ**

---

(١) المائدة: ٧٨.

(٢) ميزان الحكمة ٦: ٥١٨.

(٣) تفسير الميزان ٣: ٢٠٣.

(٤) حياة السيد المسيح في القرآن الكريم: ١٧٣.

بالغسل، وهو اسم مشتق من الخبز الحواري، واما عندنا فسمّي الحواريّون حواريّين لانهم كانوا مخلصين في انفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير»[١].

وقد قال صاحب القاموس: وقد جاء اطلاق حواري رسول الله ﷺ على «**الزبير بن العوام**» ويظهر أن لفظ «**الانصار**» في جانب رسول الله بمنزلة «**الحواريين**» في جانب المسيح[٢].

ويضيف النجار في هذا اللفظ: أقول أن معناه «**الاخوان في طلب العلم**» من لفظ «**حبور**» العبري وهو التلميذ، وجمعه «**حبوريم**» نطق به في العربية «**حواري وحواريين**»[٣].

و قد ذكرهم سبحانه وتعالى في كتابه المنزل مرات عدة، منها قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[٤].

و قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**﴾[٥].

و غيرها من الآيات القرآنية.

و قد اختلفوا في عددهم، والمشهور انهم كانوا: «**اثني عشر**» وهو ما ذكر في بعض الروايات، عن أهل بيت النبوة عليهم السلام.

---

(١) بحارالانوار ١٤: ٢٧٢.

(٢) قصص الأنبياء، النجار: ٤٠٥.

(٣) نفس المصدر.

(٤) آل عمران: ٥٢.

(٥) الصف: ١٤.

الحواريون ومعجزة المائدة:

ومن المعاجز التي ذكرها القرآن الكريم للمسيح وحوارييه بالخصوص معجزة انزال المائدة عليهم، وقد حكيت في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ قَالَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ تَكُونَ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ * قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ﴾[١].

وهذه الآيات اختلف فيها المفسرون، فقال بعضهم ان المائدة نزلت، وان الذين كفروا بعيسى بعد الأكل منها مسخوا خنازير تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ﴾ وقال آخرون ان المائدة لم تنزل إذ لم ينص القرآن على نزولها بالفعل، وإن الطالبين للمائدة لم يطلبوها بعد أن اشترط الله تعذيب من كفر بعد نزولها تعذيباً شديداً، فخشوا أن يحيق بهم العذاب، وقال الآلوسي في تفسيره: والجمهور على الأول وعليه المعوّل[٢].

وهو ما ذهب إليه العلاّمة في تفسيره الميزان حيث قال: وقول بعضهم: إنهم استقالوا عيسى بعدما سمعوا الوعيد الشديد من الله تعالى لمن يكفر منهم بعد نزول المائدة، قول من غير دليل من كتاب أو حديث يعتمد عليه، ثم يضيف: وربما يستدل على عدم نزولها بأن النصارى لا يعرفونها وكتبهم المقدسة خالية عن حديثها، ولو كانت نازلة لتوفرت الدواعي على ذكرها في كتبهم وحفظه فيما بينهم بسيرة مستمرة كما تحفظوا على العشاء الرباني.

---

(١) المائدة: ١١٢ ـ ١١٥.

(٢) تفسير روح المعاني ٤: ٦٠.

ويجيب عن هذا الاشكال بقوله: لكن الخبير بتاريخ شيوع النصرانية وظهور الاناجيل لا يعبأ بامثال هذه الاقاويل، فلا كتبهم مكتوبة محفوظة على التواتر إلى زمن عيسى عليه السلام، ولا هذه النصرانية الحاضرة تتصل بزمنه حتّى ينتفع بها فيما يعتوروه يداً بيد[١].

ويذهب النّجار إلى رأي ثالث فيقول: ان مسألة المائدة السماوية، ومعنى كونها سماوية أن الله تعالى بارك في الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة، وقد حكيت في القرآن الكريم، ولم ينص الله تعالى في الكتاب الكريم انه انزلها عليهم، وانهم اكلوا منها ثم آمنوا أو كفروا، وقد وجدت الاشارة إليها في كتبهم، وهي أن عيسى قد أطعم من طعام قليل آلافاً، فترجح عندي انها المائدة التي ذكرت في الكتاب الكريم، وهي مسألة الارغفة الخمسة والسمكتين **«معجزة اطعام آلاف بها حسب الاناجيل»**، والمراد بانزالها عليهم أن يرزقهم الله الطعام الكثير من حيث لا يحتسبون فالمائدة لا يشهد بنزولها نص قطعي، وان الاقوال فيها ثلاثة[٢]:

١ ـ أنها نزلت.

٢ ـ أنها لم تنزل.

٣ ـ أنها مسألة الخمسة أرغفة والسمكتين (معجزة الاطعام).

ولكن أيضاً العلامة الطباطبائي يرفض هذا الرأي ويقول:

«نعم، وقع في بعض الاناجيل واطعام المسيح تلاميذه وجماعة من الناس بالخبز والسمك القليلين على طريق الاعجاز، غير إن القصة لا تنطبق على ما قصه القرآن في شيء من خصوصياته»[٣].

والحقيقة إن هذه المعجزة في القرآن، والسؤال من الحواريين لها ومحاورة

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ٦: ٢٢٤.

(٢) قصص الأنبياء، النجّار، ص ٤٩٤.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ٦: ٢٢٤.

عيسى لهم، وكذلك الوعيد الشديد منه تعالى لمن يكفر بهذه المعجزة الذي لا يوجد له نظير في شيء من الآيات التي اختص الله بها انبياءه، أو اقترحتها اسمهم عليهم يدعو إلى التأمل والتدبر بشكل اعمق في هذه الآيات القرآنية.

سادساً: خاتمة حياة المسيحعليه السلام:

يعتقد المسلمون بأن المسيحعليه السلام لم يُصلب ولم يقتل، وانما رفع الى السماء، وذلك إستناداً الى قوله تعالى: **﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾**(١) .

فهذه الاية صريحة في نفي القتل والصلب الذي زعمه اليهود والنصارى، وهي تثبت أن المصلوب هو شخص آخر شبيه للمسيحعليه السلام ، وقد وقع الاختلاف في الرجل الذي ألقي عليه شبه المسيحعليه السلام .

فقيل: انه طيفانوس اليهودي، وقيل انه يهوذا وقيل غير ذلك، والمهم أن أصل التشبيه من الامور المسلّمة استناداً الى القرآن الكريم.

و هنا يطرح السؤال التالي:

اذا كان عيسىعليه السلام قد نجاسالماً، ووقع من اُلقي عليه شبه المسيحعليه السلام في هذه الحادثة (الصلب والقتل) فأين ذهب المسيحعليه السلام ؟

القرآن يجيب على هذا السؤال بأن المسيحعليه السلام رُفع الى السماء، قال تعالى: **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ....﴾**(٢) .

---

(١) النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) آل عمران: ٥٥.

وقد ذهب جمهور المسلمين على ان الله تعالى قد رفعه بروحه وجسده حيّاً الى السماء، ودليلهم على ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وهو حيّ في السماء وانـه ينزل في آخر الزمان ويقتل المسيح الدجال[١].

و ما يشعر به ظاهر القرآن الشريف هو: أن السماء (أي الجسمانية) هي مـقام القرب من الله سبحانه، ومحل نزول البركات، ومسكن الملائكة المكرمين[٢].

والحقيقة لا يوجد هناك نص قاطع الثبوت والدلالة يؤيد صعوده إلى السماء وما ذهب إليه الجمهور من أنه رفع إلى السماء بدليل قوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ غير تام، لأن كل ما تدل عليه هذه العبارة هو إن الله مبعده عنهم إلى مكان لا سلطة لهم عليه، وقوله ـ إليّ ـ لا يدل على السماء نصّاً، بل هو كقول الله في لوط: وقال اني مهاجر إلى ربي، إذ ليس معناه اني مهاجر إلى السماء، واما الاستدلال بـحديث المعراج وإن النبي ﷺ قد رأى عيسى بن مريم في السماء فهو أيضاً مخدوش، لإن الحديث يذكر بانه قد رأى يحيى معه، ويـحيى مـات مـقتولاً، وكـذلك رأى آدم وابراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء، فلو كانت رؤيته لعيسى دليلاً على رفعه حياً إلى السماء لكانت دليلاً أيضاً على رفع هؤلاء أحياء، ولما كان الثاني باطلاً كـان الأوّل مثله[٣]. ولذلك يكون لقوله تعالى ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ معنيان: الأول: رافعك إلى سمائي، والثاني: رافعك إلى كرامتي[٤]، فهذا الامر مهم ويجب تفويض علمه إلى الله تعالى، فقد يكون الله تعالى اماته، أو أنامه كما أنام أهل الكهف، أو أصعده إلى السماء.

---

(١) قصص الأنبياء، النجار: ٥٠٦.

(٢) تفسير الميزان ٣: ٢٠٨.

(٣) قصص الأنبياء، النجار: ٥١٢.

(٤) العظيمان المباركان عيسى ومريم: ١٠٥.

و لقائل أن يقول: كيف يكون المسيح رفع حياً الى السماء مع أن القرآن يؤكد على أن الله قد توفاه كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وهل التوفي الاّ الموت؟

نقول: التوفي أخذ الشى اخذاً تاماً، ولذا يستعمل في الموت لأن الله يأخذ عند الموت نفس الإنسان عن بدنه، قال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[1].

أي أماتته، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[3].

والتأمل في الآيتين الاخيرتين يعطي أن التوفي لم يستعمل في القرآن بمعنى الموت بل بعناية الاخذ والحفظ، وبعبارة أخرى انما استعمل التوفي بما في حين الموت من الأخذ للدلالة على أن النفس لا تبطل ولا تفنى بالموت الذي يحسبه الجاهل فناء وبطلاناً.

بل الله تعالى يحفظها حتّى يبعثها للرجوع اليه، والا فهو سبحانه يعبر في الموارد التي لا تجري فيه هذه العناية بلفظ الموت دون التوفى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾[5].

الى غير ذلك من الآيات، فمن هذه الجهة لاصراحة للتوفي في الموت[6].

ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم

---

(١) الانعام: ٦١.

(٢) السجدة: ١١.

(٣) الزمر: ٤٢.

(٤) آل عمران: ١٤٤.

(٥) فاطر: ٣٦.

(٦) نفس المصدر.

﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى...﴾[١].

فإن توفي الناس في الليل لايكون بالاماتة، بل بمعنى أخذهم بالنوم، ثم يبعثهم الله باليقظة في النهار.

فمن المعنى اللغوي لكلمة (التوفي والوفاة) وهو أخذ الشى وافياً تماماً، ومن موارد استعمالها في القرآن الكريم نعرف أن التوفي أعم من الموت، بل لم يستعمل في الموت الاّ بعناية خاصة[٢].

و ما ورد في حق المسيحعليه السلام في القرآن هو التوفي دون الموت، وهذا يعني أن الله أخذ المسيح من بين اليهود الذين مكروا به لقتله ورفعه اليه.

سابعاً: نزوله في آخر الزمان :

تتحدث النصوص الدينية عن نزول السيد المسيحعليه السلام في آخر الزمان، حيث ينزل من السماء الى الأرض ليخلّص البشرية من الظلم والفساد.

و تنقسم الاحاديث الواردة بشأن المسيح ونزوله في آخر الزمان الى ثلاثة أقسام:

(١) ما يدل على نزوله عند ظهور الامام المهدي (عج) الذي هو الامام الثاني عشر عند الشيعة الامامية.

(٢) ما يدل على نزوله عند خروج الدجال فيقتله.

(٣) ما يدل على أن نزوله من شروط الساعة وأن الساعة لاتقوم الاّ بعد نزوله عليه السلام[٣].

---

(١) الانعام: ٦٠.

(٢) حياة السيد المسيح في القرآن الكريم: ٢٠١.

(٣) نفس المصدر: ٢١٦.

ونقل البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال: «**الأنبياء إخوة لعلاّت، ودينهم واحد وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأن لم يكن بيني وبينه نبي، وانه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فانه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتّى تهلك في زمانه كلها غير الاسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتّى ترتع الإبل مع الاسد جميعاً، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات، لايضر بعضهم بعضاً، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه**»[1].

و بعد نزوله واستقرار العدل والحكومة الالهية على الأرض، وبما أن الموت قانون عام لا يستثنى منه نبي ولا ولي، ولأن ارتفاعه الأوّل لم يكن موتاً حقيقياً، كان من اللازم بمقتضى هذا القانون أن يموت الموت الحقيقي، وقد ورد في الروايات انّه عليه السلام يعيش اربعين سنة بعد نزوله من السماء ثم يموت، واما كيفية موته فلم تُذكر في الروايات.

(١) البخاري ٢: ٢٧٧.

المبحث الثاني: القاب وصفات المسيح في القرآن الكريم

أولاً: القابه:

لقد سمى الله تعالى نبيه عيسى بأسماء وألقاب كثيرة وهي:

(١) عيسى:

و قد تكرر اسم عيسى في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة، و «**عيسى**» معرّب «**يشوع**» بالعبرانية، وفي الكتاب المقدّس المتداول «**ايشوع**» ومعناه السيد، أو المخلص والمنجي، وقيل يفسّر بـ «**يعيش**» للتشابه مع يحيى عليه السلام[١].

(٢) المسيح:

و قد تكرر هذا الاسم في القرآن الكريم ثمان مرات، وهذه الكلمة معربة، واصلها «**مشيحا**» بالعبرانية، وهو لقب لعيسى، ويصح أن يقع اسماً له من باب التوسعة فُيقال اسمه المسيح عيسى بن مريم، والمسيح هو الممسوح، سُمي به عيسى عليه السلام لأنه كان مسيحاً باليمن والبركة، أو لانه مسح بالتطهير من الذنوب، أو مسح بدهن زيت بورك فيه وكان الأنبياء يمسحون به، أو لان جبرائيل مسحه بجناحه حين ولادته ليكون عوذة من الشيطان، أو لانه كان يمسح روؤس اليتامى، أو لانه كان يمسح عين الاعمى بيده فيبصر، أو لانه كان لايمسح ذا عاهة بيده الابرؤ، فهذه وجوه ذكروها في تسميته بالمسيح[٢].

---

(١) مجمع البيان ٢: ٢٢٨.

(٢) تفسير الميزان ٣: ١٩٤.

(٣) روح الله:

أن الله تبارك وتعالى اصطفى بعض مخلوقاته واضافهم اليه، وهذه الاضافة تشريفية لا حقيقة، ومن تلك المخلوقات المسيح﵇ قال تعالى: **﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَىٰ ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَاهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾**[١].

و قال تعالى: **﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾**[٢].

والمعنى أن المسيح مخلوق لله تعالى، وكلمة (من) المذكورة في الآية لا تعني التبعيضة بل هي للصدور، ونظيرها ما ورد في قصة آدم﵇ قال تعالى: **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾**[٣].

و من طريف ما يحكى انه كان لهارون الرشيد طبيب نصراني، فدخل يوماً في نقاش مع علي بن الحسين الواقدي.

فقال له: - توجد في كتابكم السماوي آية تبين أن المسيح هو جزء من الله وتلا قوله تعالى: **﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾** فرد عليه الواقدي تالياً قوله تعالى: **﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٤].

و قال: لو كانت «من» تفيد التبعيض لاقتضى ذلك أن تكون جميع الموجودات في السماء والأرض جزءاً من الله تعالى[٥].

(٤) كلمة الله:

والمشهور عند المتكلمين أن كلامه تعالى هو بمعنى ايجاده تعالى للموجودات،

---

(١) النساء: ١٧١.

(٢) الأنبياء: ٩١.

(٣) ص: ٧٢.

(٤) الجاثية: ١٣.

(٥) حياة السيد المسيح في القرآن الكريم: ٧٨.

أي أن كلامه سبحانه هو فعله كما ورد عن الامام اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب .

و بناءاً على هذا المعنى فكل المخلوقات هي كلمات الله تعالى، وانـما خـص المسيح بهذا الاسم لكونه يمتاز عن بقية المخلوقات في خلقته، فقد خلقه الله تعالى في رحم امه من غير أب وانما بكلمة «كن» قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَىٰ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَىٰ ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ...﴾[1].

و قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[2].

ثانياً: صفات المسيح عليه السلام في القرآن الكريم:

لقد ذكر القرآن الكريم صفاتاً للمسيح عليه السلام رفع بها قدره، وبيّن فيها علو منزلته، هذه الصفات على قسمين: اكتسابية واختصاصية وهي:

١ - عبد الله ونبي الله:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾، مريم: ٣٠.

٢ - رسول الله الى بني اسرائيل:

قال تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ﴾، آل عمران: ٤٩.

٣ - احد الأنبياء الخمسة أولي العزم صاحب شرع:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾، الاحزاب: ٧.

---

(١) النساء: ١٧١.

(٢) آل عمران: ٤٥.

٤- صاحب كتاب سماوي وهو الانجيل:

قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ ٱلإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ﴾، المائدة: ٤٦.

٥- كان شهيداً على الناس:

قال تعالى: ﴿وَإِن مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾، النساء / ١٠٩.

٦- كان وجيهاً في الدنيا والاخرة ومن المقربين:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، آل عمران / ٤٥.

٧- كان من الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾، الانعام: ٨٥.

٨- كان مباركاً اينما كان، وكان زكياً:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً﴾، مريم / ١٩.

و قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلاَةِ وَٱلزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيّاً﴾ مريم / ٣١.

٩- كان آية للناس ورحمة في الله:

قال تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مقْضِيّاً﴾ مريم/٢١.

١٠- كان باراً بوالدته:

قال تعالى: ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ مريم / ٣٢.

١١- كان ممن علمه الله الكتاب والحكمة:

قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ﴾ آل عمران /٤٨.

١٢- كان مبشراً برسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ الصف / ٦.

فهذه الآيات التي وصف الله بها هذا النبي والرسول الكريم.

و نختم الفصل بمحاورة رائعة ذكرها القرآن الكريم بين الله سبحانه والمسيح، هي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَاعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١].

يقول العلامة الطباطبائي في تعليقه على هذه الآيات الشريفة:

«وهذا الكلام العجيب الذي يشتمل في العبودية على عصارتها، ويتضمن في بارع الأدب على مجامعه، يفصح عما كان يراه عيسى المسيح عليه السلام في نفسه تلقاء ربوبية ربّه، وتجاه الناس وأعمالهم، فذكر انه كان يرى نفسه بالنسبة الى ربه عبداً لا شأن له الاّ الامتثال، لايرد الاّ عن امر، ولا يصدر الاّ عن امر، ولم يؤمر الاّ بالدعوة الى عبادة الله وحده، ولم يقل لهم الا ما أمر به: أن أعبدوا الله ربي وربكم.

ولم يكن له في الناس الاّ تحمل الشهادة على أعمالهم فحسب، وأما ما يفعله الله فيهم وبهم يوم يرجعون اليه فلا شأن له في ذلك، غفر أو عذّب»[٢].

فالقرآن نزّه ساحة عيسى المسيح من كل شائبة ونقص، وقد صوّر لناالمسيح نبياً

---

(١) المائدة: ١١٦ ـ ١١٩.

(٢) تفسير الميزان ٣: ٢٨٢.

ورسولاً مباركاً وديعاً باراً، لا جبّاراً ولا شقياً، وعبداً موحداً خـاضعاً لله وحـده، وغير مدّع لشي غير معقول من ألوهية أواتحاد أو حلول، وأخيراً نجده في القرآن عزيزاً محترماً مرفوعاً إلى السماء، مصاناً بالعزة الالهـية، وانـه روح الله وكـلمته وصنيعه، ومستودع اسراره وحكمته.

فهذا بأختصار مانقله القـرآن الكـريم عـن قـصة السـيد المسـيح وشـخصيته وحياتهدعوته وختام أمره.

الفصل الثاني

▣ التوحيد ومراتبه في الإسلام

ويتضمن المباحث التالية:

تمهيد

المبحث الأول: التوحيد ومعانيه

أولاً: التوحيد في الذات

ثانياً: التوحيد في الصفات

ثالثاً: التوحيد في الأفعال

المبحث الثاني: الإسلام والتثليث

أولاً: القرآن والتثليث

ثانياً: العقل والتثليث

تمهيد:

يعتبر الدين الإسلامي من أكثر الأديان التـي دعت إلى التـوحيد الخـالص لله تعالى، ورفض الشرك بجميع أشكاله، وعده من الظلم العظيم الذي لا يغفر، كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾**.

ويؤكد القرآن على أن التوحيد من الامور الفطرية التي جُبل عليها الإنسان، ففي تفسير قوله تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**[(١)]، ذهب أكـثر المفسرين إلى القول: فطرهم على التوحيد.

وقد اتخذ القرآن أساليب متنوعة في تثبيت عقيدة التوحيد وارساء أركانها في عقول الناس، ابتداء من حصر الالهة في إله واحد وتوجيه العباد إليه كما في قوله تعالى: **﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾**[(٢)].

ومروراً برفض الشرك بكل مظاهره، قال تعالى: **﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**[(٣)].

ومن ثم اثبات الوحدة المطلقة ونفي الوحدة العددية الموجبة لعروض الكثرة

---

(١) روم: ٣٠.

(٢) البقرة: ١٦٣.

(٣) النمل: ٦١.

العددية، قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

واثبات الكمال المطلق له تعالى، فهو خير محض وكمال محض وهو الغني الذي لا يحتاج إلى شيء، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾(٢).

ويمكن القول أن القرآن اعتنى بمسئلة التوحيد عناية لم يهتم بمثلها تجاه أيـة مسألة أخرى من المسائل الاعتقادية.

---

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) طه: ٨.

المبحث الأول: التوحيد ومعانيه

للتوحيد معان كثيرة في العقيدة الإسلامية، وقد لخصها علماء الإسلام في أقسام نشير إليها باختصار:

أولاً: التوحيد في الذات

والمقصود من التوحيد الذاتي هو أن الله لا شريك ولا نظير ولا شبيه ولا مثيل له، وبتعبير آخر أن التوحيد الذاتي يعني أن الذات الالهية لا تقبل التعدد، ولا يمكن أن يتصور الذهن مصداقاً وفرداً آخر لله في عالم الخارج، فالذات الالهية تكون بحيث لا تقبل التعدد والتكثر[1].

وأيضاً التوحيد الذاتي يعني أن ذاته تعالى بسيطة أحدية سرمدية، ومن المحال تركبه أيّا ما كان التركب، لانه دليل الفقر والحدوث، فالله تعالى أحدي الذات وليس في ذاته أجزاء وتراكيب، فهو بسيط الحقيقة لا تكثر ولا تعدد في ذاته سبحانه[2].

والآيات التي وردت في القرآن الكريم بلفظ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وما شاكلها ناظرة إلى وحدانية الذات الالهية، ونفي المثيل والنظير له تعالى، ومن تلك الآيات:

ـ قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

---

(١) مفاهيم القرآن ١: ٢٤٢.

(٢) حوار بين الالهيين والماديين: ٣٩٤.

(٣) آل عمران: ٨.

ـ قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[١]، وأيضاً: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[٣] وأيضاً قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٤]، وأيضاً قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٥] وغيرها من الآيات القرآنية.

وقد استدل الفلاسفة الاسلاميون على وحدانية الذات الالهية المقدسة من طريقين:

١ ـ الوجود «غير المتناهي» لا يقبل التعدد.

٢ ـ الوجود «المطلق» لا يقبل التعدد.

وتوضيح ذلك خارج عن عهدة هذا البحث فهو مذكور في الكتب الكلامية والفلسفية الاسلامية المختلفة التي تتحدث عن الذات الالهية وصفاتها.

ولكن خلاصة الامر في التوحيد الذاتي هو أنّ له معنيين:

١ ـ أن الله واحد لا يتصور له نظير ولا مثيل.

٢ ـ أن ذاته تعالى بسيطة ومنزهة عن أي نوع من أنواع التركيب والكثرة (العقلية والخارجية)[٦].

ثانياً: التوحيد في الصفات

ومن معاني التوحيد في الإسلام القول أنّ لواجب الوجود (الله) سبحانه صفاتاً،

---

(١) محمد: ١٩.

(٢) الأنبياء: ٨٧.

(٣) النحل: ٢.

(٤) الحشر: ٢٢.

(٥) سورة الاخلاص.

(٦) مفاهيم القرآن: ٢٨٠.

وقد قسّموها إلى ثبوتية وسلبية، أو صفات الجمال والجلال.

والصفات الثبوتية تنقسم إلى:

١ ـ الحقيقة الكمالية كالعلم والقدرة والغنى والارادة والحياة... وهي كلها عين ذاته سبحانه، وليست هذه الصفات زائدة على الذات، وليس وجودها إلاّ وجود الذات، فقدرته من حيث الوجود حياته، وحياته قدرته، فهو سبحانه قادر من حيث هو حي، وحي من حيث هو قادر، يعني أنه لا أثنينية في صفاته ووجوده، وهكذا الحال في سائر صفاته الكمالية، نعم هي مختلفة في مفاهيمها ومعانيها، لا في حقائقها ووجوداتها، لأنه لو كانت مختلفة في الوجود ـ وهي بحسب الفرض قديمة وواجبة كالذات ـ للزم تعدد واجب الوجود، ولانثلمت الوحدة الحقيقة، وهذا ينافي عقيدة التوحيد. فصفاته الثبوتية الحقيقة هي عين ذاته سبحانه[١].

٢ ـ الصفات الثبوتية الاضافية ـ كالخالقية والرازقية وغيرها ـ وهذه الصفات هي التي يكون مفهومها مفهوماً اضافياً ويتوقف انتزاعها على وجود شيء آخر ـ غير الذات الالهية ـ لتقوّمها بالطرفين من الخالق والمخلوق والرازق والمرزوق وهكذا، فهذه الصفات معان اعتبارية انتزاعية لا حقائق عينية، إذ ليس في الخارج إلاّ وجود الواجب ـ الله ـ وتعلق وجود المخلوق المحتاج في وجوده إليه[٢].

واما الصفات السلبية والتي تسمى بصفات «الجلال» فهي ترجع جميعها إلى سلب واحد، هو سلب الامكان عنه، ومعناه سلب كل نقص، من جسمية وصورة وحركة وسكون... الخ من الصفات السلبية[٣].

فالذات الالهية المقدسة واجدة لجميع صفات الكمال، لأن الخلو عن الكمال نقص، والنقص منفي عن الواجب تعالى، فهي منزهة عن جميع صفات النقصان، لان

---

(١) بداية المعارف الالهية ١: ٧٩.

(٢) بداية المعارف الالهية ١: ٧٩.

(٣) عقائد الامامية: ٢٥٨.

النقص عجز وافتقار، والعجز والافتقار لا يليق بالذات الكاملة[١].

ثالثاً: التوحيد في الأفعال

يرتكز اهتمام القرآن الكريم ـ في الاغلب ـ على مسألة **«التوحيد الافعالي»** **«التوحيد العبادي»**، والتوحيد الافعالي يعني أن الافعال التي يقوم بها الله سبحانه لا يحتاج فيها إلى مساعد ولا معين، فهو مستقل في أداء أي فعل.

ولابد من الاشارة هنا إلى مسألة دقيقة وهي: وجود فرق كبير بين أن نقول: يؤدي الله أفعاله بواسطة الاسباب ولكنها الاسباب التي يخلقها هو، وأن نقول: لا يستطيع الله أن يؤدي عملاً من دون الاسباب[٢].

فالمقصود من التوحيد الافعالي إذن هو أن أداء الافعال الالهية ليس بحاجة إلى معين أو مساعد خارج الذات المقدسة، وإذا صادفنا عملاً يتم إداؤه بوساطة الاسباب فان هذه الاسباب أيضاً يخلقها الله ويجعلها سبباً، لا أن الله محتاج إلى أسباب خارجة عن ذاته، فأفعال الله هي في فعل الله وحده، وإذا كان الفعل يحتاج إلى سبب لإنجازه، فان ذلك السبب يخلقه الله ويجعله سبباً.

ويوجد اصطلاح آخر عند بعض الفلاسفة المسلمين وهو **«توحيد الفعل»**، ويقصدون من هذا التعبير أن جميع مخلوقات الله ترتبط ببعضها ارتباطاً وجودياً، حيث تشكل بمجموعها امراً واحداً، فنلاحظ الوحدة بين جميع مراتب الوجود، فالعالم هو شيء واحد مترابط، والفعل الذي يفعله الله هو ايجاد هذا العالم الواحد، وبمعنى آخر فان الله بالحقيقة لم يفعل إلاّ فعلاً واحداً وهو ايجاد العالم الواحد، فمجموع العالم بأبعاده المكانية والزمانية هو شيء واحد، والله سبحانه أوجد هذا

---

(١) العقائد الحقة: ٦٤.

(٢) معارف القرآن ١: ٩٨.

الشي الواحد، وقد طبّقوا الآية الشريفة القائلة: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾[١] على هذا المعنى، فنحن أمرناه مرة واحدة بكلمة (كن) فكان تحققه ووجوده[٢].

وقد قسم العلماء التوحيد الافعالي بدوره إلى أقسام هي[٣]:

(أ) التوحيد في الخالقية:

ويعني أنه ليس في عالم الوجود إلاّ خالق أصيل ومستقل واحد، وأما تأثير العلل الأخرى وفاعليتها فليست إلاّ في طول خالقية الله وعلّيته وفاعليته ومتحققة باذنه.

ومن خلال مطالعة آيات القرآن الكريم يتضح بجلاء أن الخالق المستقل الاصيل في هذا الكون هو واحد فقط (الله) عز اسمه، وأما خالقية ما سواه فهي في طول خالقيته لا في عرضها، وليس لأحد استقلال في الخلق والايجاد، ومن تلك الآيات القرآنية:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[٤].
- ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾[٥].
- ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٦].
- ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) القمر: ٥٠.

(٢) معارف القرآن ١: ٩٩.

(٣) التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته.

(٤) فاطر: ٤.

(٥) الانعام: ١٠٢.

(٦) لقمان: ١١.

وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[١].

فالخالقية المنحصرة في الله تبارك وتعالى غير قابلة لاتصاف الغير بها، ولا قابلة لاثباتها للغير، إذ إن الله مستقل في خلقه، بمعنى انه سبحانه لا يعتمد على شيء، ولا يستعين بأحد، ولا يحتاج إلى إذن آذن، وإذا ثبت الخلق والخالقية لغير الله، فـان المتصف بها يكون معتمداً على الله، محتاجاً إلى ارادته سبحانه وقدرته، فهي خالقية غير مستقلة بل تابعة لقدرة الله كما يشهد بذلك القرآن الكريم فـي قـصة عـيسى المسيح حيث قال:

﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللّٰهِ﴾[٢].

(ب) التوحيد في الربوبية والتدبير:

ونعني به أن تدبير هذا العالم هو بيد الله سبحانه وحده، ونستطيع أن نقف على معنى الرب من خلال مراجعة المعنى اللغوي لهذه الكلمة فالرب **«هو المالك، الخالق، الصاحب، والرب المصلح للشي، والله جل ثناؤه الرب، لأنه مصلح أحوال خلقه»**[٣].

فمعنى الربوبية تعني التدبير وإدارة العالم وتـصريف شـؤونه، ويـنص القـرآن الكريم على أن الله سبحانه هو المدبر الوحيد الحقيقي للـعالم، ويـنفي أي تـدبير مستقل لغير الله سبحانه، كقوله تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللّٰهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ...﴾**[٤].

وأيضاً قوله تعالى: **﴿ٱللّٰهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّماوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُـفَصِّلُ ٱلآيَـاتِ**

---

(١) الرعد: ١٦.

(٢) آل عمران: ٤٩.

(٣) مقاييس اللغة ٢: ٣٨١.

(٤) يونس: ٣.

﴿لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[١].

وقد أقام القرآن الأدلة والبراهين على «**التوحيد في الربوبية**» ومنها:

١ ـ التدبير لا ينفك عن الخلق:

أن الذي يعتقد بأن الله تعالى هو الخالق الوحيد يجب عليه أيضاً أن يعتقد بأنه تعالى هو «**المدبر الوحيد**» لكون التدبير خلقاً بعد خلق وهو فعل الله خاصة، وتوضيح ذلك:

«أن النظام الامكاني ـ بحكم كونه فقيراً ممكناً ـ فاقد الوجود الذاتي، وفقره هذا ليس منحصراً في وجوده في بدء تحققه، وانما يستمر معه في جميع مراحل وجوده، وليس التدبير إلاّ افاضة الوجود واعطاء «القدرة على التأثير» للشي الممكن، فكما أن الوجود مفاض من الله للممكنات، فكذلك تدبير وادارة وجود الممكنات تقوم به سبحانه، وليس هذا إلاّ نوعاً من الخلق، وإذ ليس هناك من خالق سواه سبحانه، فليس هناك مدبر سواه أيضاً»[٢]، ولذلك يذكر القرآن الكريم بعد مسألة الخلق مسئلة تدبير الأمر، كما هو واضح في الآيات المذكورة آنفاً.

٢ ـ وحدة النظام دليل على وحدة المدبر:

أن وحدة النظام الكوني وعمومية السنن والقوانين الطبيعية تقودنا إلى القول بأن ليس للعالم إلاّ خالق واحد، وانه ليس للعالم إلاّ مدبر واحد، لأن وحدة النظام لا تتحقق إلاّ إذا كان الكون بأجمعه تحت نظر حاكم ومدبر واحد، ولو خضع الكون لادارة وتدبير حاكمين لفسد هذا النظام الواحد، وقد أكد القرآن هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[٣] وأيضاً قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ**

---

(١) الرعد: ٢.

(٢) مفاهيم القرآن ١: ٣٩٩.

(٣) الأنبياء: ٢٢.

﴿وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١].

(ج) التوحيد في العبادة:

يعتبر القرآن الكريم التوحيد فى العبادة بأنه الاصل المشترك بين جميع الشرائع السماوية كما في قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾**[٢].

والمقصود بهذا التوحيد: أن نفرد خالق الكون بالعبادة، ونجتنب عبادة غيره مما يكون مخلوقاً له تعالى، وهذا في مقابل الشرك في العبادة الذي يعني أن يعبد الإنسان ـ رغم اعتقاده بوحدانية خالق هذا الكون ـ مخلوقاً لسبب من الاسباب[٣].

والعبادة هي الخضوع عن اعتقاد بالوهية المعبود وربوبيته، فالعبادة لا تكون إلاّ بتوفر الشرطين:

الأوّل: وهو الخضوع والتذلل، والثاني: الاعتقاد بالوهية المخضوع والتذلل له، وهذا ما تشير إليه الآية القرآنية: **﴿يَاقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ﴾**[٤]، ومعناها:

أن الذي يستحق العبادة هو من كان إلهاً، وليس هناك إله سوى الله، فكيف تعبدون سواه، وإلى هذا المعنى اشار العلامة البلاغي في تفسيره **«آلاء الرحمن»** حيث قال: **«العبادة ما يرونه مشعراً بالخضوع لمن يتخذه الخاضع إلهاً ليوفيه بذلك ما يراه له من حق الامتياز بالالوهية»**[٥].

---

(١) المؤمنون: ٩١.

(٢) آل عمران: ٦٤.

(٣) مفاهيم القرآن ١: ٤٣١.

(٤) الاعراف: ٥٩.

(٥) مفاهيم القرآن ١: ٤٦٢.

المبحث الثاني: الإسلام و التثليث

أولاً: القرآن والتثليث

أن المسيحيين من جهة موحدون إذ أنـهم يـؤمنون بـإله واحـد فـقط، خـالق السموات والأرض، ومن جهة أُخرى يعتقدون أن هذا الإله له أقانيم ثلاثة، فهم بهذا المعنى ليسوا موحدين إذ التثليث لا ينسجم مع التوحيد. يقول الأب ابراهيم لوقا: **«فنحن المسيحيون نؤمن بإله واحد ضابط الكل خالق السموات والأرض، جوهر واحد، كلي الكمال، في ثلاث خواص ذاتية، أبانها المسيح وكشف عنها القناع»**[١] .

وقد احتج القرآن على نفي التثليث بأشكال مختلفة، فهناك آيات تشير إلى نفي التثليث في بيانات عامة مثل: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[٢] ، كأن يكون إلى جانبه اثنان مثله ليصيروا جميعاً ثلاثة، فيكونان وثالثهم الله ليصدق عليه انه ثالث ثلاثة[٣] .

أو قوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ**﴾، فعندما وصف نفسه بـالواحـد قـرنه بـ ﴿**ٱلْقَهَّارُ**﴾ فوحدته وحدة قاهرة، وليست وحدة تقبل الشريك، فوحدته سـبحانه ليست عددية بل وحدته احدية[٤] .

وهناك آيات صرّحت بنفي التثليث كقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ ٱنْتَهُوا خَيْراً**

---

(١) المسيحية في الإسلام: ٧٣.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) التوحيد في القرآن: ١٨١.

(٤) نفس المصدر.

لَكُمْ﴾[١] وأيضاً قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾**[٢].

فقد عدّ الله سبحانه القول **﴿ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾** كفراً، لملازمته التحديد، وأن اثبات الابن والأب اثبات للعدد بالضرورة، وهو اثبات للكثرة الحقيقية وهذه الكثرة الحقيقية تؤول إلى الاثنينية والشراكة[٣].

وأيضاً قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[٤]. ففي هذه الآية تصريح في استحالة الابن عليه سبحانه، يقول العلامة الطباطبائي بخصوص هذه الآية: «**أن حقيقة البنوّة والتولد هو أن يجزء واحد من هذه الموجودات الحية المادية، كالانسان والحيوان و (النبات) شيئاً من مادة نفسه ثم يجعله بالتربية التدريجية فرداً آخر من نوعه مماثلاً لنفسه، يترتب عليه من الخواص والآثار ما كان يترتب على المجزي منه ، ومن المعلوم أن الله سبحانه يمتنع عليه ذلك لأسباب:**

أولاً:لاستلزامه الجسمية المادية،والله سبحانه منزه عن المادة ولوازمها الافتقارية،كالحركة والزمان والمكان وغير ذلك.

ثانياً:لأن الله سبحانه لإطلاق الوهيته وربوبيته له القيومية المطلقة على ما سواه، فكل شيء سواه مفتقر الوجود إليه، قائم الوجود به، فكيف يمكن فرض شيء غيره يماثله في النوعية، يستقل عنه بنفسه، ويكون له من الذات والاوصاف والاحكام ما له من غير افتقار إليه.

ثالثاً:فلأن جواز الايلاد والاستيلاد عليه تعالى يستلزم جواز الفعل التدريجي عليه تعالى،

---

(١) النساء: ١٧١.

(٢) المائدة: ٧٣.

(٣) العظيمان المباركان عيسى ومريم: ١١٤.

(٤) البقرة: ١١٧.

يستلزم دخوله تحت ناموس المادة والحركة، وهو خلف، بل ما يقع بارادته ومشيئته تعالى إنما يقع من غير مهلة وتدريج»[١].

ثم يضيف: ولو فرض قولهم: اتخذ الله ولداً كلاماً ملقى لا على وجه الحقيقة، بل على وجه التوسع في معنى الابن والولد، بأن يراد به انفصال شيء عن شيء يماثله في الحقيقة من غير تجز مادي أو تدريج زماني **«وهذا هو الذي يرومه النصارى بقولهم: المسيح ابن الله بعد تنقيحه»** ليتخلصوا بذلك عن اشكال الجسمية والمادية والتدريج، يبقى اشكال المماثلة وتوضيحه:

أن اثبات الابن والاب اثبات للعدد بالضرورة، وهو اثبات للكثرة الحقيقية، وان فرضت الوحدة النوعية بين الاب والابن، كالأب والابن من الإنسان هما واحد في الحقيقة الانسانية، وكثير من حيث انهما فردان من الإنسان، وعلى هذا فلو فرض وحدة الإله، كان كل ما سواه ومن جملتها الابن، غيراً له مملوكاً مفتقراً إليه، فلا يكون الابن المفروض الهاً مثله، ولو فرض ابن مماثل له غير مفتقر إليه بل مستقل مثله بطل التوحيد في الإله عز اسمه[٢].

وقد ذهب بعض علماء المسيحية إلى القول بأن التثليث الذي يرفضه القرآن ليس هو التثليث الذي يقول به المسيحيون، يقول صاحب كتاب المسيحية في الإسلام:

«ان التثليث لا ينقض وحدانية الله تعالى، لأنه لا يعني التعدد، ويظن البعض خطأ إن الإسلام قد حارب هذا التعليم الاساسي وأنكره وكفّر القائلين به، ولكن الباحث المدقق في موقف الإسلام إزاء هذا التعليم تتضح له تخالف الظن والمفروض، وهذه الحقائق التي تتجلى واضحة لكل من بحث هذا الأمر بحثاً دقيقاً بعيداً عن التعصب:

---

(١) تفسير الميزان ٣: ٢٨٨.

(٢) نفس المصدر.

أولاً: إن التثليث الذي حاربه الإسلام هو غير تثليث المسيحية الصحيحة.

ثانياً: أثبت علماء الإسلام للمسيحية فكرتها الصحيحة عن التثليث، وبالتالي اعلنوا أنها شيء آخر غير عقيدة التثليث المغلوطة التي ندد بها القرآن، واجتهد في اظهار ما بها من الابتداع.

ثالثاً: نظر الإسلام إلى المسيحيين وتكلم عنهم كقوم موحدين غير مشركين.

رابعاً: تكلم الإسلام عن الثالوث الاقدس كما تعلّم به المسيحية، وفي ذلك مصادقة منه لها على صحة هذه العقيدة»[1] .

ويقول يوسف الحداد في كتابه **«الانجيل في القرآن»** بهذا الخصوص:

«في هذه الآية ﴿وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ آنْتَهُوا﴾[2] **يحمل القرآن أيضاً لا على التثليث المسيحي كما يظن، بل على بدعة نصرانية ظهرت قبل القرآن»**[3] ، ولكن هذا الكلام خلاف ما أشار إليه القرآن في هذه الآية للاسباب التالية:

أولاً: ان التثليث المسيحي بكل الوانه وصوره، سواء كان رسمياً أم غير رسمي، هو مورد لتنديد القرآن، لانه غلو في الدين، وشرك بالله سبحانه، ومنافي لوحدانيته.

ثانياً: إن آخر الآية الكريمة يشير إلى مقولتهم المتفرعة عن التثليث، والتي يتبناها التعليم المسيحي الرسمي، ألا وهي نسبة الولد له سبحانه، قال تبارك وتعالى:

﴿وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ آنْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا آللّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ...﴾[4] .

---

(١) المسيحية في الإسلام: ٧٦.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) الانجيل في القرآن: ١٦٥.

(٤) النساء: ١٧١.

فقول الحدّاد أن القرآن لا يحمل على التثليث المسيحي، بل على: **«الذين جعلوا التثليث المسيحي (المبني على وحدة الجوهر الالهي) ثلاثة آلهة، فعددوا الجوهر الالهي الفرد»**[1]. في غير محله.

وعلّق الدكتور الصادقي على هذا القول: **«أن الحداد يغالط في خلط عقيدة الثالوث المسيحي بالانجيلي، رغم البون الشاسع بينهما، ويناقض في الجمع بين الواحد والثلاث... لذلك يضرب بسوط جبّار على آيات الله البيّنات في القرآن التي تندد بالثالوث المسيحي، انه ليس من عقيدة الانجيل، ثم يحاول موافقة القرآن للثالوث الانجيلي في وريقات»**[2].

وقد اشار الشيخ مكارم الشيرازي في تفسير قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ...﴾**[3] إلى هذا المعنى يقول: **«تتحدث (الآية) عن انحرافات المسيحيين، فتبدء بأهم تلك الانحرافات، أي (تأليه المسيح) و (تثليث المعبود)، وأي كفر أشد من أن يجعلوا الله اللامحدود من جميع الجهات متحداً مع مخلوق محدود من جميع الجهات، وأن يصفوا الخالق بصفات المخلوق، فالآية تتناول الغلو ووحدة المسيح بالله وهو (التوحيد في التثليث) وتشير إلى مسألة «تعدد الالهة» في نظر المسيحيين، أي (التثليث في التوحيد) وتقول: أن الذين قالوا أن الله ثالث الاقانيم الثلاثة لاريب انهم كافرون»**[4].

والعجب أن بعضهم استشهد بقول أبي حامد الغزالي في اثبات التثليث حيث قال: وقد أشار الغزالي إلى هذه العقيدة **«التثليث»** في كتابه **«الرد الجميل»** فقال: **«يعتقد النصارى ذات الباري تعالى واحدة في الجوهر ولها اعتبارات. فإن اعتبر وجودها غير معلق على**

---

(١) الانجيل في القرآن: ١٦٥.

(٢) عقائدنا: ١٢٨.

(٣) المائدة: ٧٣.

(٤) تفسير الامثل ٤: ١٠٨.

غيره، فذلك الوجود المطلق، وهو ما يسمونه بأقنوم الأب. وإن اعتبر معلقاً على وجود آخر، كالعلم المعلق على وجود العالم فذلك الوجود المقيد، وهو مايسمونه بأقنوم الابن أو الكلمة. وإن اعتبر معلقاً على كون عاقليته معقولة منه، فذلك الوجود المقيد أيضاً هو مايسمونه بأقنوم روح القدس، لأن ذات الباري معقولة منه، والحاصل من هذا التعبير الاصطلاحي: أن الذات الالهية واحدة في الجوهر، وإن تكن منعوته بصفات الأقانيم».

ويقولون أيضاً: «إن الذات من حيث هي مجردة لاموصوفة، عبارة عن معنى العقل، وهو المسمى عندهم بأقنوم الأب».

«وإن اعتبرت من حيث عاقلة ذاتها، فهذا الاعتبار عبارة عن معنى العاقل، وهو المسمى بأقنوم الابن والكلمة».

«وإن اعتبرت من حيث إن ذاتها معقولة منها، فهذا الاعتبار عبارة عن معنى المعقول، وهو المسمى بأقنوم الروح القدس. فعلى هذا الاصطلاح، يكون العقل عبارة عن ذات الله فقط، والأب مرادف له، والعاقل عبارة عن ذاته بمعنى أنها عاقلة ذاتها، والابن أو الكلمة مرادف له، والمعقول عبارة عن الإله المعقولة ذاته منه، والروح القدس مرادف له أيضاً». ثم عقب قائلاً: «إذا صحت المعاني فلا مشاحة في الالفاظ ولا في اصطلاح المتكلمين»، ويعلّق مؤلف الكتاب على ذلك بقوله: «من تفسير الإمام الغزالي عقيدة التثليث المسيحية، وتعليقه عليها يتضح إن فلاسفة الإسلام وعلماؤه أدركوا أن عقيدة المسيحية الصحيحة في التثليث هي غير تلك العقيدة المبتدعة التي أشار إليها القرآن ونده بها»[1].

ولكن من يراجع كتاب «الرد الجميل لإلهية المسيح» يرى إنه جعل كلام أبي حامد الغزالي عضين، فإنه كان في مقام نفي الوهية المسيح بشدة، والمقطع الذي استشهد به الكاتب كان بعنوان «خاتمة» يقول الغزالي: «خاتمة: هي من أعظم معضلاتهم التي يعوّلون عليها مثبتين بها إلهية عيسى عليه السلام جعلها يوحنا فاتحة انجيله هي: «في البدء كان الكلمة

---

(١) المسيحية في الإسلام: ٨.

والكلمة كان عند الله...»[١]. ويضيف: اما أول هذا الفصل فلا تعلق له بثبوت الالهية لعيسى عليه السلام بوجه لانهم **«يعتقدون... الخ»**، فيذكر ما استشهد به الكاتب إلى أن يقول الغزالي: **«هذا اعتقادهم في هذه الاقانيم وكلام شارح انجيلهم في أول هذا الفصل، وإذا صحّت المعاني فلا مشاحة في الالفاظ، فقد وضح بما شرحوه ان أول هذا الفصل لا دلالة فيه على الالهية لعيسى عليه السلام البتة»** وبعد ذلك يذكر شبهتان في هذا الفصل ويجيب عليهما، ثم يقول: **«وقد سلكوا في تأويل الاقانيم مسلكاً لزمهم القول بوجود ثلاثة الهة في الذهن والخارج متباينة ذواتها وحقائقها، أو نفي ذات الاله جل اسمه»**.

وذلك انهم جعلوا الأب عبارة عن الذات بقيد الابوة، والابن عبارة عن الذات بقيد البنوة، وروح القدس عبارة عن الذات بقيد الانبثاق، ثم يقولون إله واحد.

فإذا ضويقوا في ذلك وتبينوا ان ذات الاب مختصة بصفة الابوة غير قابلة لوصفها بالبنوّة، وكذلك القول في الابن وروح القدس، وليست من الذوات المتضائفة، فتقدّر أباً لشخص وابناً لغيره، قالوا ان الذات واحدة ووصفها بجميع هذه الصفات ممكن، لكنّا إذا وصفناها بصفة قدرنا نفي ما يباينها، وهذا مكان الجهل والغفلة، لانهم يقولون بقدم هذه الذوات ازلاً، وبقدم صفاتها، فإذا هي ملزومات الصفات، وصفاتها لازمة لها، ومتى وجد الملزوم وجد اللازم، ومتى انتفى اللازم انتفى الملزوم، فإذا قدر نفي الصفة اللازمة للذات، قدر نفي الذات، وإلى هذا المعنى اشار الكتاب العزيز بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[٢].

فالدين الاسلامي أكد على التوحيد، ورفض كل انواع الشرك سواء كان بصورة إله مع الله، أم التعدد في الذات الالهية، وقد ندد بكل ألوان التثليث المسيحي أو غيره، واعتقد أن الكثير من النصارى أيضاً رفضوا فكرة التثليث واعتبروها مخالفة

---

(١) يوحنا ١ : ١.

(٢) الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل: ٤٣ ـ ٥٢ باختصار.

للتوحيد الخالص ومنهم القديس توما الاكويني الذي رفض القول بالاقانيم الثلاثة المستقلة في الذات الالهية حيث قال:

«أن الاقنوم جوهر مفرد ذو طبيعة ناطقة، فلو كان في الله اقانيم متكثرة، لكان فيه جواهر متكثرة وهذا بدعة» ويضيف في ردّه للثالوث: **«أن كل ما في الله فهو في وحدة الذات الالهية، لأن الله هو عين ذاته، فلو كان في الله ثالوث لكان ذلك في وحدة الذات الالهية، فكان الله ثلاث وحدات ذاتية، وهذا بدعة»**(١).

وآخرون كثيرون أيضاً من الفلاسفة والمؤمنين المسيحين الذين توصلوا إلى حقيقة أن التثليث مخالف للايمان بوحدانية الذات الالهية المقدسة، يقول محمد فاروق الزين بهذا الصدد:

«تطورت حركات مسيحية توحيدية نبذت عقيدة الثالوث، ورفضت تأليه المسيح، واعلنت أن الله واحد أحد، وأصرّت على وجوب استخدام العقل والمنطق السليم في الدين، وقد كان ذلك بمثابة عودة إلى فكر النصارى الاوائل ومن خلفهم من الإبيونايت والأريسيين الذين كانوا قد زالوا من الوجود نتيجة قمع الكنيسة المسيحية لهم»(٢).

ثانياً: العقل والتثليث:

لقد اعترف بعض علماء المسيحية في أن التثليث هو أمر فوق العقل، ولكنهم رفضوا القول بأنه يضاد العقل، قال أحد علمائهم:

«نعم إنه «التثليث» أمر يفوق العقل، كيان الله الواحد بثلاثة أقانيم، وتجسد الاقنوم الثاني لفداء الإنسان، ولكنه لا يضادّه (العقل)، وشأن امور الله أن تفوق عقولنا، وأن كل ما خطر على بالك، فالله

---

(١) الخلاصة اللاهوتية لتوما الاكويني: ٣٧٣ نقلاً عن د. عبد المنعم فؤاد: المسيحية: ٢٥٦.

(٢) المسيحية والاسلام والاستشراق: ١٢٢.

خلاف ذلك»[١].

وقد أجاب ابن تيمية على هذا القول بالتساؤل: **«أنت تصوّر ما تقول أم لا تصوّره ولاتفهمه ولا تعقله؟ فإن قال: لاأتصور ما أقول، ولا افقهه، ولا اعقله، فقد قال على الله ما لا يعلم، وذلك من اعظم القبائح المحرّمة في الشرائع وإن قال: اني أفقه ما أقول، وأتصوره، واعقله، قيل له: بيّنه لغيرك حتّى يفقهه، ويعقله ويتصوره، ولا تقل هذا فوق العقل، لانك عقلته وفهمته»** ويرى أن التسليم بمقالات النصارى بحجة أنها فوق طور العقل يؤدي إلى أمور كلها باطلة وهي:

١ ـ يوجب عدم البحث في شيء من الالهيات بالعقل.

٢ ـ يفتح الباب أمام كل مبطل ليقول ما يشاء من الباطل، ويعتذر عن عدم قدرته على الاحتجاج له والاستدلال عليه، بأنه فوق العقل أو وراء طوره.

٣ ـ الاحتجاج بكلام من ليس قوله حجة، إذ لا يحتج إلاّ بنقل ثابت عن الأنبياء، أو ما يعلم بالعقل.

٤ ـ التصديق بأمور يمتنع أن يخبر الأنبياء بها، لأن الأنبياء يخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول[٢].

وأيضاً ردّ أحد علماء الإسلام على هذا الرأي بقوله:

«إذا كان كيان الله بثلاثة أقانيم فوق ادراك العقل، والعقل قاصر عن ذلك، وإن كل ما خطر بالبال فالله خلاف ذلك، فمن أين نحكم بأن الكيان المذكور مركّب من ثلاثة أقانيم؟ وهل يكون ذلك الكيان (كيان الله) بسيط[٣] **أو مركب**[٤] ؟

---

(١) الرد على النصارى: ٩٥.

(٢) الجواب الصحيح ٣: ١٣١ ـ ١٣٧.

(٣) البسيط: هو الذي له طبيعة واحدة، أو ما لا تركيب فيه من شيئين مختلفين.

(٤) المركب: وهو خلاف البسيط، أي الذي يكون مركباً من أشياء، وينقسم إلى حقيقي واعتباري، وكل منهما ينقسم إلى خارجي وعقلي. شرح المصطلحات الفلسفية: ٣٦٤.

فإن قلت: انه بسيط فقد خالفت قولك بأنه متكون من ثلاثة أقانيم.

وإن قلت: انه مركب، فهذه الثلاثة إن كانت أزلية فقد تعددت الآزال[١]، وإن كان بعضها أزلياً وبعضها حادثاً فأسوء حالاً، لأن الواجب قد تركب من القديم والحادث، ثم قبل حدوث الجزء فالكيان ناقص، وهل يمكن للناقص أن يؤثر في غيره قبل كماله؟

فان قلت: إن تعددها لا ينافي البساطة.

قلت: هذا التعدد حقيقي أو اعتباري؟

فعلى الأول يجي التركيب، ومن المركب هل هو أحد الثلاثة أو غير الثلاثة؟ ومن ذلك الغير؟ فان قلت به (الغير): فأما أن يدور أو يتسلسل، وهو محال.

وان قلت: إن التعدد اعتباري.

قلت: كل واحد من الثلاثة اعتباري؟ أو بعضها اعتباري وبعضها حقيقي؟ وعلى الأوّل تكون ذات الواجب اعتبارية لا حقيقية (وهو محال).

فان قلت: ان الواحد من الثلاثة أصل حقيقي وغيره اعتباري.

قلت: لم يكن حينئذ كيان الله سبحانه بثلاثة أقانيم، بل من أقنوم واحد[٢].

بل اعترف البعض منهم أن عقيدة التثليث والتجسد مناقضة للعقل تماماً، ولكن مع ذلك فنحن نؤمن بها، يقول القس وهيب عطا الله:

«انها قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتّى ولو لم يكن معقولاً»[٣].

وأيضاً كما ينقل عن أوغسطين قوله:

---

(١) الازلي هو الذي لم يكن ليس، وما لم يكن ليس لا يحتاج في قوامه إلى غيره، والذي لا يحتاج في قوامه إلى غيره لا علة له.

(٢) الرد على النصارى: ٩٧.

(٣) القس وهيب عطا الله، طبيعة السيد المسيح (ع): ١٨، عن د. أحمد الشلبي، المسيحية: ١٢٤.

«أؤمن بالمسيحية لأنها دين غير معقول»[١].

فالمسيحيون حينما يواجهون الاشكالات العقلية حول عقيدة التثليث، يلجأون إلى لجم العقل وتعطيله بقولهم أن العقل قاصر عن ادراك مثل هذه المسائل، لأنّها من الإيمان وعالم الغيب الذي لاحظ للعقل فيه، ولان الوحي قد جاء بها فيجب قبولها والاذعان لها وإن كانت مخالفة للعقل، ويؤكدون على أن الكثير من المسائل الدينية يحيلها العقل ولكن تُقبل تعبداً وهذه العقيدة منها.

ولكن هذا الكلام مجانب للصواب، إذ كيف يستطيع الإنسان أن يميز دين الحق عن الباطل، أليس بالعقل؟ وحتّى المسيح وتلاميذه فانهم كانوا يجادلون اليهود بالأدلة والاستدلالات لكي يثبتوا أن المسيح مرسل من الله سبحانه، وكان يدعوهم إلى اتباع العقل من خلال تطبيق ما تنبأ به العهد القديم بالنبي الموعود (المسيح)، فإذا كان العقل له الدور الرئيسي في تشخيص الدين الحق من الباطل، فكيف يقبل بعقيدة تشتمل على محالات وتناقضات يرفضها؟

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها: ١١.

الفصل الثالث

المسيح وألوهيته في الإسلام

ويتضمن المباحث التالية:

تمهيد

المبحث الأول: نقد ألوهية المسيح في القرآن

المبحث الثاني: نقد ألوهية المسيح عقلاً

المبحث الثالث: أدلة النصارى على ألوهية المسيح من القرآن

المبحث الرابع: موقف علماء الإسلام من أدلة ألوهية المسيح في الأناجيل

المبحث الأول: نقد الوهية المسيح في القرآن

أن القرآن ينادي بأعلى صوته كما أشرنا إلى عقيدة التوحيد، فالله سبحانه لا شريك له ولا إله آخر معه، وأيضاً فهو سبحانه صرف الوجود وبسيط الحقيقة لا تكثر ولا تركيب في ذاته المقدسة أبداً، إذ التكثر والتركيب يؤدي بالنتيجة إلى الاحتياج، وهو الغني المطلق.

وقد نفى سبحانه وتعالى في كتابه المنزل عل نبيه محمدﷺ الشريك والولد، والأوّل كما هو واضح اشاره منه سبحانه على نفي كل إله آخر سواه، والثاني هو نفي التركيب والتكثر في ذاته وهو ما يقول به المسيحيون، فانهم يرفضون وجود إله آخر مع الله كما وضحّنا ذلك في عقيدة التثليث، ولكنهم يعتقدون بأن الذات الالهية مكونة من ثلاثة جواهر واقانيم مستقلة وهي (الأب والابن والروح القدس)، وبذلك فهم ظاهراً يرفضون التوحيد في الذات.

لقد احتج القرآن على القائلين بـ(تثليث الوحدة) وهو الأمر المشترك بين جميع المذاهب المسيحية، واهتم بعقيدة واحدة مشتركة بينهم وهي البنوة، بمعنى كون المسيح ابن الله، ولأنه ابن الله فهو من سنخ وطبيعة الإله سبحانه.

وقد احتج القرآن على قولهم بطريقين:

الأول: الطريق العام، وهو بيان استحالة الابن عليه تعالى في نفسه، أي سواء كان عيسى هو الابن أو غيره.

الثاني: الطريق الخاص، وهو بيان أن عيسى ابن مريم ليس ابناً إلهاً بل عبد

مخلوق[١].

ونحن أشرنا إلى الطريق العام في بحثنا حول التثليث، وسنكتفي هنا ببيان الطريق الثاني، وهو بيان أن شخص عيسى بن مريم ليس ابناً لله مشاركاً له في الحقيقة الالهية.

وأهم دليل يقيمه القرآن على نفي الألوهية عن المسيح هو ما اتصف به من صفات البشرية ولوازمها، فان الإنسان لا يكون إلهاً بحال من الاحوال وهذا يحتاج إلى اثبات عقلي مستقل.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره **«الميزان في تفسير القرآن»** بخصوص هذه المسألة:

«ان المسيح حملت به مريم، وربته جنيناً في رحمها، ثم وضعته وضع المرأة ولدها، ثم ربته كما يتربى الولد في حضانة أمه، ثم أخذ في النشوء وقطع مراحل الحياة والارتقاء في مدارج العمر من الصبا والشباب والكهولة، وفي جميع ذلك كان حاله حال انسان طبيعي في حياته، يعرضه من العوارض والحالات ما يعرض الإنسان، من جوع وشبع، وسرور ومساءة، ولذة وألم، وأكل وشرب، ونوم ويقظة، وتعب وراحة غير ذلك.

فهذا ما شوهد من حال المسيح حين مكثه بين الناس، ولا يرتاب ذو عقل أن من كان هذا شأنه فهو إنسان كسائر الأناسي من نوعه، وإذا كان كذلك فهو مخلوق مصنوع كسائر أفراد نوعه»[٢].

ومن الآيات التي أشارت إلى بشرية المسيح قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** إلى قوله تعالى: **﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ**

(١) الميزان ٣: ٣٣٠.

(٢) نفس المصدر ٣: ٣٣٢.

مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَاتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[١].

وقد خص الله تبارك وتعالى أكل الطعام من بين جميع الافعال بالذكر لكونه من أحسنها دلالة على المادية وأستلزاماً للحاجة والفاقة المنافية للالوهية، فمن المعلوم أن من يجوع ويظمأ بطبعه ثم يشبع بأكله أو يرتوي بشربة ليس عنده غير الحاجة والفاقة التي لا يرفعها إلاّ غيره، فما معنى الوهية من هذا شأنه؟ فإن الذي قد أحاطت به الحاجة واحتاج في رفعها إلى الخارج من نفسه فهو ناقص في نفسه مدبر بغيره، وليس بإله غني بذاته، بل هو مخلوق مدبر بربوبية من ينتهي إليه تدبيره[٢].

وأيضاً قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٣].

فلو كان المسيح إلهاً لقدر على دفع أمر الله تعالى إذا أراد سبحانه أهلاكه واهلاك غيره، يقول في مجمع البيان: **«وبهذه الآية أجاب الله سبحانه على النصارى القائلين بأن الله جلّ جلاله اتحد بالمسيح فصار الناسوت لاهوتاً يجب أن يُعبد ويتخذ إلهاً، فاحتج عليهم بأن من جاز عليه الهلاك لا يجوز أن يكون إلهاً»**[٤].

وأيضاً تشبيه عيسى المسيح بآدم حيث قال سبحانه: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ**

---

(١) المائدة: ٧٣.

(٢) نفس المصدر ٣: ٣٣٣.

(٣) المائدة: ١٧.

(٤) مجمع البيان ٣: ٢٣٠.

كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1] وغيرها من الآيات الكثيرة الاخرى التي تشير إلى كون المسيح انساناً مخلوقاً وعبداً رسولاً، ولذلك نبّه القرآن على عدم الغلو في شخصية المسيح كما في قوله تعالى: **﴿يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَىٰ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَىٰ ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ...﴾**[2].

---

(١) آل عمران: ٥٩.

(٢) النساء: ١٧١.

المبحث الثاني: نقد الوهية المسيح عقلاً

لقد أثار علماء الإسلام الكثير من الاشكـالات العـقلية عـلى مسألة التـجسد وألوهية المسيح، ورفضوا هذه العقيدة رفضاً قاطعاً، وسنتطرق هنا إلى بعض تلك الاعتراضات العقلية على الوهية المسيح.

الاشكال الأول:

أن الحقائق الثلاثة (الوجوب ـ الامكان ـ الامتناع)[1] يستحيل انـقلاب كـلّ واحد منها إلى الآخر، فالوجوب لا يكون إمكاناً ولا امتناعاً، والامتناع لا يكون وجوباً ولا إمكاناً، وكذلك الامكان، فلو انقلب الوجوب الذاتي إلى الإمكان لكان الوجوب الذاتي جامعاً بين استحالة العدم وجـواز العـدم عـليه، وهـو مسـتحيل بالضرورة العقلية والوجدانية.

وحينئذ فالقول أن الكلمة (الابن) صارت جسداً، وهي الاقنوم الثاني من كيان وذات الله الواجب الوجود، يكون باطلاً، لأنه مع تفسير الكلمة بالاقنوم الثاني يكون انقلاب الوجوب الذاتي إلى الامكان الذاتي الذي وضحنا استحالته[2].

---

(١) كل مفهوم إذا قيـس إلى الوجود، فإمّا أن يجب له فهو الواجب، أو يمتنع وهو الممتنع، أو لا يجب له ولا يمتنع وهو الممكن، بداية الحكمة: ٥٥.

(٢) الرد على النصارى: ١٠١.

الاشكال الثاني:

وهو ما ذكره الشيخ البلاغي (رحمه الله) وهو يتكون من مقدمات نذكرها باختصار:

المقدمة الأولى: أن واجب الوجود لا يكون مركباً، لأن المركب محتاج إلى اجزائه وإلى فاعل يركبها ويؤلف بينها، والمحتاج لا يكون واجب الوجود.

المقدمة الثانية: لا يكون واجب الوجود مادّياً، لأن المادي مهما فرض له من البساطة في الماهية لابد من أن يكون مركباً في المقدار.

المقدمة الثالثة: إذا تجسد واجب الوجود، فأما يكون تعالى شأنه جسداً من الازل بمعنى كونه مادياً من الازل وقد تقدم امتناعه على واجب الوجود (ولا يقول به النصارى انفسهم). وأما أن يكون التجسد حادثاً، وهذا يعني تغير كيانه الأوّل، وواجب الوجود لا يمكن أن يتغير كيانه، ومن الواضح أنه يستحيل أن يتبدل هذا الكيان إلى كيان آخر وإن كان بسيطاً أيضاً، لأن الكيان الأوّل يخرج عن كونه واجب الوجود، والكيان الثاني أيضاً سيكون حادثاً بالضرورة فلا يكون واجب الوجود(١).

الاشكال الثالث:

القول أن ذات الله وكيانه انبثق من جوهره وكيانه الالهي موجوداً آخر نسميه إلهاً مولوداً من إله (وهو ما يقول به النصارى) وقد تجسد هذا الابن ونزل إلى الأرض متلبساً بلباس البشر، وهذا الجوهر الالهي المنبثق (الابن) مستقل عن الأب والروح القدس (اقانيم كيان الله وذاته) باطل وممتنع وذلك:

لان التعدد في ذات الاله الواحد (الله)، لابد فيه بعد الاشتراك في الألوهية أن

---

(١) الرحلة المدرسية ٢: ٣٢٠.

يمتاز كل واحد بمميز له عن الآخر بحيث يصح التعدد (التثليث) والحكم به.

فنقول: هذا الامر المتمايز هل هو بجعل فاعل متصرف، وبتصرفه وتكوينه ميز كل واحد عن صاحبه، فيكون ذلك الفاعل هو واجب الوجود وهو الإله، وبقية الافراد لا توصف بالالوهية، وإذا قلنا أن هذا الاله متعدد ننقل الكلام بعينه إليه.

أو أن المؤثر في امتياز كل واحد من الافراد المتعددة هو طبيعي فيه، فلابد من أن يكون المائز في امتياز كل منها هو غير الجهة المشتركة بينها من الطبيعة الالهية ووجوب الوجود كما هو واضح، فيكون كل من الافراد مركباً من الطبيعة المشتركة، والامر الطبيعي الذي يمتاز به، وبالنتيجة فيكون محتاجاً إلى أجزائه وإلى فاعل يؤلفها ويركبها، فلا يكون كل منها واجب الوجود[١].

الاشكال الرابع:

أن ناسوت المسيح مع الذات المتحدة به إن كانتا بعد الاتحاد ذاتين، وهما جوهران ـ كما كان قبل الاتحاد ـ فليس ذلك باتحاد.

وان قيل: صار جوهراً واحداً ـ وهو ما يعتقد به المسيحيون ـ كالنار مع الحديد أو اللبن مع الماء، فهذا يستلزم استحالة كلٍّ منهما وانقلاب حقيقته، وحينئذ يلزم أن يكون اللاهوت استحال وتبدّلت صفته وحقيقته، ووجدت له أخرى وانعدمت حقيقته الاولى، وذلك باطل لأن القديم واجب الوجود بنفسه يستحيل عدمه[٢].

الاشكال الخامس:

إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم (الأب ـ الابن ـ الروح القدس) فالامر

---

(١) الرحلة المدرسية ٢: ٣٢٧.

(٢) منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى: ٢١٦.

الذي حصل به هذا الامتياز إما أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون، فعلى الشق الأوّل لم تكن جميع صفات الكمال مشتركاً فيها بينهم، وهو خلاف ما تقرر عند المسيحيين من أن كل أقنوم من هذه الاقانيم متصف بجميع صفات الكمال، وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفاً بصفة ليست من صفات الكمال، وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه[١].

الاشكال السادس:

أن اقنوم الابن إذا تجسد وحلّ في جسم المسيح، فلا يخلو إما أن يكون باقياً في ذات الله أيضاً أو لا: فإن كان الأوّل لزم أن يوجد الحال الشخصي في محلّين، وإن كان الثاني لزم أن تكون ذات الله خالية منه (الاقنوم الثاني) فينتفي (الله سبحانه) لأن انتفاء الجزء يستلزم انتفاء الكل[٢].

الاشكال السابع:

إن الاله إذا كان خالقاً للناسوت ثم ظهر فيه متحداً به فقد حدثت له صفة بعد خلقه، وهو اتحاده به وظهوره فيه، فنقول:

إذاً هذه الصفة إن كانت واجبة الوجود استحال اتصافها بالحدوث، وإن كانت ممكنة الوجود استحال اتصاف الباري بها، لان صفات ذات الباري كلها واجبة الوجود، لان كل ما لزم من عدم وجوده محالٌ فهو واجب الواجب، وصفات الاله يلزم من عدم وجودها محالٌ بيّن[٣].

---

(١) اظهار الحق ٣: ٧٢٧.

(٢) نفس المصدر: ٧٢٩.

(٣) الرد الجميل الالهية المسيح بصريح الانجيل: ٢٨.

فان قيل: إن كان هذا لازماً، استحال خلق العالم، بل استحال خلق مخلوق واحد، لان الله عزوجل إذا خلق مخلوقاً واحداً حدثت له صفة، وهو اتصافه بخلقه فيلزم المحال المذكور.

فالجواب: ان هذا غير لازم البتة، لان المعني من كون الله خالقاً تقديره الخلق في الازل، وهذه الصفة ثابتة له ازلاً، فإذا خلق مخلوقاً، فعلمه بوجوده في زمن خلقه والقدرة على ايجاده في ذلك الزمان أيضاً كلاهما ثابت ازلاً، فلم يبق حادث سوى وجوده، ووجوده ليس صفة قائمة بذات الاله جل اسمه، بل بذات المخلوق، واما نسبة الوجود إلى تأثير القدرة فيه زمن ايجاده، فذلك من باب النسب والاضافات، والنسب والاضافات ليست أمراً وجودياً كالفوقية والتحتية والابوة والبنوة، وهذا معنى بيّن الظهور بخلاف ما تقدم فانه إذا اتحد بالناسوت كان اتحاده به صفة قائمة بذاته، تعالى الله عن ذلك.[1]

الاشكال الثامن:

لو فرض وجود هذه الحقيقة **«اللاهوت المتحد بالناسوت»**، فالقول بانها حقيقة ثالثة مغايرة لكل واحد من اللاهوت والناسوت، موصوفة بكل ما يجب لكل واحد منهما من لوازم الإنسان وملزوماته وصفاته من حيث هو انسان، وما يجب للاله من الصفات الثابتة له وما يستحيل عليه من الصفات من حيث هو اله، كلام متهافت لا مطمع لاحد في تحقيقه لأنه يجمع بين النقائض، وبيانه:

ان الشي انما يوصف بصفة إذا كان وصفه بها ممكناً، وإذا ثبت ذلك امتنع أن يجري على هذه الحقيقة أحكام اللاهوت وأحكام الناسوت، لان جميع ما يجب للاهوت من الصفات وغيرها المختصة به من حيث هو لاهوت المميزة له عن غيره،

---

(١) نفس المصدر.

إن كانت ثابتة للحقيقة الثالثة لزم أن تكون عين اللاهوت، وكذلك القول في الناسوت، لاشتراكهما معهما في جميع لوازم كل واحد منهما، وجميع ملزوماته وصفاته الثابتة له من حيث هو اله، ومن حيث هو انسان على حدّ ما ذكر.

إذا لو ثبت المغايرة والحالة هذه، تلزم أن تثبت لشي جميع ذاتيات الإنسان المقوّمة لحقيقته، وجميع عوارضه اللازمة والمفارقة، ويُفرض مع ذلك حقيقة مغايرة لحقيقة الإنسان. هذا من المحال البيّن لأن جميع ذاتيات الإنسان المقوّمة له وجميع عوارضه الثابتة له من حيث هو انسان، متى وجدت في شيء أوجبت لذلك الشي حقيقة الانسانية، ونفت عنه صدق ما يغايرها، وإلاّ لم تكن ثابتة له من حيث هو انسان وقد فرضناها كذلك، هذا خلف.

ثم لو كانت الهاً كاملاً لثبت لها أوصاف الاله الكامل، ومن اوصاف الاله الكامل أن لا يكون مركباً منه ومن الإنسان، لانه يلزم ان تكون ذات الاله محتاجة إلى الإنسان في الوجود ومسبوقة به وبنفسها أيضاً.

فان قيل: انما يلزم ذلك إذا جعلناها موصوفة بجميع ما يجب للإله من الصفات وغيرها، وكذلك القول في الناسوت من حيث هو حقيقة، اما إذا أجرينا على كل من اللاهوت والناسوت جميع أحكامه وصفاته التي كانت ثابتة له قبل التركيب، فلِمَ قلتم إن ذلك ممتنع؟

فالجواب: ان اعتبار أحكام جميع ما يجب لكل واحد منهما من حيث هو إله وانسان، ان اعتبرت لا بقيد التركيب، استحال أن يكون للحقيقة الثالثة اعتباراً، إذ يكون ذلك حكماً على المفرد بقيد كونه مفرداً.

وان اعتبرت بقيد التركيب استحال بقاء جميعها بعد التركيب، إذ لو بقى جميع ما يجب لكل واحد من المفردين من حيث هو كذلك بعد التركيب ثابتاً لهما، للزم أن يكون ثابتاً للحقيقة الثالثة، وحينئذ يلزم المحال المذكور، وهو أن تكون الحقيقة

الثالثة نفس اللاهوت ونفس الناسوت،، لاشتراكها معهما في جميع ما يجب لكل واحد منهما من الصفات وغيرها من حيث هو اله ومن حيث هو انسان.

فثبت حينئذ ما ذكرناه، ان وصفها بكل ما يجب لكل واحد من اللاهوت والناسوت ممتنع، سواء اعتبرنا كل واحد منهما بقيد التركيب أو منفكاً عنه[١].

فان قيل: انما يلزم ذلك كله إذا كان التركيب (الاتحاد) الذي نقول به بتركيب امتزاج واختلاط، ونحن لا نقول بذلك، وانما نعني بتركيب هذه الحقيقة تركيباً معنوياً يرجع حاصله إلى تعلّق معنوي بين اللاهوت والناسوت (كتعلق النفس بالبدن).

فالجواب: ان وجود كل حقيقة مركبة موقوف على وجود أجزائها وتركيبها تركيباً خاصاً، فحينئذ تكون مفتقرة في وجودها إلى وجود أجزائها، ويكون كل جزء من أجزائها مفتقراً في جزئيته، أي فيما يصير به جزءاً محصلاً له صفة الجزئية، وتركيبه الخاص الى انضمام غيره، والتقدير ان أحد جزئي هذه الحقيقة اللاهوت، وجزئها الآخر الإنسان، وهو المحصل للاهوت صفة الجزئية وتركيبه الخاص بانضمامه إليه جزءاً، إذ بذلك حصل مجموع ما ذكر، فيكون اللاهوت مفتقراً إلى الإنسان، وذلك محال بيّن بطلانه، هذا إذا لم يُرد بالتركيب تركيب امتزاج واتحاد أو مجاورة.

فان قيل: ان هذا التركيب حاصل ولكن لا تُعلم حقيقته.

فالجواب: ان مخالفة صرائح العقول، والركون إلى أمر غير معقول جهالة وسخافة في العقل، وإذا اعترفوا بان الاتحاد غير معقول الحقيقة، كيف يستجيز العاقل إن يطلق الصلب على المسيح الذي هو اقنوم لحقيقة الاله فقط، ويصرّح بجهله بحقيقة الاتحاد الذي يبتني على العلم به، ردّ الالم إلى الإنسان وصرفه عن

---

(١) الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل: ٣١.

الاله جل اسمه[١].

وهناك اشكالات أخرى كثيرة ذكرت في المقام توضح الاستحالة العقلية على وجود إله آخر سواه سبحانه، أو أن يكون له ولد أو مشارك في الجوهر والطبيعة الالهية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) نفس المصدر: ٣٥.

المبحث الثالث: أدلة النصارى على ألوهية المسيح من القرآن

لقد حاول بعض علماء المسيحية الاستدلال على الوهية المسيح من القرآن من خلال متابعة آياته، بل وعلى التثليث أيضاً، حيث قال ثروت سعيد ـ في مقدمة كتابه ـ في معرض حديثه عن التجسد: **«كما سنتعرض أيضاً لرأي القرآن الكريم ولبعض آياته البيّنات التي تؤيد تجسد كلمة الله في المسيح، وموته ورفعه وقيامته، وآيات القرآن الكريم التي تقف في خندق واحد مع المسيحية ضد الشرك والوثنية»** ثم يضيف: **«كما ننوه للقاري واحقاقاً للحق بأن القرآن الكريم الذي أنصف المسيح له المجد غاية الانصاف وغاية التبجيل في آياته البيّنات، ودافع عنه في كثير من آياته، وحارب العقائد التي سميت مسيحية في عصره، والهرطقات التي كانت موجودة في الجزيرة العربية وقت ظهور الاسلام، والتي رفضتها المسيحية بكل قوة قبل مجي الاسلام، ولذا جاءت الكثير من الآيات الكريمة التي تحارب تلك العقائد لبعض الجهلة والعوام من الفرق المحسوبة على المسيحية، والكثير من الآيات الاخرى التي تؤيد العقيدة المسيحية تماماً كما جاءت في الانجيل...وليست المسيحية دين كفر أو شرك أو ضلال كما يعتقد بعض إخواننا المسلمين، ولهم العذر في ذلك، لصعوبة التفرقة بين الآيات التي تحارب البدع والهرطقات، والتي يقف ضدها القرآن الكريم ويحاربها، وبين العقيدة المسيحية الصحيحة التي يقف معها ويساندها والتي تطابق الكتاب المقدّس»**[1].

وقد صرح صاحب كتاب (الباكورة) وهو من علماء النصارى بذلك فقال: **«إن القرآن يطابق ما في التوراة والانجيل من كون عيسى جوهراً من جوهر الله، وذاتاً من ذاته، حيث**

---

(١) حقيقة التجسد: ٩ ـ ١٢.

عبّر عن البشارة به «بكلمة منه» و «بروح منه» على غير نمط البشارة بغيره من الأنبياء كما لا يخفى، وما ذاك إلاّ لكون عيسى أحد كيان (كيانات) الله، وأنه مولود من الله تعالى»[١].

ويقول الحداد: **«يعدّد القرآن نعم الله على عيسى والميزات التي اختصه بها دون سواه والخواص التي رفعته فوق المخلوقين إلى مقام يشعر بألوهيته»**[٢].

ويضيف في موضع آخر: **«رسول الله، المسيح عيسى ابن مريم، امتاز بين الرسل بأنه (كلمة الله، وروح الله)، وهذان اللقبان يصفانه، بعلاقة مصدرية أقنومية عقلية روحية الهية، فهو كلام الله الداخلي الجوهري (القائم بذات الله)»**[٣].

ويقول ثروت سعيد في كتابه «حقيقة التجسد»: وواضح من الايات القرآنية التي تدل على أن المسيح روح الله، ونحن نعلم ان كل ما في الله فهو الله، وكلمة الله هو الله أزلي أبدي، وروح الله هو الله أزلي أبدي وهذا يوافق تماماً ما ورد في الانجيل: **«في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله»** (يوحنا ١:١)[٤].

وقد نفى الأب القمص (ابراهيم لوقا) في كتابه المسيحية في الإسلام أن يكون الإسلام أو القرآن قد حارب بنوّة المسيح لله كما يعتقد بها المسيحيون فيقول: **«ان المسيحية في اعتقادها عن الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس، وكلامها عنه (كابن) لا تقصد بنوّة تناسلية يسبق بها الوالد ولده، بل هي بنوّة يقصر العقل عن ادراكها»** ويضيف **«أما البنوّة التي حاربها الإسلام عند مقاومته التثليث فهي بنوّة تناسلية، مخالفة كل المخالفة للعقيدة المسيحية في بنوّة المسيح» ثم يشير إلى الآيات التي تحدثت عن هذه البنوّة ومنها: (١) النساء: ١٧١ (٢) الانعام: ١٠٦ (٣) يونس: ٦٨ (٤) الكهف: ٤ (٥) مريم: ٣٥ (٦) المؤمنون: ٩١ (٧) الجن: ٣ وغيرها.**

---

(١) الرد على النصارى: ١٧٦.

(٢) الانجيل في القرآن: ٢٩٤.

(٣) نفس المصدر: ٣٩٥ باختصار.

(٤) حقيقة التجسد: ١٥٢.

ويعلّق أخيراً على هذه الآيات بقوله: «تلك هي الآيات القرآنية التي أشارت إلى نسبة البنوّة لله، بولادة تناسلية، يدل على ذلك الصاحبة والولد، والمسيحية بريئة من هذه العقيدة كل البراءة، والاسلام في محاربته هذا التعليم إنما كان يحارب تعليماً غريباً عن تعاليم المسيحية، والمسيحية لا ترى هذه الحرب موجهة ضدها، ولا شأن لها به»[١].

وقد رفض البعض من علماء الإسلام احتجاج النصارى على اثبات صحة دينهم وألوهية المسيح بشي من القرآن لوجوه عديدة منها:

أولاً: إذا كان النبي محمدﷺ رسولاً صادقاً في كل ما يخبر به عن الله عزوجل، فقد عَلِم كل واحد انه جاء بما يخالف دين النصارى، فيلزم أن يكون دين النصارى باطلاً.

ثانياً: ان قالوا في كلمة واحدة مما جاء به انها باطلة، لزم ألاّ يكون عندهم رسولاً صادقاً، وكانوا مكذبين له ـ بذلك ـ في قوله: انه رسول الله، وانه بلّغ هذا القرآن عن الله، ومن كان كاذباً في قوله: أنه رسول الله، لم يكن من الأنبياء والمرسلين، ومن لم يكن منهم لم يكن قوله حجة البتة[٢].

ويضيف ابن تيمية في كتاب الجواب الصحيح: **«أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن، أو من الكتب المتقدمة على القرآن، أو عقلية، فلا حجة لهم في شيء منها، بل الكتب كلها مع القرآن والعقل، حجة عليهم لا لهم»**[٣].

ويرفض الإمام الغزالي في كتابه **«الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الانجيل»** هذا الاستدلال من القرآن على إلوهية المسيح ايضاً من خلال آياته، وذلك بذكر مقدمة

---

(١) كتاب المسيحية في الإسلام: ٨١.

(٢) منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى: ١٣٤.

(٣) الجواب الصحيح ٢: ٢٨٧.

يذكر فيها اصلين متفق عليهما بين أهل العلم وهما:

١ ـ ان النصوص إذا وردت فإن وافقت المعقول تركت وظواهرها، وان خالفت صريح المعقول وجب تأويلها واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة، فيجب إذ ذاك ردّها إلى المجاز.

٢ ـ ان الدلائل إذا تعارضت فدلّ بعضها على اثبات حكم وبعضها على نفيه فلا نتركها متعارضة إلاّ وقد أحسسنا من أنفسنا العجز باستحالة الجمع بينها وامتناع جمعها متظافرة على معنى واحد. ومن ثم يشرع في ابطال استدلالتهم فيقول:

«لهم شبهة لفظية وقعت لبعضهم ظنّاً منه، أن الكلمة حيث ما أطلقت، يجب أن يكون المراد منها عين ما اصطلحوا عليه في اقانيمهم، لتصحيح ما يتعذر عليهم ارادة ظاهره «المتعدد بالذات»، وهذا وهم عظيم...، فلذلك استدلّ على إلهية المسيح بما ورد في الكتاب العزيز وهو قوله جل من قائل: ﴿**يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَىٰ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَىٰ ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ ٱنْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ**﴾[١]، وذلك لقوله تعالى ﴿**وَكَلِمَتُهُ**﴾ و ﴿**وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾.

ثم يضيف: المولود انما يتكون مسبباً عن سببين:

أحدهما: في الانثيين وهو أحد نوعي القوة المولدة.

الثاني: القوة الموجودة في المني إذا انتقل إلى الرحم وانضمت إليه سائر الشرائط.

هذا هو السبب العادي في تكوين كل مولود، وإذا ثبت ذلك فنقول:

أن كل شيء له سبب قريب وسبب بعيد، فالاكثر اضافته إلى السبب القريب، فيقال عند رؤية الرياض الخضر: انظر إلى صُنع المطر، والله هو الصانع الحقيقي.

---

(١) النساء: ١٧١.

وإذا وضح هذا نقول:

أن السبب القريب في حق عيسى عليه السلام لمّا دلّ الدليل على عدم وقوعه، أضيف تكوينه إلى السبب البعيد، وهو الكلمة، لأن كل أحد مخلوق بكلمة الله القائل بها لكل مخلوق: كن فإذا هو كائن.

فلهذا السبب صرّح في حقه بذلك اشارة الى انتفاء السبب القريب العادي، وانه إنما كوّن بالكلمة التي هي «كن» من غير منيّ يمكن اضافة التكوين إليه.

ثم أوضح ذلك بقوله: ألقاها إلى مريم، يريد أن الولد انما يتكوّن من القاء المني إلى امه، وهذا المولود لم يخلق إلاّ بالقاء الكلمة (التي هي عبارة عن الامر بالتكوين) إلى امّه، فإذا الالقاء مجازي، وقد ورد مثل ذلك في حق آدم، لما اشتركا في عدم التكوين من الاسباب العادية، حيث قال جل من قائل: **﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾**[1]، والله عزوجل لا يد له وإنما المراد: خلقته بقدرتي، إشارة إلى انه لم يكوّن من منيّ، وإنما كوّن بقدرته، يشير بذلك إلى فوات السبب العادي، وإذا فات السبب العادي، أضيف إلى السبب البعيد المشبّه بالحقيقي وهو كلمة الله عزوجل، وقد أوتي بالمماثلة صريحاً: فقال: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾**، وكذلك أيضاً قوله: **﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾**[2] أي وهو روح، تكوينها صادر عنه منفكاً عن الاسباب العادية التي يضاف إليها السبب عادة.

وقد [3] ذهب الرازي أيضاً في تفسيره إلى هذا المعنى فقال: **«لأن السبب المتعارف كان مفقوداً في حق عيسى عليه السلام وهو الأب، فلا جرم إن كان إضافة حدوثه إلى**

---

(١) الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل: ٥٨ ـ ٦٠.

(٢) سورة ص: ٧٥.

(٣) سورة النساء: ١٧١.

الكلمة أكمل وأتم، فجعل بهذا التأويل كأنه نفس الكلمة، كما أن من غلب عليه الجود والكرم والاقبال، يقال فيه على سبيل المبالغة إنه نفس الجود ومحض الكرم وصريح الاقبال فكذا هنا»[١].

ثم يضيف: «**بكلمة منه**» لفظة «**من**» ليست للتبعيض ههنا، إذ لو كان كذلك لكان الله تعالى متجزئاً متبعضاً متحملاً للاجتماع والافتراق، وكل من كان كذلك فهو محدث وتعالى الله عنه، بل المراد من كلمة «من» هنا ابتداء الغاية، وذلك لأن في حق عيسى عليه السلام لم تكن واسطة الأب موجودة، فصار تأثير كلمة الله تعالى في تكوينه وتخليقه أكمل وأظهر، فكان كونه كلمة «الله» مبدأ لظهوره ولحدوثه أكمل، فكان المعنى لفظ ما ذكرناه لا ما يتوهمه النصارى والحلولية[٢].

وقد اثار بعض علماء المسيحية اشكالاً آخر حاولوا من خلاله اثبات الألوهية للمسيح وذلك بقوله: «**أن الكلمة الذي جاء ذكره في بشارة زكريا هو نفس الكلمة التي بشرت به مريم، وهو مسمّى ذكر، عاقل، كائن قائم بذاته، وقد كفانا القرآن مؤونة التدليل على صحة هذا الرأي بقوله: «بكلمة منه اسمه» فهو لم يقل اسمها، مع إن الكلمة مؤنث، دلالة على أن هذه الكلمة ليست لفظاً، بل شخصاً قائماً بذاته، إذ كان المقصود في الكلمة اللفظ لعاد الضمير عليه مؤنثاً، أما وقد عاد الضمير عليه مذكراً، فهذا دليل على إن المقصود ليس اللفظ، بل مسمى «اسمه المسيح عيسى ابن مريم»**[٣].

وهذا الدليل ضعيف لأن الكلمة المنسوبة إلى الله تعالى هي التي يظهر بها ما أراده الله تعالى من أمر نحو كلمة الايجاد، وهو قوله تعالى لشي أراده: كن، ولأن المسمى بتلك الكلمة كان المسيح وهو مذكر قال سبحانه: اسمه.... وهو ما ذهب إليه

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٣: ٢٢١.

(٢) نفس المصدر: ٢٢٢.

(٣) المسيحية في الإسلام: ١١٣.

الرازي أيضاً حيث قال: **«لو سُئل: الضمير في قوله تعالى: اسمه عائد إلى الكلمة وهي مؤنثة، لِمَ ذكّر الضمير؟ الجواب: لان المسمى بها مذكر»**[١].

والعجب أن البعض الآخر من المسيحيين استشهد بكلمات بعض المتصوفة في اثبات مراده فقال نقلاً عن ابن العربي في فصوصه بخصوص حقيقة **«الكلمة»**: أن ابن مريم آية لانه هو كلمة الله الظاهر في الجسد، ويضيف: يقول الشيخ محي الدين العربي هذه الحقيقة في كتابه **«فصوص الحكم»**: **«الكلمة هي الله متجلياً... وهي عين الذات الالهية لا غيرها»**. ويستشهد أيضاً بقوله **«الكلمة هو اللاهوت»**[٢].

ولكن هذا الفهم غير صحيح إطلاقاً فإن ابن عربي كما ينقل العفيفي ـ يعتبر **«إن اللاهوت والناسوت مجرد وجهين لا طبيعتين منفصلتين لحقيقة واحدة، إذا نظرنا إلى صورتها الخارجية سميناها ناسوتاً، وإن نظرنا إلى باطنها وحقيقتها سميناها لاهوتاً، فصفتا اللاهوت والناسوت بهذا المعنى صفتان متحققتان، لا في الإنسان وحده، بل في كل موجود من الموجودات»**[٣]، ويصرح ابن العربي نفسه بذلك في تفسير هذه الآية في فصوصه فيقول: كان جبريل ناقلاً كلمة الله لمريم كما ينقل الرسول كلام الله لامته، وهو قوله **﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾**[٤]، ويضيف: **«فوقع الخلاف بين أهل الملل في عيسى ما هو؟ فمن ناظر فيه من حيث صورته الانسانية البشرية فيقول هو ابن مريم، ومن ناظر فيه من حيث الصورة الممثلة البشرية، فينسبه لجبريل، ومن ناظر فيه من حيث ما ظهر عنه من إحياء الموتى فينسبه إلى الله بالروحية فيقول روح الله، أي به ظهرت الحياة فيمن نفخ فيه، فهو كلمة الله وهو روح الله وهو عبد الله»**[٥].

---

(١) التفسير الكبير ٣: ٢٢٣.

(٢) حقيقة التجسد: ١٤٩.

(٣) مقدمة فصوص الحكم، أبو العلا العفيفي: ٣٦.

(٤) فصوص الحكم، فص عيسوي: ١٣٩.

(٥) نفس المصدر: ١٤٢.

ولنفي أي الوهية عن المسيح بسبب هذا التوهم يختم الكلام في هـذه الكـلمة بقوله: واما هذه الكلمة العيسوية لما قام لها الحق في مـقام «**حـتّى نـعلم**» ويـعلم، استفهمها «**الله**» عما نسب إليها هل هو حق أم لا؟ مع علمه الأوّل بهل وقع الامر أم لا؟ فقال له: ﴿**ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ**﴾، فلابد في الأدب من الجواب للمستفهم لأنه لما تجلّى له في هذا المـقام وهـذه الصـورة، اقـتضت الحكمة في التفرقة بعيني الجمع فقال «**عيسى**» وقدم التنزيه: ﴿**سُبْحَانَكَ**﴾ فـحدّد بالكاف التي تقتضيه المواجهة والخطاب «**ما يكون لي**» من حيث انا نفسي دونك «**إن أقول ما ليس لي بحق**» أي ما لاتقتضيه هويتي ولا ذاتي...[1].

فمن خلال هذه الفقرات يتضح إن ما نسب إلى ابن العربي في تفسير «الكلمة» في غير محله.

(١) نفس المصدر: ١٤٦.

المبحث الرابع
موقف علماء الإسلام من أدلة الوهية المسيح في الاناجيل

لقد ذكرنا في القسم الأوّل من البحث أدلة النصارى على ألوهية المسيح من خلال الكتاب المقدّس، ونحن هنا سناقش تلك الأدلة ونرى مدى صحتها في اثبات أُلوهية المسيح، ونقف على رأي الإسلام وعلماؤه حول تلك الأدلة وكيفية تأويل النصوص الدالّة على اطلاق الألوهية على المسيح كالاتحاد وغيرها، وقد قسّمنا الأدلة في ست نقاط وعناوين رئيسية ليتسنّى لنا الاجابة عليها بشكل واضح ووافٍ وهي:

أولاً: أقوال المسيح

من الأدلة المهمة التي يستند إليها النصارى في اثبات الوهية المسيح، أقوال وكلمات المسيح نفسه التي ذكرتها الاناجيل، إذ من خلال التعمق في معناها يتضح (والقول للمسيحيين) لنا بجلاء إن المسيح كان يتحدث عن نفسه كإله، ونحن هنا سنشير إلى تلك النصوص بشكل مفصل .

النص الأول:

٢«وخرافي تسمع صوتي وأنا اعرفها فتتبعني.... ولا يقدر أحد أن يخطف من يدي أبي، أنا والأب واحد» يوحنا (١٠:٣٠) فيستدلون من خلال قوله **«أنا والأب واحد»** على

الوهيته فيقولون: «**تعد هذه الجملة من أوضح كلمات الرب يسوع عن لاهوته**»[١]، ولكن هذا باطل، لأن سياق النص وظاهره يؤيد إن المسيح لم يدّعِ الاتحاد الظاهري مع الله أبداً، ولذلك يكمل يوحنا في انجيله الحادثة فيقول: «**فتناول اليهود حجارة ليرجموه فأجابهم قائلاً: أريتكم أعمالاً كثيرة حسنة من عند أبي، فبسبب أي عمل منها ترجموني؟ فأجابه اليهود قائلين: ليس من أجل الاعمال الحسنة نرجمك، ولكن بسبب التجديف: وإذ أنت انسان تجعل نفسك آلهاً. فقال لهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم اني قلت انكم آلهة. فإن كان قد قال لأولئك آلهة لأن الكلمة صارت إليهم وليس يمكن أن ينتقض المكتوب فبكم أحرى الذي قدّسه الأب وأرسله إلى العالم...**» يوحنا (١٠:٣٠ ـ ٣٨).

فمن خلال هذه المحاورة بين المسيح واليهود يتضح إن المسيح لم يُرد بقوله: «**أنا والأب واحد**» مفهومها الظاهر، بل قالها مجازاً، والدليل على ذلك ضربه المثل لهم، فقال: قد أطلق عليكم في شريعتكم انكم آلهة، ولستم آلهة حقيقيين، وانما أطلق عليكم هذا اللفظ لمعنىً، وهو صيرورة الكلمة إليكم (كلمة الله)، وأنا أيضاً قد شاركتكم في ذلك، أي صيرورة الكلمة إليّ، ويدل عليه أيضاً بقوله: «**فبكم أحرى الذي قدسه الله وأرسله**». فكانه يريد القول: بإن الله تبارك وتعالى يرسل الكلمة لمن يشاء من عباده، فيكون الذي صارت إليه الكلمة غير مباين لله عزوجل، بل لا يحب إلاّ ما يحبّه ولا يبغض إلاّ ما يبغضه وهو حال الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلوات والسلام.

والذي يؤيد هذا التأويل هو قول المسيح كما في انجيل يوحنا حينما قال: «**أيها الاب القدوس احفظهم باسمك الذي اعطيتني ليكونوا معك واحداً كما نحن**» (١٧:١٢). ويعلّق الغزالي على هذه الجملة بالقول: «**فإن تكن وحدته مع الإله موجبةً له استحقاق الالهية، فيلزم**

---

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس: ٢٢٠٨.

أن يكون داعياً لتلامذته أن يكونوا آلهة، وخطور ذلك ببال من خلع ربقة العقل قبيح، فضلاً عن من يكون له أدنى خيال صحيح»[١].

النص الثاني:

وهو الذي ذكره يوحنا في انجيله: **«ولست أصلي من أجل هؤلاء فقط، بل ايضاً من أجل الذين سوف يؤمنون بي بسبب كلمة هؤلاء ليكون الجميع واحداً أيها الأب كما أنك أنت حالٌ فيّ وأنا فيك ليكونوا أيضاً فينا واحداً»** يوحنا (١٧: ٢٠). وكذلك بعض النصوص الاخرى الدالّة، على حلول الاله في المسيح كما في انجيل يوحنا أيضاً: **«الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الأب الحالّ فيّ هو يعمل الاعمال، صدقوني أني في الأب والأب فيّ»** يوحنا (١٤: ١١)، فهذا الكلام حسب علماء اللاهوت صريح في لاهوته وهو خير دليل على اثبات لاهوت المسيح[٢].

ولكن هذا القول لا يثبت أي الوهية للمسيح، بل على العكس فهو يثبت ان المسيح بقوله هذا يكشف الغطاء عن جهة المجاز في أقواله، فالمؤمنون بالمسيح يكونون واحد بالله، أي يصيرون كرجل واحد لعدم تباين آرائهم وأعمالهم ومعتقداتهم، كما هو حال الله والمسيح، فانه لا يحب إلاّ ما أحبه الله ولا يبغض إلاّ ما أبغضه الله ولا يصدر منه من عمل أو قول إلاّ والله راض عنه، وهذا شأن الأنبياء عليهم السلام، ولذلك قرن الله طاعة الأنبياء بطاعته ومعصيتهم بمعصيته.

ومن خلال النص أيضاً يتضح أن وحدته مع الاله لا تقتضي الألوهية، وإلاّ لزم أن تكون وحدتهم (المؤمنون به) مع الاله أيضاً كذلك، وهذا ما لا يقول به أحد.

بالاضافة إلى هذا فإن يوحنا نفسه يصرّح بإن المراد من هذا الاتحاد والحلول هو المجاز لا الحقيقة، فنقرأ في رسالته الاولى حيث يقول: **«الله لم يره أحد قط فإن أحبّ**

---

(١) الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل: ١٢.

(٢) لاهوت المسيح: ١١١.

بعضنا بعضاً فالله حالّ فينا ومحبته كاملة فينا وبهذا نعلم انّا حالّون فيه وهو أيضاً حالّ فينا لانه قد أعطانا من روحه» رسالة يوحنا الاولى (٤:١٢) وأيضاً يصرّح مثل هذا بقوله: **«من يعترف ان يسوع هو ابن الله فالله حالّ فيه وهو أيضاً حالّ في الله»** رسالة يوحنا الاولى: (٤:١٥).

فقد فهم يوحنا المعنى المجازي للحلول، وإلاّ فيكون مثبتاً للالوهية لكل المؤمنين بالمسيح، وهو خلاف ما يعتقد به المسيحيون، فلا يبقى مجال للشك بأن المراد من هذه النصوص هو المجاز دون الحقيقة.

النص الثالث:

وهو قول المسيح حسب انجيل يوحنا إذ قال لأحد تلاميذه **«فيلبس»** عندما سأله قائلاً: **«يا سيد أرنا الأب وكفانا»** فاجابه يسوع: **«مضت هذه المدة الطويلة وأنا معكم ولم تعرفني يا فيلبس؟ الذي رآني رأى الأب، فكيف تقول أرنا الأب؟»** يوحنا (١٤:٨) يقول علماء اللاهوت حول هذه الآية: **«فالمسيح هو الصورة المنظورة الملموسة لله غير المنظور، وهو الاستعلان الكامل لله، وإن الذي يرى المسيح رآى الله، والذي يعرف يسوع يعرف الله، فالبحث عن الله ينتهي إلى المسيح»**[١].

أقول: هذا النص أيضاً لا يدل أبداً على الوهية المسيح، وذلك: لأن رؤية الله تعالى في الدنيا محالة عندهم، فلو كان الله، كيف يُرى؟[٢]

وايضاً: فإن من سياق الآيات يظهر إن المراد منه هو المعنى المجازي لا الحقيقي، فالمسيح يقول في هذا النص: **«الحق الحق أقول لكم: إن من يؤمن بي يعمل الاعمال التي أنا اعملها، بل يعمل أعظم منها»** يوحنا (١٤:١٢)، إذ لا يتصور لأحد من البشر أن تكون افعاله أفضل من أفعال الإله بوجه.

---

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس: ٢٢٢٢.

(٢) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح: ٢٠٧.

ولذلك يقول الغزالي في معرض رده على هذا النص: انه حين سُئل أن يريه الإله، وكان ذلك مما لا يمكن اسعافهم به، عدل عن مسؤولهم قائلاً: **«من رآني فقد رآى الأب»** يريد أن الاله لما كانت رؤيته غير ممكنة (وهو ما يقوله النصارى أيضاً) أقام الأنبياء في تبليغهم أحكامه مقام نفسه، وهذا شأن الملوك المحتجبين، فبأمره يأمرون وبنهيه ينهون وباحكامه يحكمون، ثم صرح بعدم ارادة ظاهر هذا اللفظ فقال: **«وهذا الكلام الذي اتكلم ليس هو من عندي»** ثم بالغ في البيان فقال: **«بل أبي الحالّ فيّ هو يعمل هذه الاعمال»** يريد إن أقواله ليست للإله بقيد كونها مفردة، بل وأفعاله، أي كل كلام صدر مني متضمناً حكماً فهو من الله، لأني عنه أُخبر وكلما ترونه من الافعال الباهرة للعقول، الناطقة بخوارق الأنبياء، فذلك فعله لانه واقع بقدرته[1].

وهناك تأويل آخر للنص ذكره الغزالي ايضاً لا يخلو من قوة فيقول:

«ويحتمل هذا النص وجهاً آخر يعضده ما ورد مصرّحاً به في انجيل متى وهو قوله: وليس أحد يعرف الابن إلاّ الأب ولا أحد يعرف الأب إلاّ الابن» متى (١١:٢٧)، صرّح بان أحداً لا يعرفه إلاّ الاله، فحينئذ يكون منكراً على السائل الطالب رؤية الاله بقوله: لي معكم كل هذا الزمن ولم تعرفني وأنا انسان، مع إن معرفة الإنسان ممكنة، فكيف تتصور أن تعرف الإله الذي لا يتصور معرفته (رؤيته) بحاسة البصر، ولا يتبيّن كنه حقيقته بالاجناس والفصول، ثم عدل عن ذلك مبيّناً إن الاله انما تطلب معرفته ليكون المكلّف واثقاً بان هذه الاحكام صادرة منه، فقال: **«من رآني فقد رأى الأب»** اي أنا عنه أُخبر، ثم أوضح ذلك بقوله: وهذا الكلام الذي اتكلم به ليس هو من عندي»[2].

(١) الرد الجميل لالوهية عيسى: ٥٦.

(٢) نفس المصدر: ٥٧.

النص الرابع:

وهو قول المسيح حسب انجيل يوحنا: «**أبوكم ابراهيم ابتهج لرجائه أن يرى يومي، فرآه وفرح، فقال له اليهود: ليس لك من العمر خمسون سنة بعد فكيف رأيت ابراهيم؟ أجابهم: الحق الحق أقول لكم: انني كائن من قبل أن يكون ابراهيم**» يوحنا (٨:٥٩) ويعلّق علماء اللاهوت على هذا النص بقولهم: «**وهذه العبارات تُعد من أقوى الكلمات التي نطق بها يسوع وعندما قال الرب: (انني كائن من قبل أن يكون ابراهيم) فإنّه بذلك يُعلن لاهوته (طبيعته الالهية) بلا إنكار**»[١] .

فنقول: إن أدنى تأمل في هذا الكلام يدل على إنه ناطق بالمجاز، لأن ابراهيم لم يَرَ يوم ولادة المسيح ولا يوم إرساله، ولا يوم تجسده (اتحاد اللاهوت بالناسوت كما يزعمون)، لان هذه كلها حدثت بعد ابراهيم كما هو واضح.

بل المراد من هذا الكلام إن الأنبياء يحبون دوام طاعة الله ودوام اظهار شرائعه المتكفلة بمصالح العباد، فلما أُعلم ابراهيم برسالة عيسى وهدايته للعالم، وما يظهر على يده من مصالح العباد على ما اقتضته شريعته، سُرّ بذلك، فالرؤية ههنا محمولة على البصيرة التي هي العلم لا على البصر، وهذا ما صرّح به وصيّ المسيح بطرس حينما قال:

«**يا بني اسرائيل اسمعوا هذا الكلام.... ومع ذلك فقد سمح الله، وفقاً لمشيئة المحتومة وعلمه السابق أن تقبضوا عليه.... فان داود يقول فيه: كنت أرى الرب امامي دائماً فانه عن يميني لئلا اتزعزع لذلك فرح قلبي وتهلّل لساني... أيها الاخوة دعوني أقول لكم صراحة إن أبانا داود مات ودفن، وقبره مازال عندنا حتّى اليوم، لان داود كان نبياً، وعارفاً أن الله أقسم له يميناً بأن يجي المسيح من نسله ويجلس على عرشه، فقد تكلم عن قيامة المسيح كما رآها مسبقاً**» أعمال الرسل (٢:٢٢ ـ ٣١). فمعرفة ابراهيم وفرحه كمعرفة داود وفرحه.

---

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس: ٢٢٠٣.

وأيضاً ما أشار إليه بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس حيث قال: **«اننا نتكلم بحكمة الله المطوية في سر، تلك الحكمة المحجوبة التي سبق الله فأعدها قبل الدهور لأجل مجدنا»** كورنثوس (٢:٧).

وأما قوله **«انني كائن قبل ابراهيم»** فالقبلية محال أن تكون مضافة إلى ناسوته، لا باعتبار انفكاكه عن اللاهوت، ولا باعتبار تعلّقه بـه، ومـحال أن تكـون مـضافة للحقيقة الثالثة (الاتحاد والتجسد) لما تبين إن هذه كلها حوادث لم تكن عند وجود ابراهيم، بل المراد بالقبلية علمه بتقدير الارسال وما يترتب عليه من الارشاد، هذا هو المعنى الذي حمله على السرور[١].

وهناك بعض النصوص الاخرى التي استدلوا بها على الوهية المسيح، ولكن مع التأمل فيها يتضح انها لادلالة فيها على الوهيته إطلاقاً، بل كـلها قـابلة للـتأويل الصحيح الذي ينفي أي الوهية للمسيح.

ثانياً: ميلاده الاعجازي

لقد ذكرنا في القسم الأول من البحث إن من الأدلة التي يستند إليها النصارى في اثبات الوهية المسيح هي ميلاده الاعجازي من غير أب، فـهذه الولادة العـجيبة بتجسد كلمة الله لن تكرر في التـاريخ، وأمـا الهـدف مـن هـذه الولادة ـ حسب المسيحيين ـ هو **«اعلان الحقيقة التي أراد الله اعلانها للبشر وهي اتخاذ اللاهوت «كلمة الله» جسداً بشرياً (الناسوت) ليتم فيه عمل الفداء والخلاص الذي وعد به آدم ونسله منذ السقوط»**[٢].

فنقول: مما لا شك فيه إن ولادة المسيح من مريم بلا أب معجزة كبيرة، ولذلك وصفهم القرآن **«المسيح وأمه»** بأنهم آية: **﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً﴾**[٣].

---

(١) الرد الجميل لالوهية عيسى بصريح الانجيل: ص٥٤.

(٢) حقيقة التجسد: ١٤٣.

(٣) المؤمنون: ٥٠.

ولكن القرآن أيضاً يشير إلى هذه الولادة العجيبة ويجعلها شبيهة لخلق أدم حيث يقول سبحانه: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾(١) .

ويقول ابن قيّم في معرض ردّه على هذا الدليل: «**وإن قلتم إنما استدلنا على كونه إلهاً بأنه لم يولد من البشر ولو كان مخلوقاً لكان مولوداً من البشر، فإن كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلهاً منه، لأنه لا أم له ولا أب، والمسيح له أم، وحواء أيضاً اجعلوها الهاً خامساً لأنها لا أم لها وهي أعجب من خلق المسيح؟! فالله سبحانه قد نوّع خلق آدم وبنيه إظهاراً لقدرته وإنه يفعل ما يشاء، فخلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق زوجه حوّاء من ذكر لا من انثى، وخلق عبده المسيح من انثى لا من ذكر، وخلق سائر النوع من ذكر وأنثى**»(٢) .

ويقول رحمة الله الهندي أيضاً بهذا الخصوص: «**ويستدلون تارة أنه ولد بلا أب، وهذا الاستدلال ضعيف جداً، لأن العالم حادث بأسره، وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة على زعمهم، وكلّ مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم خلق عندهم في أسبوع واحد، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم، فكل من هذه يشارك المسيح في كونه مخلوقاً بلا أب ويفوق عليه في كونه بلا أم، وتتولد أصناف من الحشرات في كل سنة في موسم نزول المطر بلا أب وأم، فكيف يكون هذا الامر سبباً للالوهية؟ ولو نظرنا إلى نوع الإنسان فآدم يفوق عليه، وكذلك ملكي صادق الكاهن الذي هو معاصر لإبراهيم: «لان ملكي صادق هذا ملك ساليم، كاهن الله العلي.... بلا أب، بلا أم، بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة**» الرسالة إلى العبرانيين (٧: ١ـ٣)(٣) .

---

(١) آل عمران: ٥٩.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: ١٤٠.

(٣) اظهار الحق: ج ٣، ص ٧٦٥.

ولكن المسيحيين يرفضون هذه المماثلة والتشبيه بين آدم والمسيح، لان آدم هو المخلوق الأوّل ولابد من أن يكون مخلوقاً من غير أب ولا أم، ولكن المسيح ولد من غير أب بعدما كانت الخليقة قائمة والتناسل موجود، فلا وجه للمقارنة بينهما، يقول ثروت سعيد بهذا الصدد:

«أي مقارنة بين آدم والمسيح؟ آدم خُلق من التراب والمسيح ولد من الروح القدس، آدم لانه من التراب فإلى التراب يعود ويفسد جسده وينتن ويضمحل، ويعود إلى التراب الذي جاء منه وكذلك كل نسله، أما المسيح حيث انه كلمة الله الاقنوم الثاني المتحدة في جسد بدون انفصال، لذا فان جسده لم ير فساداً، ولم ينتن في القبور، فانه حي في السماء بجسده وبروحه، فأين هو من آدم ومن نسله»، ثم يضيف: أما المسيح فكانت الخليقة كلها موجودة فأي وجه للمقارنة بين ولادة المسيح وخلق آدم وحواء، فاذا كان الله يريد المقارنة حقاً أو استكمال قدرته الالهية، لماذا لم يولد المسيح في زمن آدم وحواء لكي تكون المقارنة منطقية نوعاً ما، أو لماذا لم يخلق الله قايين (قابيل) أو هابيل أو شيث وهم أبناء آدم بطريقة تختلف عن طريقة خلق آدم أبيه، ولماذا بعد أن يضع الله قانوناً للتوالد يكسر الله هذا القانون الطبيعي؟ ولماذا تأخر ذلك لآلاف السنين وبطريقة خفية غير معلنة في ولادة السيد المسيح»[١].

واعتقد ان هذا الرأي المذكور في رفض المماثلة أو المقارنة غير صحيح، وذلك للاسباب التالية:

أولاً: إن القرآن يشير في هذه الآية إلى حقيقة مهمة جداً وهي نفي الألوهية عن المسيح، وذلك باثبات كونه مخلوقاً لله خلقة طبيعية وإن كانت خارقة للسنة الجارية في التناسل، ومن كان كذلك كان عبداً لا رباً.

ثانياً: ان النصارى يثبتون الوهية المسيح من خلال ولادته الاعجازية، فلو اقتضى سنخ خلقه وولادته أن يقال بألوهيته بوجه، لاقتضى خلق آدم ذلك أيضاً،

(١) حقيقة التجسد: ١٥١.

مع انهم لا يقولون بها.

ثالثاً: أما القول بأن ولادة المسيح هي كسر للقانون الطبيعي للتناسل، فهذا ملكي صادق كما ذكرنا قد ولد من غير أب ولا أم ولا نسب، فهو اعظم من المسيح، لأن المسيح ولد من أم بلا أب، وهو ولد بلا أب وأم كما صرح العهد الجديد بذلك، حتّى أن مفسّري العهد الجديد احتاروا في كيفية تفسير هذه الآية، فذكروا أربع آراء تفسيرية في هذه الآية، أهمها والذي يذهب إليه علماء اللاهوت (لتأويل هذه الآية وصرفها عن ظاهرها) هي قولهم: «**كان ملكي صادق ظهوراً للمسيح على الأرض في هيئة جسمية مؤقتة قبل تجسده**» ويعلّق المفسرون على ذلك بقولهم: «**ويؤيد كثيرون من علماء اللاهوت هذا الرأي**»[١].

وقد قام الدكتور حسن عز الدين بتأليف كتاب حول هذه المشابهة والمقارنة بين المسيح وآدم جعل عنوانه ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**﴾ وذلك لدقة الصلة والتشابه بين الحالتين[٢].

ثالثاً: صفات المسيح

وكما ذكرنا فان المسيحيين يستدلون على الوهية المسيح من خلال الصفات التي انفرد بها من بين البشر، وتلك الصفات مختصة بالله وحده، إذن هو من طبيعة الله لأنه يملك صفات الإله، وأما الصفات فهي:

١ـ الخالق:

من الصفات التي انفرد بها الله تبارك وتعالى هي صفة الخلق، والنصارى

---

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس: ٣٩. ومما تجدر الاشارة إليه أن هذا التفسير قام بتأليفه نخبة كبيرة من علماء اللاهوت (تسعة عشر عالماً) بالاضافة إلى لجنة المراجعة اللاهوتية (ثلاثة عشر عالماً لاهوتياً).

(٢) مقارنة الأديان المسيحية: ٤١.

يحاولون اثبات الوهية المسيح عن طريق اثبات هذه الصفة للمسيح، فيقولون: **«أن الخلق أحد الصفات الالهية التي يتفرد بها الله دون سواه، ولا ولن يعطيها لإنسان مهما يكن هذا الإنسان، فاذا وجد إنسان يقوم بالخلق كما هو مذكور في الانجيل والقرآن، فلابد أن يكون هذا الإنسان هو المسيح دون غيره، فالله خالق، والمسيح خالق، ولا يمكن القول بوجود خالقان، إذن لابد أن يكون المسيح هو الله»**[١].

والواقع إن هذا الكلام باطل لوجوه كثيرة منها:

١ ـ ان الله تبارك وتعالى له القدرة (إذا شاء) على اجراء أي معجزة من المعاجز على يد أي أحد من انبيائه ورسله، وهذا ما يؤكده الكتاب المقدّس بعهديه والقرآن، والخلق وإن كان مختصاً بالله سبحانه، ولكن من الممكن أن يجري هذه المعجزة (الخلق) على يد أحد من أنبيائه، وبمعنى آخر ان الخالق المستقل في فعله وخلقه لا يكون إلاّ الله وحده لا شريك له، كما في قوله تعالى: **﴿هٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾**[٢]. ولكن من الممكن أن يكون هناك خالق غير مستقل في خلقه وفعله وقدرته، بل الله هو الذي أَذِن له بذلك حسب ارادته ومشيئته، وهذا واضح مع ادنى تأمل.

٢ ـ إن المسيح في العهد الجديد يؤكد ـ كما أكد القرآن ـ على إنه لم يعمل أي عمل اعجازي كالخلق واحياء الموتى وغيرها من المعاجز بقدرته الذاتية، بل نسب هذه القدرة والاعمال إلى الله تعالى، كما جاء في انجيل يوحنا على لسان عيسى قوله: **«الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاّ ما ينظر الأب يعمل»** (يوحنا: ٥ ـ١٨). بل يصرّح بطرس وصيّ عيسى بهذا الامر بما لا يقبل الشك، وذلك عندما قال متحدثاً عن المسيح وقدرته: **«يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله**

---

(١) حقيقة التجسد: ٢١٨.

(٢) لقمان: ١١.

بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده من وسطكم» (أعمال الرسل: ٢:٢٢)، وهو ما أكده القرآن في خصوص هذه المعجزة لعيسى حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾[1].

ويعلّق العلامة في تفسيره على هذه الاية بالقول: **«إنّ تذييل خلق الطير بذكر الاذن من غير أن يكتفي بالاذن المذكور في آخر الجملة إنما هو لعظمة أمر الخلق بإفاضة الحياة، فتعلقت العناية به، فاختص بذكر الاذن بعده من غير أن ينتظر آخر الكلام صوناً لقلوب السامعين من أن يخطر فيها أن غيره تعالى يستقل دونه بافاضة الحياة أو تلبث فيها هذه الخطرة ولو لحظات يسيرة»**[2].

٣ ـ إن العهد الجديد لا يذكر أبداً أن المسيح خلق شيئاً، سوى اشارة واحدة وهي معجزة شفاء الاعمى منذ ولادته، وذلك بوضع الطين على عيني أعمى، وهذا نص ما ذكره يوحنا: **«وتفل في التراب، وصنع من التفل طيناً، ثم وضعه على عيني الاعمى وقال له: أذهب واغتسل في بركة سلوم فذهب واغتسل وعاد بصيراً»** (يوحنا ٩:٦)، ولكن مع هذا فانهم يؤكدون بأنه خالق! فيقول ثروت سعيد: **«لقد خلق أعين من طين لأعمى! لا توجد له اعين منذ ولادته، وهذه المعجزة أراد بها المسيح أن يثبت فيها لاهوته!! كما إن الله أخذ من تراب الأرض وسوّى بها شكل انسان فنفخ فيه، فحوله من تراب إلى مادة حيّة سمّي آدم، فهكذا صنع المسيح إذ حوّل الطين إلى مادة حيّة من جسم الإنسان»**[3]. فلا أدري هل يعتبر المسيح من خلال قيامه بهذه المعجزة خالق؟ نعم القرآن صرّح بأن المسيح خلق من الطين كهيئة الطير، ولكن هذه المعجزة لا تذكرها الاناجيل للمسيح أبداً.

٤ ـ من خلال سياق النص لهذه الآية يتضح بشكل لا يعتريه الشك إن المسيح

---

(١) المائدة: ١١٠.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ٦: ٢٢١.

(٣) حقيقة التجسد: ٢١٥.

والاعمى قد نسبوا هذا الفعل لله تعالى، فالمسيح قال حين سأله التلاميذ: **«يا معلم من أخطأ: هذا أم والداه حتّى ولد أعمى؟ فاجابهم يسوع: لا هو أخطأ ولا والداه، ولكن حتّى تظهر فيه أعمال الله، فعليّ أن أعمل أعمال الذي أرسلني»** (يوحنا ٩: ٤). وأما الاعمى فعندما سأله اليهود: **«ما رأيك أنت فيه (المسيح) مادام قد فتح عينيك؟ فأجاب: «انه نبي» ومرة أخرى أجابهم عندما قالوا: لا نعلم له أصلاً (المسيح) فقال: إن في ذلك عجباً انه فتح عيني وتقولون انكم لا تعلمون له أصلاً، نحن نعلم أن الله لا يستجيب للخاطئين، ولكنه يسمع لمن يتقيه ويعمل بارادته، فلو لم يكن هو من الله لما استطاع أن يعمل شيئاً»** (يوحنا ٩: ٣٠ ـ ٣٤).

فهل يمكن بعد هذا، القول بأن المسيح هو الله لانه يملك صفة الخالق المستقل؟

٢ ـ غافر الخطايا:

ان مغفرة الخطايا صفة مختصة بالله تبارك وتعالى، ولا يحق لأحد أن يدّعي انه يستطيع أن يغفر خطايا الاخرين، والمسيح قد ادّعى[*] ذلك فهو الله، هكذا استدل النصارى على الوهية المسيح بهذه الصفة واستشهدوا ببعض آيات العهد الجديد على ذلك.

ولكن بعد مراجعة الآيات التي استدلوا بها على دعوة المسيح لمغفرة الخطايا يتضح أن المسيح لم يدّعي هذا الادعاء أبداً **«انه هو يغفر الخطايا»** ولم يصرّح في الانجيل بذلك إلاّ في موضعين، وأما النصوص الاخرى فلا دلالة لها على هذا المدّعى وهذه النصوص هي:

(أ) شفاء المشلول: ثم ركب يسوع القارب وعبر البحيرة راجعاً إلى بلدته، فجاءه بعضهم يحملون مشلولاً مطروحاً على فراش، فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمشلول: **«اطمئن يا بني قد غفرت لك خطاياك»** فقال بعض الكتبة في انفسهم انه يجدف. وأدرك يسوع ما يفكرون فيه فسألهم: لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟ أيهما الاسهل أن يقال: قد غفرت لك خطاياك أم أن يقال: قم وأمشي؟ ولكني قلت ذلك

لكي تعلموا إن لابن الإنسان على الأرض سلطة غفران الخطايا.... فلما رأت الجموع ذلك استولى عليهم الخوف ومجّدوا الله الذي أعطى الناس مثل هذه السلطة» (متى ٩:٢ ـ ٨) وقد نقل ذلك عن مرقس (١:٢ ـ ١٢) أيضاً.

(ب) يسوع يغفر لإمرأة خاطئة: فدخل بيت الفريسي واتكأ، وكان في المدينة امرأة خاطئة، فما إن علمت انه متكي في بيت الفريسي حتّى جاءت تحمل قارورة عطر، ووقفت من ورائه عند قدميه باكية وأخذت تبل قدميه بالدموع وتمسحها بشعر رأسها، وتقبّل قدميه بحرارة وتدهنهما بالعطر، فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك، حدّث نفسه قائلاً: لو كان هذا نبيّاً، لعلم من هي هذه المرأة التي تلمسه، وما حالها، فانها خاطئة. فرد عليه يسوع قائلاً: يا سمعان عندي شيٌ أقوله لك... ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان: أترى هذه المرأة، أني دخلت بيتك ولم تقدم لي ماء لغسل قدمي، أما هي فقد غسلت قدميَّ بالدموع ومسحتهما بشعرها، أنت لم تقبّلني قُبلة واحدة، أما هي فمنذ دخولي لم تتوقف عن تقبيل قدمي... لهذا السبب أقول لك إن خطاياها الكثيرة قد غفرت لهذا أحبت كثيراً.... ثم قال لها: مغفورة لك خطاياك» (لوقا ٣٦:٧ ـ ٤٧).

فهذه هي النصوص التي اعتمدوا عليها في اثبات إن المسيح يغفر الخطايا، إذن هو الله!!

ولكن الذي يدقق في هذه النصوص يجد أن المسيح لم يقل أنا غفرت الخطايا، بل هو يخبر عن أن السبب الأصلي لمغفرة الخطايا هو الايمان، ولهذا نجد في النص الأوّل قوله: **«فلما رأى يسوع ايمانهم»**، وحتّى المرأة في النص الثاني فإن وقوفها عند قدميه باكية كما في قوله: **«ووقفت من ورائه عند قدميه باكية»** دليل على ايمانها وتوبتها ولهذا قال لها مغفورة لك خطاياك، ولذلك كان يؤكد مراراً على ضرورة التوبة، فهذا لوقا يذكر في انجيله عن المسيح قوله: **«أقول لكم إن لم تتوبوا أنتم جميعكم فكذلك تهلكون»**

(لوقا ١٣:٥).

وأيضاً فإن المسيح يؤكد أن غفران الخطايا هو بيد الله فقط، فمتى ولوقا يذكرون الصلاة الربانية التي علمها المسيح لتلاميذه، فيقول: «**عندما تصلون قولوا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا اعطنا كل يوم، واغفر لنا خطايانا...**» (لوقا ١١ ـ ٢)، وأيضاً مرقس يذكر ذلك باختصار أكثر فيقول نقلاً عن المسيح: «**ومتى وقفتم تصلون وكان لكم على أحد شيء فاغفروا له، لكي يغفر لكم أبوكم الذي في السماوات زلاتكم أيضاً، ولكن إن لم تغفروا لا يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السماوات زلاتكم**» (مرقس ١١ ـ ٢٥).

فالمغفرة هي لله تبارك وتعالى والمسيح أخبر إن الإيمان والتوبة سبب في مغفرة الخطايا، كما أخبر بذلك الأنبياء السابقون والنبي الخاتم ﷺ، وهذا بطرس وصي عيسى يؤكد هذا المعنى بكل صراحة فيقول: «**توبوا، وليتعمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح فيغفر الله خطاياكم**» (أعمال الرسل ٢:٣٨). فهل يُعقل بعد هذا أن نقول أن المسيح هو الذي يغفر الخطايا، إذن هو الله!!

٣ ـ كلي الوجود:

إن الله موجود مع كل شيء ومحيط بكل ما في الكون، ولكن هذا لا يعني أن كل شيء هو الله، كما تقول نظرية «**وحدة الوجود**» في بعض تفاسيرها، كما في المفهوم الهندوسي الذي يقول بأن كل الخليقة هي جزء من الله[1].

وهذا ما يؤمن به المسيحيون حول وجود الله، ويعتقدون بان المسيح ايضاً كلي الوجود بهذا المعنى، وقد استدلوا على ذلك ببعض آيات العهد الجديد، ولكن مع مطالعة تلك الآيات نجد أن ما استدلوا به على وجود ومعية المسيح مع الموجودات كمعية الله غير صحيح أبداً، وهذه النصوص هي:

---

(١) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٤٧.

١ ـ قول بولس في رسالته إلى افسس حيث يقول: **«إن الذي نزل هو نفسه الذي صعد إلى ما فوق جميع السماوات لكي يملأ كل شيء»** (افسس ٤:١١)، ويستدلون بهذه الآية على إن المسيح قد ملأ كل شيء!! ولكن بالقاء نظرة سريعة على سياق النص وما قبله يتضح لنا جليّاً إن المعني في هذه الكلمات هو الله وليس المسيح، فقد قال بولس قبل هذه الفقرة: **«ولكم ربٌّ واحد وايمان واحد ومعمودية واحدة، وإلهٌ وأبٌ واحد للجميع، هو فوق الجميع وبالجميع وفي الجميع... لذلك يقول الوحي: إذ صعد إلى الاعالي، ساق أسرى ووهب الناس مواهب!»** وأما أنه **«صعد»** فما معنى هذا سوى أنه كان قد نزل أيضاً إلى الاقسام السفلى في الأرض» (افسس ٤:٦ ـ ١٠).

وقول الوحي كما يقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس اشارة إلى المزمور (١٨٩:٦٨)[١] وهو يتحدث عن الله تبارك وتعالى حيث يقول: **«إن الله سيسكن فيه إلى الابد... يصعد إلى العُلى ويأخذ معه سبايا كثيرين»** (مزمور ١٨:٦٨)، فسياق الآيات في رسالة بولس تشير إلى أنه يتحدث عن الله سبحانه ولا توجد اشارة في هذه الآية لا من قريب ولا من بعيد عن المسيح.

٢ ـ وأيضاً ما ورد في انجيل متى حيث ينقل عن المسيح قوله: **«حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فانا أكون في وسطهم»** (متى ١٨:٢٠)، ولكن هذا لا يعني أبداً إن المسيح سيكون فيهم كما هو الله مع الموجودات، فالآية السابقة للنص تقول: إذا اتفق اثنان منكم على الأرض في أي امر، مهما كان ما يطلبانه، فإن ذلك يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات» (متى ١٨:١٩)، فوجود المسيح معهما بمعنى الوجود المعنوي والروحي، لا بالمعنى الوجودي الحقيقي، وهذا ما أشار إليه بولس في رسالته إلى افسس حيث قال: **«أحني ركبتيّ للأب الذي هو أصل كل أبوّة في السماوات وعلى الأرض، لكي يمنحكم وفقاً لغنى مجده، أن يمدّ الروح الكيان الداخلي في كل منكم بالقوة**

---

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس: ٢٥ ـ ٢٦.

المؤيدة، ليسكن المسيح في قلوبكم بالايمان» أفسس (١٧:٣)، فالمسيح مع المؤمنين به في قلوبهم دائماً.

٤ـ كلي العلم:

ان الله تبارك وتعالى وحسب المفهوم المسيحي عالم بكلِ شيء، حيث يقول روبرت باسانتينو في كتابه **«طبيعة الله وصفاته»:**

«معرفة الله كاملة وأبدية لكل الاشياء، فالله يعرف كل ما هو قابل للمعرفة، وتختلف معرفة الله الكلية عن المعرفة التي نكتسبها، فنحن نعلم بالتعلم، أما الله فلا يمر بعملية التعلم حتّى يعرف، ولا يأتي علم الله الكلي نتيجة للتفكير المنطقي أو الاستنتاج أو استخدام الحواس أو التصور أو الاستقراء أو الاستدلال، فمعرفته مباشرة ودقيقة وواضحة تتفق مع حقيقة الامور، ولا توجد مادة للمعرفة إلاّ ويعرفها الله»[1].

ويستدل علماء اللاهوت المسيحيين على أن المسيح أيضاً عالم بكل شيء كالله سبحانه، ولذلك فهو يمتلك الصفات الالهية، فإذن له طبيعة الهية.

وقد استدلوا على ذلك ببعض آيات العهد الجديد، والتي ذكرناها في القسم الأوّل من البحث، ولكن هناك الكثير من الآيات في العهد الجديد ايضاً تنسب الجهل إلى المسيح أو عدم استقلاليته في علمه ومنها:

١ ـ ما جاء في انجيل مرقس نقلاً عن المسيح حيث قال: **«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلاّ الأب»** (مرقس ٣٢:١٣) وقد ورد نفس القول في انجيل متى (٣٦:٢٤)، فلو كان المسيح الهاً يعلم الغيب لما نفى عن نفسه العلم باليوم والساعة.

٢ ـ ورد في انجيل يوحنا نقلاً عن المسيح أيضاً قوله: **«سيريه أعمالاً اعظم من هذه لتعجبوا أنتم»** (يوحنا ٢٠:٥)، وهذا يدل على إن المسيح لم يعلم بعض الاعمال، وإن

---

(١) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٤٨.

الله سيريه (سيعلمه) تلك الاعمال.

وكما ذكرنا سابقاً فإن علماء اللاهوت يعتقدون إن المسيح لم يكن عالماً وفقاً للنصوص الآنفة الذكر بحسب طبيعته الانسانية، وليس بحسب طبيعته اللاهوتية[١].

ولكن ذلك مرفوض، لانه مع القول ان للمسيح طبيعتان انسانية والهية، ولكنه شخص واحد، فطبيعته الانسانية لا تمنع عن معرفة الزمان واليوم الذي عيّنه وهو اله، ولكن المسيح نفى العلم عن نفسه وشخصه، واضافه إلى الأب (الله) فلو كان للمسيح طبيعة الهية لما نفى العلم عن نفسه وشخصه[٢].

ويقول الغزالي بهذا الصدد: «**ثم تجده (عالم المسيحية) إذا الجأته المضايق ابا براقش إن وجد ما يدلّ على انسانيته أعاد ذلك على ناسوته، وإن وجد ظاهراً عجز عن تأويله رد ذلك إلى لاهوته، فانظر كيف اعمى الله بصيرة من يجعل الهه تارة انساناً وتارة الهاً، تعالى الله عمّا يقولون علّواً كبيراً**»[٣].

اضافة إلى هذا فهناك الكثير من الأنبياء في أسفار العهد القديم كانوا يعلمون الغيب كالمسيح، ولكن لم نسمع من نعتهم بانهم آلهة أو أن لهم طبيعة لاهوتية، والامثلة على ذلك كثيرة، مثل يعقوب وموسى وصموئيل وإيليا واليشع وغيرهم.

٥ ـ السرمدية (الأزلية والأبدية):

ومن الصفات التي أعطيت للمسيح هي صفة السرمدية، وهي تعني انه لم يكن هناك زمن لم يكن فيه الله موجوداً، ولن يكون هناك زمن لا يكون الله فيه موجوداً، وكذلك المسيح فهو دائم الوجود، وقد استدلوا على ذلك ببعض آيات العهد الجديد

---

(١) لاهوت المسيح: ١٤٢.

(٢) النصرانية في الميزان: ١٩٧.

(٣) الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل: ٢٦.

من أهمها قوله حسب انجيل يوحنا «**قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن**» (يوحنا ٨:٥٨).

ويرد عليه: من الامور المتفق عليها بين النصارى والمسلمين ان المسيح ولد في زمن معين، فإذا كان أزلي فأما أن يكون مرادهم منها طبيعته الالهية فقط، وهم ما لا يقولون به، وأما أن يكون اللاهوت متعلقاً بالناسوت وهذا ما يقولون به، فهذا تناقض أن نقول إن الشي أزلي وحادث، فهذه القبلية له على ابراهيم «**محال أن تكون مضافة إلى ناسوته، لا باعتبار انفكاكه عن اللاهوت، ولا باعتبار تعلّقه به، ومحال أن تكون مضافة إلى الحقيقة الثالثة وبعد اتحاد اللاهوت بالناسوت لما تبيّن أن هذه كلها حوادث لم تكن موجودة عند وجود إبراهيم**»[١].

فإذا بطلت الازلية بطلت كذلك الابدية عنه لانه كما يعتقدون صُلب ومات ودفن، فكيف يموت الله ويدفن!!

رابعاً: أفعال المسيح ومعاجزه

ومن الامور التي استدلوا بها على الوهية المسيح هي أفعاله ومعاجزه، فالمسيح فعل تلك المعجزات بقوته وقدرته المستقلة، وحين فعلها نسبها إلى نفسه فقط، بل واعطى تلك السلطة إلى التلاميذ والرسل[٢].

وهذا ما يميزه عن بقية الأنبياء الذين صنعوا المعجزات، لانهم صنعوها لا بقدرتهم وقوتهم الشخصية بل بقدرة الله سبحانه.

ولكن هناك آيات في العهد الجديد تثبت خلاف هذا المدّعى، وهي تؤكد إن المسيح لا حول له ولاقوة وأن الاعمال والمعجزات التي قام بها إنما كانت بقوة الله وقدرته، ومن تلك النصوص:

---

(١) نفس المصدر: ٥٤.

(٢) نظام التعليم في علم اللاهوت القديم ١: ٢٤٦.

١ ـ ما جاء على لسان وصي المسيح بطرس في سفر أعمال الرسل حيث قال: «**يا بني اسرائيل اسمعوا هذا الكلام: إن يسوع الناصري رجلٌ أيّده الله بمعجزات وعجائب وعلامات اجراها على يده بينكم كما تعلمون**» (اعمال الرسل ٢: ٢٠)، فهل هناك تصريح أكثر من هذا يدلّ على إن معجزات المسيح كانت بقدرة الله وقدرته لا بقدرة المسيح!!

٢ ـ ما ورد في انجيل يوحنا نقلاً عن المسيح حيث قال: «**الاعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي**» (يوحنا ١٠: ٢٥) فالمسيح يصرّح بإن الاعمال التي يقوم بها ويعملها باسم أبيه (الله).

٣ ـ وأيضاً قول المسيح كما في انجيل يوحنا: «**الحياة الابدية هي أن يعرفوك أنت الاله الحق وحدك، والذي ارسلته يسوع المسيح، أنا مجدّتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته**» (يوحنا ١٧: ٤).

٤ ـ وأيضاً فالمسيح يعترف انه لا يستطيع أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، يقول يوحنا في انجيله: فقال لهم يسوع: «**الحق الحق أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، بل يفعل ما يرى الأب يفعله**» (يوحنا ٥: ١٩١) وأيضاً قوله: **وأنا لا يمكن أن أفعل شيئاً من تلقاء ذاتي، بل أحكم حسبما اسمع، وحكمي عادل لاني لا أسعى لتحقيق ارادتي بل ارادة الذي ارسلني**» (يوحنا ٥: ٣٠).

٥ ـ وأيضاً المسيح يصرّح أن المؤمن يستطيع أن يفعل ويعمل أعمالاً أعظم من الذي عملها المسيح، يقول يوحنا في انجيله: «**الحق الحق أقول لكم: إن من يؤمن بي يعمل الاعمال التي أنا أعملها، بل يعمل أعظم منها**» (يوحنا ١٤: ١٢) فإذا كان المسيح مساوياً لله لأنه فعل المعجزات والعجائب فالمؤمن يستطيع أن يكون أشد مساواة من المسيح لله لانه يعمل أعمالاً أعظم من التي قام بها المسيح!

خامساً: قبوله للعبادة

يؤكد المسيحيون إن العبادة هي لله وحده، ولا يصح لبشر أو ملاك أن يتلقى العبادة، ولكن المسيح يقبل العبادة من الآخرين، ولو لم يكن له طبيعة الهية لما قبل العبادة من الآخرين، إذن فهو مساو لله في الطبيعة، واستدلوا على ذلك ببعض آيات العهد الجديد ، وقد ذكرناها في القسم الأوّل من البحث.

والواقع إن هذا القول بعيد كل البعد عن تعاليم المسيح التي ذكرتها اسفار العهد الجديد، فالمسيح نفسه كان كثير التعبد،وهذا ما تؤكده الاناجيل، فهو عبد، فكيف يقبل العبادة من الآخرين؟!

ولنطالع هذه النصوص من العهد الجديد حول عبادة المسيح لله تبارك وتعالى:

١ ـ لقد أكد المسيح مراراً على إن العبادة مختصة لله سبحانه وحده، فعندما حاول إبليس تجربة المسيح وايقاعه في شباكه ـ كما ذكر ذلك متى ولوقا في انجيلهما ـ قال المسيح للشيطان بعدما طلب منه أن يسجد له ليعطيه جميع ممالك العالم: «**اذهب يا شيطان فقد كُتب: للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد**» (متى ٤: ١٠) (لوقا ٤:٨)، ويتضح من هذا النص إن المسيح ليس الهاً يعبد، إذ لو كان الهاً لما تجرأ الشيطان وهو العالم على تجربة الله، فمحاولة الشيطان للايقاع بالمسيح في حبائله دليل على إن المسيح ليس الله أبداً هذا أولاً، وثانياً فلو كان المسيح الله ويقبل العبادة، لقال للشيطان: أنا يعبدني الناس ويسجدون لي فكيف اسجد لك وأنت مخلوق وأنا الله الخالق؟!

٢ ـ لقد علّم المسيح التلاميذ كيفية الصلاة وقال: «**أما أنت فعندما تصلّي فادخل غرفتك وأغلق الباب عليك، وصلّ إلى أبيك الذي في الخفاء، وأبوك الذي يرى في الخفاء هو يكافئك به... فصلّوا أنتم مثل هذه الصلاة: أبانا الذي في السماوات...**» (متى ٦: ٥ ـ ١٣) وكذلك الصوم فقال لهم: «**وعندما تصومون لا تكونوا عابسي الوجوه، كما يفعل المراؤون الذين يقطبون**

وجوههم لكي يظهر وا للناس صائمين، الحق أقول لكم انهم نالوا مكافاتهم، اما أنت فعندما تصوم، فاغسل وجهك وعطّر رأسك، لكي لا تظهر للناس صائماً، بل لأبيك الذي في الخفاء، وأبوك الذي يرى في الخفاء هو يكافئك» (متى ٦:١٦ ـ ١٨). فلو كان المسيح يقبل العبادة لعلّم التلاميذ أن يصلّوا ويصوموا له لا للأب الذي في السماوات.

٣ ـ وأيضاً فإن الأناجيل تؤكد على عبادة المسيح، فكان يصوم ويصلّي كثيراً، فهذا متى ينقل في انجيله إن المسيح صام أربعين يوماً فيقول: **«وبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً»** (متى ٤: ٢) وكذلك ذكر ذلك مرقس ولوقا في انجيلهما، ومن مصاديق العبادة كما هو واضح الصوم، فلمن كان يصوم المسيح لله أم لنفسه، وهل يُعقل أن يعبد الاله نفسه؟!

وتنقل الأناجيل لنا صلاة المسيح،فهذا متى يذكر صلاته وخشوعه لابيه السماوي، فيقول: **«ثم ذهب يسوع وتلاميذه إلى بستان يُدعى جشيماني وقال لهم: أجلسوا هنا ريثما أذهب إلى هناك وأصلي ....وابتعد عنهم قليلاً وارتمى على وجهه يصلي قائلاً: يا أبي إن كان ممكناً فلتعبر عني هذه الكأس...ورجع إلى التلاميذ فوجدهم نائمين....وذهب ثانية يصلي فقال: يا أبي إن كان لا يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلاّ بان اشربها فلتكن مشيئتك....فرجع إلى التلاميذ فوجدهم نائمين فتركهم وعاد يصلّي مرة ثالثة وردد الكلام نفسه»** (متى ٢٦:٣٦ ـ ٤٥)، ولوقا يذكر ذلك أيضاً ويضيف: **«أخذ يصلّي بأشدّ الحاح، حتّى إن عرقه صار كقطرات دم نازلة على الأرض»** لوقا (٢٢: ٤٤). فكان يسجد ويركع ولا أدري لمن كان يسجد ويركع ويتعبد؟، والقول بان المسيح بطبيعته الناسوتية كان يتعبد ويصوم ويصلي لا بطبيعته الالهية مرفوض كما أشرنا سابقاً.

سادساً: قيامته الفريدة

إن المسيحيين يعتقدون بإن قيامة المسيح من بين الاموات كانت بصورة فريدة

لم يسبقه إليها غيره، وكانت تلك القيامة بسلطانه وقدرته، وهذا دليل على الوهيته[١].

ولكن هذا يخالف ما ذكرته أسفار العهد الجديد، لان بطرس وصي عيسى الذي امتلأ من الروح القدس بعد يوم العنصرة قال: **«فيسوع هذا اقامه الله من الموت»** (أعمال الرسل ٢:٣٢) وأيضاً قوله: **«ولكن الله أقامه من بين الأموات»** (أعمال الرسل ٢:٢٤). فهل نحتاج إلى تصريح أكثر من هذا بإن المسيح قد أقامه الله من الاموات؟ وعلى لسان وصيّه بطرس وبعد امتلائه بالروح القدس، وأيضاً قول بولس (أعمال الرسل ١٧:٣١) فالقول بإن المسيح قد قام من الموت بسلطانه مردود بل قيامته كقيامة بقية الاموات هذا أولاً. وثانياً نحن لا نسلّم بإن المسيح صلب ومات ودفن وقام، بل نعتقد بان الله قد انجاه من اليهود، والمصلوب هو غيره، وبمطالعة التناقضات الموجودة في اناجيل العهد الجديد حول قيامته لا يبقى أدنى شك للقاريء من إنّ حادثة الصلب والموت والقيامة ـ وعلى أقل تقدير مختلف فيها بشكل كبير، وقد أشرت إلى هذه المسألة بشكل مفصل في كتاب **«الصحيح من انجيل المسيح»**.

فأدلة المسيحيين لاثبات الوهية المسيح ضعيفة متداعية، لا تصح لاثبات أمر خطير جداً وهو الوهية المسيح، فلو كان المسيح حقاً هو الله، أو مساو لله في طبيعته وجوهره لاوضح ذلك الامر بشكل لا يبقى معه شك ولا ريب، لانه الاساس الأوّل للمسيحية الذي تقوم عليه بقية العقائد المسيحية، ولكننا كما رأينا لم نجد من كلام المسيح ولا من أدلة المسيحيين ما يقنع النفس في موضوع مهم وخطير جداً مثل الألوهية، بل على العكس من ذلك فان كلمات المسيح وأقوال كتّاب أسفار العهد الجديد كلها تشير إلى حقيقة أخرى، وهي إن المسيح انسان مخلوق ونبي مرسل أرسل إلى بني اسرائيل ولا حول ولا قوة له إلاّ بالله خالق السموات والأرض.

---

(١) حقيقة لاهوت يسوع المسيح: ٥٦.

الخلاصة:

من خلال ما استعرضناه من مسائل في القسم الثاني من البحث نصل إلى نتيجة مفادها. بإن الإسلام يرى في المسيح انه انسان مخلوق أرسله الله إلى بني اسرائيل وأيده بالمعجزات، فدعا قومه إلى عبادة ربه وخالقه، فآمن به القليل من النـاس، وقد أكّد المسيح هذه الحقيقة من خلال تصريحاته بانه انسان ونبي ورسول، وان الله تعالى هو الوحيد الذي له الصفات المطلقة من قدرة وعـلم وصـلاح وغـير ذلك، وكذلك من خلال اعماله التي أظهرت عبوديته وتواضعه وخضوعه لهذا الإله، ولا سيما كثرة صلاته وصيامه وبكائه وتضرعه إلى خالقه، ونستطيع تـلخيص نـظرة الإسلام إلى المسيح وحقيقته من خلال ما يلي:

١ ـ انه انسان عبدٌ مخلوق لله تبارك وتعالى، وهذا ما أشار إليه القرآن في آياته ومنها:

«سورة مريم: ٣٠ ـ ٣٢» و **«سورة النساء: ١٧٢»** و **«سورة آل عمران: ٥١»** و **«آل عمران: ٥٩»** و **«سورة الزخرف: ٥٩»**.

٢ ـ كان واحداً من الأنبياء أولي العزم والذيـن خـصّهم الله بشـريعة. **«سـورة الشورى: ١٣»**.

٣ ـ كان صاحب كتاب سماوي أنزله الله عليه اسمه الانجيل: **«آل عمران: ٣»** أيضاً **«المائدة: ٤٦»**.

٤ ـ قد سمّاه الله المسيح، وروح منه وكلمته التي ألقاها إلى مريم. **«النساء: ١٧١»**.

٥ ـ كان من شهداء الاعمال. **«النساء: ١٥٩»** وأيضاً **«المائدة: ١٨٧»**.

٦ ـ كان وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين. **«آل عمران: ٤٥»**.

٧ ـ قد رفعه الله إليه وأنجاه من يد أعداءه. **«النساء: ١٥٧»**.

٨ ـ أجرى الله المعجزات الباهرة على يديه كـاحياء المـوتى وابـراء الأكـمه

والأبرص وغيرها. «آل عمران: ٤٩».

فالإسلام نزّه ساحة المسيح من كل ما يمس كرامته وينال من ساحته المقدسة، ورفعه إلى أعلى مقامات الانسانية باعطائه مقام النبوة والرسالة، بل وجعله من أخص الأنبياء الكرام الخمسة الذين وصفهم الله بانهم أولي عزم، ومن جهة أخرى رفض اعطاء أي صبغة من الألوهية للمسيح، بل وحارب كل عقيدة تدّعي الوهية المسيح واعتبرها منحرفة عن الصراط المستقيم، وصرّح بما لا مجال فيه للتأويل ببطلان القول بان المسيح ابن الله أو له طبيعة الله، وابطل أيضاً عقيدة التثليث ورفضها رفضاً قاطعاً، وأيضاً بيّن زيف الادعاء بان المسيح دعى إلى عبادته من دون الله (أو مع الله باعتباره ابناً له) بل نزّه المسيح عن هذه الفرية وذلك بتصريح لا يقبل الشك والتأويل وهو قوله تعالى: «المائدة: ١١٦ ـ ١١٧».

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث نشير إلى أهم النتتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث، ويمكن أن نشير أولاً إلى المشتركات بين الإسلام والمسيحية حول حقيقة المسيح وهي:

١ ـ أن المسيح انسان ولد من امرأة عن طريق المعجزة وليس له أب بشري.

٢ ـ إن المسيح نبي ورسول مرسل من قبل الله سبحانه للبشارة وهداية الناس إلى الحق والصراط المستقيم.

٣ ـ أظهر المسيح في حياته الكثير من المعجزات التي اثبت من خلالها انه مرسل من الله كاحياء الموتى وابراء المرضى وغيرها.

٤ ـ إن الله رفع المسيح إلى السماء (الإسلام يرفض صلبه وموته وقيامته ،والمسيحية تثبّت صلبه وموته وقيامته) وهو حي ينزل في آخر الزمان.

٥ ـ المسيح لم يبطل الشريعة السابقة بل جاء مكملاً لها.

فهذه النقاط مشتركة بين الإسلام والمسيحية مع الاختلاف في بعض الجزئيات البسيطة.

وأما نقاط الاختلاف فهي تتلخص في نقطة ومسألة واحدة وهي بنوّة المسيح لله، أي في طبيعته الالهية، فالمسيحيون يعتقدون ان المسيح هو ابن الله، وهو الاقنوم الثاني من اقانيم الله الثلاثة، فله طبيعة الهية، بل هو مساو للأب (الأقنوم الأول) في الجوهر، وقد نزل هذا الابن إلى العالم بجسد انساني، فحقيقة المسيح هي كونه الهاً كاملاً وانساناً كاملاً.

في حين نجد ان الإسلام يرفض وبشكل قاطع نسبة أي الوهية للمسيح، ويعتقد إن هذا القول هو خروج عن دائرة التوحيد الذاتي لله تبارك وتعالى، ويعتقد إن المسيح لا يعدو كونه انساناً وعبداً ونبياً لا أكثر من ذلك، فهذه هي نقطة الخلاف الاصلية بين الفريقين.

والسؤال الذي يجب أن نطرحه في ختام هذا البحث هو: هل هناك من سبيل للجمع بين العقيدتين والتقريب بينهما، أم لا؟

إن الاجابة على هذا السؤال فيه شيء من الصعوبة ولكنه يمكن القول: ان الذي استعرضناه في القسم الأوّل من البحث حول حقيقة المسيح لا يُبقي أدنى شك من إن التعاليم الكرستولوجية (حقيقة المسيح) التي يقول بها النصارى لم تنتظم إلاّ في قرون طويلة، وكانت نتيجة المجامع المسكونية التي عقدت منذ القرن الرابع الميلادي، أي إن هذه التعاليم لم تظهر في زمن المسيح ولا بعده، ومن يعتقد إن المسيح أو التلاميذ أشاروا إلى لاهوته وبنوّته لله وبشّروا بذلك من خلال اسفار العهد الجديد لا يملكون الأدلة الكافية لإثبات هذا الرأي كما أشرنا إلى ذلك، بل المتتبع لاسفار العهد الجديد بشكل دقيق يلاحظ أنها تنادي بعكس ذلك وتثبت بان المسيح انسان مرسل من قِبل الله إلى بني اسرائيل يذكرهم بشريعة آبائهم، وهذا ما قاله المسيح صريحاً كما يُنقل عنه حسب انجيل يوحنا **«وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته»** (يوحنا ١٧:٣)، وكما قال بولس في رسالته إلى تيموثاوس حيث قال: **«لانه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح»** (تيموثاوس ٢:٥)، وبتصريح المسيح أيضاً بانه جاء ليكمل الشريعة حيث قال: **«لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لانقض بل لأكمل»** (متى ٥:١٧).

والذي يتتبع التاريخ في القرنين الاولين من ميلاد المسيح يجد إن الاعتقاد بإله

واحد لا شريك له هو أساس الديانة النصرانية، وإن المسيح هو نبي مرسل إلى بني اسرائيل، ولكن مع بداية اعتناق شعوب شتى من الوثنيين اليونان وغيرهم من الرومان والمصريين لهذه الديانة، وكانت الوثنية قد تأصلت فيهم، نشأت فرق ومذاهب مختلفة، تعتقد كل منها في حقيقة المسيح وشخصيته رأياً يخالف الاخرى، وقد أدت هذه الاختلافات كما أشرنا سابقاً وفي أحيان كثيرة إلى قتل وتشريد الكثير من آباء الكنيسة، وظهر الحرمان واللعن والتكفير في أوساط المذاهب المسيحية المختلفة، وأحياناً كانت سبب هذه الاضطهادات الشرسة لعلماء الكنيسة هي المجامع المسكونية نفسها التي كانت تصدر القوانين في تحريم ولعن بعض الشخصيات التي تعتقد إنها تخالف الاعتقاد الصحيح في حقيقة المسيح.

وفي خضم هذه الفوضى العقائدية التي ظهرت في أهم عقيدة في الدين المسيحي، استطاعت الكنيسة بسطوتها وقوتها من فرض عقيدة لاهوت المسيح وبنوّته ومساواته للأب في الطبيعة والجوهر، ولهذا اعتقد إن هذه العقيدة أجنبية عن تعاليم المسيح وأنها وليدة أفكار ورؤى بعض آباء الكنيسة، الذين أرادوا أن يوضحوا للناس من هو المسيح فوقعوا في الغلو ونسبوا الألوهية للمسيح زوراً وبهتاناً، ولهذا يجب الرجوع إلى تعاليم المسيح الاصيلة والتي تدعو إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم حيث قال سبحانه: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**(١).

وهذا ما ذهب إليه البعض من الكتّاب المسيحيين الذين يصرّون على إنهم لا يعبدون إلاّ الله، فيقول: **«المسيحيون هم قوم موحدون بالله لا يعبدون إلهاً آخر من دونه ولا يشركون به أحداً، فاننا نعبد إلهاً واحداً ورباً واحداً في مثلث أقانيمه في ذاته الالهية الواحدة»**

---

(١) آل عمران: ٦٤.

ويضيف: «ان الله الواحد الاحد الذي نعبده جميعاً مسيحيين ومسلمين، هو الإله الواحد ولا إله غيره، والاختلاف ليس في الهدف وهو عبادة الإله الواحد، وإنما في التفاصيل وهو كيف يكون هذا الإله»[1].

إذن نقطة الاختلاف هو في حقيقة وذات الله سبحانه، وهل هو مثلث الاقانيم (متعدد في الذات) أم هو بسيط الحقيقة، وصفاته عين ذاته.

ففي المسيحية هناك إله واحد ولكنه مثلث الاقانيم، وهذه الاقانيم متساوية في الجوهر والطبيعة، وفي الإسلام فإن الله واحد أحد قائم بذاته وله صفات هي عين ذاته.

فالفارق بين التصورين الإسلامي والمسيحي لله كبير وكبير جداً، فالله في الإسلام واحد، أحد فرد صمد، فيما هو في المسيحية مثلث الاقانيم، متعدد في الذات، وهنا تكمن المعضلة؟

وأعتقد إن أدلة التوحيد الذاتي لواجب الوجود ترفض كل تعدد في ذات الواجب،وهو ما أشرنا إليه عند بحثنا في عقيدة التثليث عقلاً، إضافة إلى ذلك فإن الأدلة النقلية على التثليث هي الاخرى موضع ترديد وشك كبير، إذن لابد من القول إن ذات الباري عزوجل بسيطة خالية من كل تعدد وتركيب.

وختاماً نقول: إن الإسلام يدعونا دائماً إلى التآخي والمحبة مع بقية أفراد البشر ولاسيما الذين تربطنا معهم روابط دينية أساسية وهم أهل الكتاب، ولهذا أمرنا بان لا نجادلهم إلاّ بالتي هي أحسن، والذي اعتقده هو ان الخلاف الوحيد بين الإسلام والمسيحية هو حول وحدانية وذات الله سبحانه، ومع كونه خلافاً أساسياً ومركزياً وعميقاً، إلاّ أن طريق التقارب بين الديانتين ممكن، وذلك لأن الاساس التوحيدي واحد، والمصدر للتعاليم واحد، والهدف أيضاً واحد.

---

(١) حقيقة التجسد: ٤٢٠.

مصادر البحث

١ ـ الكتاب المقدّس، ط ١، القاهرة، دار الكتاب المقدّس، مصر، ٢٠٠١ م.

٢ ـ مجموعة علماء، قاموس الكتاب المقدّس، ط ١٠، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩٥م.

٣ ـ خوّام ،الأب د.منير، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، ط١، بيروت، ١٩٨٣ م.

٤ ـ عبد الوهاب، أحمد، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ط ١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٧٨ م.

٥ ـ كمبي، الأب حان، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ط ٢، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٠ م.

٦ ـ سعيد، ثروت، حقيقة التجسد، ط ١، القاهرة، ١٩٩٩ م.

٧ ـ كاسبر، فالتر (وآخرون)، المسيحية في عقائدها، ترجمة المطران كيرلّس، ط١ ، بيروت، المكتبة البوليسية، ١٩٩٨ م.

٨ ـ الصادقي، د.محمد، عقائدنا، ط ٢، بيروت، مؤسسة النور للمطبوعات، ١٩٩٤م.

٩ ـ الخضري، د. حنّا، تأريخ الفكر المسيحي، ط ١، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨١م.

١٠ ـ الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م.

١١ ـ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط ٢، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٩٧٢ م.

١٢ ـ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ط ١، بيروت، دار احياء التراث

العربي، ١٩٨٢ م.

١٣ ـ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط ٣، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٣ م.

١٤ ـ الطبري، محمدبن جرير، تاريخ الطبري، ط ١، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٩٩٨م.

١٥ ـ محمدي الري شهري، ميزان الحكمة، تحقيق دار الحديث، ط ١، قم، دار الحديث، ١٤١٦ هـ.

١٦ ـ المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، ط ١، قم، مؤسسة الإمام علي، ١٤١٧ه

١٧ ـ ابن فارس، مقاييس اللغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ن ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م.

١٨ ـ الحداد، يوسف درّة، الانجيل في القرآن، ط٣، بيروت، المكتبة البولیسية، ١٩٩٣ م.

١٩ ـ مكارم الشيرازي، ناصر، التفسير الامثل، ط ١، قم، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، ١٤٢١ هـ.

٢٠ ـ شلبي، د. أحمد، المسيحية، ط ١٠، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٩٣ م.

٢١ ـ الزين، محمد فاروق، المسيحية والإسلام والاستشراق، ط ٢، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٢ م.

٢٢ ـ جينيبر، د. شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة د.عبد الحليم محمود، ط ٣، مصر، دار المعارف.

٢٣ ـ الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن، اظهار الحق، بيروت، دار الجيل.

٢٤ ـ ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ط ١، دمشق، ١٤١٦ هـ.

٢٥ ـ كْساب، حنانيا الياس، مجموعة الشرع الكنسي، ط ٢، بيروت، منشورات النور،

١٩٩٨ م.

٢٦ ـ خوري، إيّما غريب، **الاقمار الثلاثة وآباء القرون الاربعة الأولى**، بيروت، منشورات النور، ١٩٩٤ م.

٢٧ ـ منير، مجدي، **كيف يكون المسيح رباً وإلهاً**، القاهرة، لوجوس سنتر، ١٩٩٥ م.

٢٨ ـ بسترس، سليم، **اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر**، ط ٢، بيروت، المكتبة البوليسية، ١٩٨٩ م.

٢٩ ـ أدي، وليم، **الكنز الجليل في تفسير الانجيل**، بيروت، مجمع الكنائس في الشرق الادنى، ١٩٧٣ م.

٣٠ ـ رستم، أسد، **كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى**، بيروت، المكتبة البوليسية، ١٩٨٨ م.

٣١ ـ الفغالي، الخوري بولس، **انجيل يوحنا دراسات وتأملات**، ط ١، بيروت، المكتبة البوليسية، ١٩٩٢ م.

٣٢ ـ فرانس، ر.ت ، **التفسير الحديث للكتاب المقدّس**، ط ١، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩٠ م.

٣٣ ـ الفغالي، الخوري بولس، **المدخل إلى الكتاب المقدّس**، ط ١، بيروت، المكتبة البوليسية، ١٩٩٤ م.

٣٤ ـ أنس، القس جيمس، **نظام التعليم في علم اللاهوت القديم**، ط ٢، بيروت، مطبعة الامريكان، ١٨٩٠ م.

٣٥ ـ بدر، حبيب (وآخرون)، **المسيحية عبر تاريخها في المشرق**، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م.

٣٦ ـ البلاغي، محمد جواد، **الرحلة المدرسية**، نشر توحيد، ١٩٩٣ م.

٣٧ ـ الصادقي، د. محمد، **حوار بين الالهيين والماديين**، ط ٢، بيروت، دار المرتضى، ١٤٠٧ هـ.

٣٨ ـ رستم، أسد، آباء الكنيسة، ط ٢، بيروت، المكتبة البوليسية، ١٩٩٠ م.

٣٩ ـ مكدونالد، وليم، تفسير الكتاب المقدّس، بيروت، ١٩٩٨ م.

٤٠ ـ سمير نوف، تاريخ الكنيسة المسيحية، تعريب المطران الكسندروس جحا، حمص.

٤١ ـ سعيد، حبيب، تاريخ المسيحية، مصر، دار الجيل للطباعة.

٤٢ ـ بنتلي، جيمس، اكتشاف الكتاب المقدّس، ترجمة آسيا محمد الطريحي، ط ١، مصر، سينا للنشر، ١٩٩٥ م.

٤٣ ـ البابا شنوده الثالث، طبيعة المسيح، القاهرة، الكلية الاكليريكية للاقباط، ١٩٩١ م.

٤٤ ـ رويس، دانيال، يسوع في زمانه، ترجمة حبيب باشا البوليسي، المنشورات العربية.

٤٥ ـ العلمي، عبد الله، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية، ط ١، ١٩٧٠ م.

٤٦ ـ ساويرس، ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية.

٤٧ ـ بن كثير، إسماعيل، قصص الأنبياء، ط ١، بيروت، دار ابن كثير، ١٩٩٢ م.

٤٨ ـ محمد، حسين نجيب، حياة السيد المسيح في القرآن الكريم، ط ١، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٢ م.

٤٩ ـ خرازي، محسن، بداية المعارف الإلهية، ط ١، قم، الحوزة العلمية، ١٤١١ هـ.

٥٠ ـ الخونساري، أحمد، العقائد الحقّة، ط ١، قم، منشورات الدليل، ١٤٢١ هـ.

٥١ ـ آملي، جوادي، التوحيد في القرآن، ط ١، بيروت، دار الصفوة، ١٩٩٤ م.

٥٢ ـ مصباح، محمد تقي، معارف القرآن، تعريب عبد المنعم الخاقاني، ط ٢، بيروت، ١٩٩٠ م.

٥٣ ـ الحيدري، كمال، التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته، ط ٢، دار فراقد، ٢٠٠٢م.

٥٤ ـ الطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة، ط ١٩، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٣ هـ.

٥٥ ـ الآلوسي، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، ط ١، القاهرة، ١٩٨٧ م.

٥٦ ـ عبد المحسن، عبد الراضي، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٥ م.

٥٧ ـ الغزالي، أبي حامد، الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل، تركيا، دار الشفقة، ١٩٩٤ م.

٥٨ ـ الطهطاوي، محمد عزت، النصرانية في الميزان، ط ١، دمشق، دار القلم، ١٩٩٥م.

٥٩ ـ لوقا، ابراهيم، المسيحية في الإسلام، ط ٥، ١٩٩٥ م.

٦٠ ـ المالكي، أحمد بن ادريس، الاجوبة الفاخرة، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦ م.

٦١ ـ مجموعة علماء، التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، القاهرة، ١٩٩٧ م.

٦٢ ـ تفسير العهد الجديد، ط ٢، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٨ م.

٦٣ ـ الآلوسي، محمود، تفسير روح المعاني، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤ م.

٦٤ ـ الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط ١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٩٥ م.

٦٥ ـ بن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، ط ١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٩٧ م.

٦٦ ـ السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ط ٢، قم، انتشارات توحيد، ١٤٠٢ هـ.

٦٧ ـ الكليني، محمد بن يعقوب، الاصول في الكافي، ط ٣، طهران، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٥ هـ ش .

٦٨ ـ موسوعة الأديان في العالم (المسيحية)، دار كريبس انترناشيونال، ٢٠٠١ م.

٦٩ ـ عفيفي، أبو العلا، فصوص الحكم، ط ٢، العراق، نينوى، دار الثقافة، ١٩٨٩ م.

٧٠ ـ الخوارزمي، تاج الدين، شرح فصوص الحكم، ط ١، قم، دفتر تبليغات اسلامي، ١٣٧٧ هـ ش.

٧١ ـ مفرج، طوني، موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الاوسط، ط ١، بيروت، ١٩٩٥ م.

٧٢ ـ ميخائيل، القس لبيب، لاهوت المسيح، دار السلام للنشر.

٧٣ ـ ماكدويل، جوش، حقيقة لاهوت يسوع المسيح، ترجمة سمير الشوملي، ط ٦، دمشق.

٧٤ ـ ماكدويل، جوش، نجار وأعظم، ترجمة سمير الشوملي، حياة المحبة في الشرق الاوسط.

٧٥ ـ الغروي، محمد، العظيمان المباركان عيسى ومريم، ط ١، بيروت، دار الحق، ١٩٩٩ م.

٧٦ ـ (مجموعة علماء)، معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة المطران انطونيوس نجيب، بيروت.

محتويات الكتاب

مقدّمة المركز ٥
المقدّمة ٧

القسم الأول: حقيقة المسيح في المسيحية

الفصل الأول: الكتاب المقدّس ١٥
المبحث الأول: الوحي الكتابي في المسيحية ١٧
المبحث الثاني: العهد الجديد ٢٠
المبحث الثالث: الاناجيل الاربعة ٢٥
المبحث الرابع: قانونية العهد الجديد ٣٣
الفصل الثاني: الاناجيل وشخصية المسيح ٤٥
المبحث الأول: حياة المسيح في الاناجيل ٤٧
أولاً: ولادته ٤٨
ثانياً: طفولته وصباه ٥٣
ثالثاً: معموديته وتجربته من قبل الشيطان ٥٦
رابعاً: بعثته وبدء دعوته العلنية ٥٧
خامساً: اختياره للتلاميذ (الحواريين) ٥٩
سادساً: صلبه وموته وقيامته ٦٠
المبحث الثاني: القاب المسيح وصفاته في المسيحية ٦٣
أولاً: يسوع المسيح ٦٣
ثانياً: ابن الإنسان ٦٣
ثالثاً: ابن الله ٦٤
رابعاً: ابن داود ٦٥
خامساً: النبي ٦٥
سادساً: رسول الله ٦٥
سابعاً: الراعي الصالح ٦٥
ثامناً: المعلم ٦٥
الفصل الثالث: الأدلة على الوهية المسيح ٦٧

تمهيد ٦٩
المبحث الأول: الأدلة من العهد الجديد على الوهيته ٧٣
أولاً: كلمات المسيح ٧٣
ثانياً: ميلاد المسيح الاعجازي ٧٤
ثالثاً: صفات المسيح ٧٦
رابعاً: أفعال المسيح ومعاجزه ٨٠
خامساً: قبوله للعبادة ٨٣
سادساً: قيامته الفريدة من بيت الاموات ٨٥
المبحث الثاني: الاعتراضات على الوهية المسيح في العهد الجديد ٨٧
الفصل الرابع: الكنيسة والوهية المسيح ٩٥
المبحث الأول: تاريخ نشوء الكنيسة وتطوراتها ٩٥
أولا: الكنيسة في القرن الأول: ٩٩
ثانياً: الكنيسة في القرن الثاني الميلادي: ١٠٢
ثالثاً: الكنيسة في القرن الثالث: ١٠٥
رابعاً: الكنيسة في القرن الرابع: ١٠٦
المبحث الثاني: ما قاله المسيح عن نفسه ١١١
المبحث الثالث: ما قاله الرسل عن حقيقة المسيح ١١٥
المبحث الرابع: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الأول ١٢٣
المبحث الخامس: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الثاني ١٢٩
أولا: أغناطيوس الأنطاكي :ignace dantioche ١٣٠
ثانياً: أكلميندوس الروماني: ١٣٣
ثالثاً: بوليكاربوس: ١٣٣
المبحث السادس: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الثالث ١٣٧
أولا: ايريناوس (ايرانيوس) :Saint irenee ١٣٧
ثانياً: اكليمندس الاسكندري (clement dalexandrie) ١٤٠
ثالثاً: ترتوليانوس: ١٤٣
رابعاً: العلاّمة أوريجانوس (origene) ١٤٦

المبحث السابع: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الرابع ١٥٥
أولا: آريوس الليبي والآريوسية: ١٥٦
ثانياً: مجمع نيقية (٣٢٥): ١٦٣
ثالثاً: أثناسيوس الاسكندري (athanase) ١٦٥
رابعاً: مجمع قسطنطينية ٣٨١: ١٦٧
المبحث الثامن: عقيدة آباء الكنيسة في القرن الخامس ١٧١
أولا: عقيدة الطبيعة الواحدة: ١٧٤
ثانياً: عقيدة الطبيعتين (christologie dualiste) ١٧٨
ثالثاً: ديودورس الطرسوسي (diodore of tarsus) ١٧٩
رابعاً: ثيودوريوس (المصِّيصي): (theodore of mopsueste) ١٨٠
خامساً: نسطوريوس: (nestorius) ١٨١
سادساً: المواجهة بين كيرلس ونسطور: ١٨٤
سابعاً: مجمع روما (٤٣٠): ١٨٦
ثامناً: مجمع أفسس(٤٣١): ١٩١
تاسعاً: مجمع خلقيدونية (٤٥١): ١٩٣
المبحث التاسع: بدعة المشيئة الواحدة في المسيح ١٩٩
تمهيد: ١٩٩
أولا: صيغة المشيئة الواحدة سنة (٦٣٣): ٢٠٠
ثانياً: صفرونيوس: ٢٠١
ثالثاً: تفاقم الأزمة: ٢٠٢
رابعاً: المجمع المسكوني السادس (٦٨١): ٢٠٣

القسم الثاني: حقيقة المسيح في الإسلام

الفصل الأول: قصة عيسى وأمه في القرآن ٢٠٩
تمهيد ٢٠٩
المبحث الأول: حياة المسيح في القرآن ٢١١
أولاً: قصة مريم في القرآن ٢١١
ثانياً: ولادة المسيح ٢١٤

ثالثاً: طفولة المسيح وشبابه ٢٢١
رابعاً: بعثته ٢٢٣
خامساً: موقف اليهود من دعوته ٢٢٦
سادساً: خاتمة حياة المسيح ٢٣١
سابعاً: نزوله في آخر الزمان ٢٣٤
المبحث الثاني: القاب وصفات المسيح في القرآن ٢٣٧
أولاً: القابه ٢٣٧
ثانياً: صفات المسيح ﷺ في القرآن الكريم ٢٣٩
الفصل الثاني: التوحيد ومراتبه في الإسلام ٢٤٣
تمهيد ٢٤٥
المبحث الأول: التوحيد ومعانيه ٢٤٧
أولاً: التوحيد في الذات ٢٤٧
ثانياً: التوحيد في الصفات ٢٤٨
ثالثاً: التوحيد في الافعال ٢٥٠
المبحث الثاني: الإسلام والتثليث ٢٥٥
أولاً: القرآن والتثليث ٢٥٥
ثانياً: العقل والتثليث ٢٦٢
الفصل الثالث: المسيح والوهيته في الإسلام ٢٦٧
المبحث الأول: نقد الوهية المسيح في القرآن ٢٦٩
المبحث الثاني: نقد الوهية المسيح عقلاً ٢٧٣
المبحث الثالث: أدلة النصارى على الوهية المسيح من القرآن ٢٨١
المبحث الرابع: موقف علماء الإسلام من أدلة الوهيته في الاناجيل ٢٨٩
الخلاصة ٣١٢
الخاتمة ٣١٥
مصادر البحث ٣١٩
الفهرست ٣٢٥